

سراج الدين البدوي
الفيلسوف الصغير
إندو بانديل
ملحمة
1 دويرام
أرض الأساطير
كيان كور
دار ليلى

١٥ ٩٢ ٨٩

سراج الدين البدوي

إندو بانديل

ملحمة دويرام

الكتاب:

إندو بانديل

المؤلف:

سراج الدين البدوي

رقم الإيداع:

1913 /2012

الترقيم الدولي:

978-977-5238-04-7

★★★

الغلاف:

محمد محمود

الإخراج الفني:

حسام سليمان

★★★

مدير التوزيع:

عبد الله شلبي

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★

كيان كورب للنشر والتوزيع والطباعة

دار ليلى

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11

هاتف: 33370042 (02) (002) - 3885295 (012) (002)

البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

كيان كورب
للنشر والتوزيع والطباعة
دار ليلى

سراج الدين البدوي

إندو بانديل



إهــداء

إلــى أمــــي

أماه ضميني إليك فإنني،
أشتاق دوماً للحنان إذا استدار.
إذ ولّــى لي دبراً ولامس مئزري،
اشتقت شوقاً يستغيث له الإزار.
أشتاق يا أمي لقلبك ثم أنبض باشتياق!
ثم يهفو القلب نحو ضياء طيفك!
ثم يمشي ثم ينظر ثم ينسى كل شيء!
ثم أذكر أنك الشمس التي فيها المدار».

سراج الدين

*في بيئة مليئة بالتخلف والتعصب والفساد..

انتشر الظلم أكثر مما كان عليه في الأيام الخوالي..

تلك الأيام التي مرت على الناس وهم في خضم الدماء..

لم يكن بها حكام يحكمون .. ولا حكماء يعلّمون..

حتى جاءهم (الفيلسوف المقدس "س.ل.م")، الذي وضع كتابه العظيم "الحكم المقدسة".. فانتشر في عصره السلام، وساد العدل بين جميع الناس..

ولكن الآن، وبعد ألف وخمسمائة عام.. أصبحت البيئة أكثر شراسة وفساداً مما كانت عليه..

ولكن ولد بين تلك الشراسة وذلك الفساد، الباحث عن السلام والعدل والإنصاف..

"إندو بانديل".. "الفيلسوف الصغير"..

الفصل الأول

المـولـود الجـديـد

قد ولد للسيد "بانديل" مولوداً جديداً بعد أربعة أولاد أخـر، كلـهم ذكـور إلا واحدة وهي التي تكبر المولود الجديد بأربعة أعوام، قد ولد في وقت فزعت فيه النساء أن يضعن أحمالهن؛ خوفاً على ما يحملن من الموت وهم أطفال صغار، إلا أن ذلك الرجل "بانديل" كان مؤمناً بأنه لا أحد يُصاب بالأذى إلا بما كـان مقـدوراً لـه عند الإله، ولكن القليل من الناس بل القليلين جـداً كـانوا يعتقـدون ذلـك في بعـض القبائل، ولكـن بقيـة النـاس في "دويـرام" لا يعتقـدون أي شـيء غـير أنهـم عبيـد للطاغية "جومار"، ذلك الطاغية الذي وضع يده على القلعة وطغـى عليهـا واسـتولى على الحُكم من "رولينجلاس" الحاكم الأخير الذي حكم "دويرام" أكثر من ثمانيـة وعشرين عاماً؛ فقد حُرق مع النسختان من كتـاب "الحكـم المقدسـة" اللتـان كتـبهم "الفيلسوف المقدس" بلغة القبائل، ولكن لما علـم "جومـار" أن الكتـاب يحفظـه عـن ظهــر قلــب أكثــر مــن ألفــي رجــل وامــرأة؛ حــرقهم جميعــاً وعلــى رأســهم "رولينجلاس"، فقد أنشأ لهم محرقة كـبيرة جـداً عرفـت بـ"محرقـة النهايـة"، وأصبح الناس من بعدها طائعين له ولجنوده.

قد أسرع "سبراك" على أول صرخة للطفل المولـود جديـداً إلى الحقـل الـذي يزرع فيه أبيـه صـائحاً بـأقوى صـوت عنـده: «مرحـي يـا أبـي، لقـد جـاء الطفـل

الجديد، لقد أنجبته أمي الآن».

ابتسم "بانديل" في سعادة تامة وقد أشرقت الدنيا أمامه، ثم بارك له من كان معه في الحقل وتقبل ذلك منهم بوجه بشوش، وبعدها ترك الفأس من يديه وانطلق مسرعاً ناحية الكوخ الذي يعيش فيه هو وعائلته، وكان يسابق الريح وقتها وولده "سبراك" في ذيله، ولما وصل وجد الكثير من النساء بعضهن خارجات من الكوخ والبعض الآخر داخلات إلى زوجته، وقوبل هنالك بهتافات شديدة من الجمع الحاضر: «حرسه الرب لك»، «جعله الرب إعانة لك على مصاعب الحياة»، وهكذا حتى دخل إلى زوجته الراقدة في الكوخ وأولاده ملتفين حول فراشها كفراشات حول قمر، والطفل يصيح بجوارها وقد لفته "القابلة" في قطعة قماش بيضاء، فاقترب منه في ابتسامة مشرقة ومن ثم حمله وقربه إليه ووضع قبلة دافئة على جبينه قائلاً: «إنه كالبدر يا "كوندليرا" إنه يشبهك تماماً».

فابتسمت الزوجة قبل أن تقول: «بل هو يشبهك أنت يا "بانديل" هكذا قالت لي النساء».

«لا يهمني الآن لمن هو يشبه، ولكن الذي يهمنا جميعاً هو حالك، فكيف أنت الآن؟!».

«أنا بخير حال فلا تقلق علي، هذا هو الطفل الخامس وقد تعودت على ذلك، فلم يعد يؤلمني الوضع كما كان سابقاً».

«أنت دائماً هكذا تحجبين ألمك عن الآخرين!، ولكني أعلم جيداً متى تتألمين ومتى ترتاحين».

فابتسموا جميعاً، ثم إنه أخرج بعد ذلك بضع قطع فضية من جيبه وأعطاها للـ"قابلة" وشكرها على عملها الرائع، ثم أغلق عليه باب كوخه ووضع الطفل بجوار والدته الراقدة فوق الفراش المصنوع من القش، والذي فرش بجلود الأنعام قائلاً: «بماذا سنسميه؟!».

فقالت "كونداليرا": «نترك الاختيار إلى شقيقته التي تكبره، كما سماها "سبراك" عند مولدها».

فنظر "بانديل" إلى ابنته "ساجوم" قائلاً: «ما رأيك يا بنيتي؟!».

فنظرت "ساجوم" بدورها إلى أمها وأبيها وأخوتها، ثم إنها علقت بصرها بعض الوقت على شقيقها "سبراك"، لأنه هو الذي أطلق عليها اسمها عند مولدها، ومن ثم تركت عيناها تتثبتان على ذلك الوجه الحسن البهي الجميل الجديد، لأنه حان لها الوقت أن تسمي أخاً لها كما فعل السابقون من قبل، وتفكرت قليلاً في اسم جميل تشاء أن تطلقه عليه، ثم علقت بصرها بالسقف بعضاً من الوقت، ثم قالت بعد ذلك: «لا مانع يا أبي سوف اسميه "إندو"».

فنظر إليه الأب في ابتسامته المشرقة قائلاً: «وليكن "إندو بانديل"».

إن ذلك الكوخ الذي يعيش به "بانديل" وعائلته قد صنع من الأحجار الخفيفة، وسقّف بألواح من خشب الأرز، وقد أخذ اللون البني الداكن، والتف بأكمله بنبات الياسمين المتسلق ذو الرائحة الطيبة التي في غالب الأحيان لا يستغني عنها ذلك الرجل، هكذا هو الكوخ من الخارج، أما من الداخل فهو ينقسم إلى حجرتين وصالة وممر صغير ينتهي إلى المطبخ والمرحاض، لقد قسم

الرجل "بانديل" ذلك الكوخ الصغير وزينه بالنباتات من الداخل والخارج حتى أصبح وكأنه قصر عظيم، ذلك لأن الرجل كان يحب الطبيعة والجمال لعمله دائماً بالزراعة، تلك التي جعلته يتعود على رؤية مناظر الأشجار الرائعة والنباتات الجميلة، ومع أنه لا يخاف أحداً من جنود "جومار" اللعين بمساوئهم ومخاطرهم الفاجعة، إلا أنه كان يسكن بعيداً في الجنوب الغربي لقبيلة "قُرّان"، تلك هي القبيلة الأخيرة التابعة لـ"دويرام"، المتطرفة في أقصى الجنوب الغربي والتي تبعد عن "قلعة التنين" بأكثر من أربعمائة وخمسين فرسخاً، والتي تشتهر بصناعة الورق لوجود شجر "الثبراء" لديها بكثرة، والذي يصنعون منه الورق بطريقة أكثر سهولة من أي أحد آخر، وهذا لأن تلك الأشجار لا تحتاج مشقة كبيرة من أهل تلك القبيلة لصنع ذلك.

كان الناس في تلك القبيلة لا ينشغلون بمظاهر السعادة عندما يأتي مولود جديد، وليس القاطنون تلك القبيلة فقط .. بل كان الناس في كل القبائل التابعة لـ"دويرام" هكذا، تلك القبائل التي يبلغ عددها نيف وخمسون قبيلة، كل ذلك لأن تلك المظاهر تجلب عليهم البأس والحزن من تجاه "جومار" اللعين، إلا أن ذلك الرجل الصامد كان لا يردعه خوف من بشر، مهما توصل هذا البشر إلى قوة وبأس، فصنع بمساعدة أولاده بعض الشعل الكبيرة التي وضعها أمام الكوخ، وعلق الزينة في الجوار ودعا كل من يعرف في القبيلة لحضور حفل ولادة ولده الخامس، ليست كعادته أن ينشأ الحفل في اليوم الأول من الولادة، فكان لا ينشئه إلا في اليوم السابع عندما يختن المولود، ولكنه صمم أن يقيم حفلاً عظيماً يدوم سبعة أيام

كي يؤكد للناس أنه لا يتأذى الإنسان من إنسان آخر إلا بما قد قُدِّر له عند الإله.

وقبل أن تغرب الشمس الدافئة بوقت قليل ذهب "بانديل" إلى منطقة بعيدة عن الناس، منطقة عند سفح جبل "طابان" الذي يحجب القبيلة من الناحية الشرقية، في تلك المنطقة كان يقضي "بانديل" أكثر وقته، ذلك لأنه قد ورث عن أبيه مكتبة كبيرة تحت الأرض في تلك المنطقة وبعيداً عن الناس، حتى لا يعرف "جومار" أي شيء عما تحتويه من كتب، ولما اقترب من صخرة كبيرة بعض الشيء في منطقة مزدحمة بالأعشاب، انحنى بجوارها إلى الأرض وجنّب الصخور والرمال بيده حتى ظهر له باب المكتبة الذي صنع من خشب الأَرز الصلب، ثم إنه هبط إلى أسفل للمكتبة وأغلق الباب من فوقه، وكان قد نقّش الباب ببعض الأحجار من فوقه، وذلك بتثبيت الأحجار غرساً حتى لو مر أحد من جواره لا يراه أو لا يشك أنه باب لسرداب تحت الأرض.

كانت تلك المكتبة سرداب طويل، يحتوى على الكثير من الكتب وأشياء أخرى تتعلق بعائلة "بانديل"، آثار أسلحة حربية، ومتعلقات نساء من ذهب وفضة وعاج وحرير، ومتعلقات الأطفال من ألعاب خشبية وما شابه، كل ذلك خلافاً للمكتبة التي تراصت بالكتب القديمة على جدران السرداب، الكتب التي تنوعت علومها ومواضيعها إلى أكثر من خمسة وعشرين علماً وموضوعاً، كتب تحكي أساطير الأيام الخوالي، وأخرى تتكلم في الأدب، وأخرى في الفلك، وأخرى في المنطق، وأخرى في الفلسفة، وأخرى في الرياضيات، وأخرى في الهندسة، وأخرى في فنون الحرب والقتال، وأخرى في الطب، وأخرى وأخرى، كل تلك

الكتب والمجالات المتنوعة أجادها الرجل إجادة كلية.

كل ذلك و "بانديل" لم يهتم وقتها بأي شيء، مع أنه لم يأتي إلى المكتبة منذ وقت ليس بالقليل، كل ما كان يهتم به في ذلك الوقت هو كتابه "حياة بانديل" الذي يقص فيه كل ما يحدث له بالدقة، بل كان يكتب عن أناس لم يراهم إلا مرة واحدة دون حتى أن يتأثر بهم أو يتأثرون به، وذلك لشدة الدقة التي تحررها في كتابة قصة حياته، وعندما أمسك بالكتاب جلس على أحد المقاعد وأمامه مكتب قديم قد ورثه أباه عن أبيه عن جده، وأمسك بالريشة وغمسها في المحبرة وبدأ يكتب ما حدث:

«في هذا اليوم من أيام الشمس الدافئة،

كنت أزرع في الحقل قبل أن يأتي سبراك؛

ولدي الذي يتوسط أخوته.

كنت أضرب بفأسي الأرض وأضع البذور،

آملاً أن يرزقني الإله ثمراً عظيماً.

كنت أزرع بذور نبات الذرة..

الذي قد بدأ موسمه أخيراً.

ومن بعيد سمعت صوت سبراك،

كنت وسط الناس المزارعين فلم أسمع جيداً،

ولكنه-عندما اقترب قليلاً سمعته يقول:

«مرحي يا أبي لقد جاء الطفل الجديد!!

لقد أنجبته أمي الآن!».

فأشرق وجهي من السعادة!

تلك السعادة التي كانت على مرأى ومسمع من الناس،

فبارك لي المزارعين من حولي،

فتقبلت ذلك منهم بابتسامة جميلة!

وتركت الفأس من يدي وأسرعت ناحية الكوخ..

ذلك الكوخ الذي أقطن فيه أنا وأسرتي.

كنت أسابق الريح في ذلك الوقت،

وكان سبراك يجري من خلفي،

كان يجري كالقطة وراء صاحبها!

حتى وصلت إلى الكوخ الجميل،

فوجدت نساء خارجات وداخلات،

فقابلوني بهتافات جميلة..

منهن من كن يقلن:

«حرسه الرب لك!».

ومنهن من كن يقلن:

«جعله الرب إعانة لك على مصاعب الحياة!».

لكني دخلت إلى زوجتي كونديرا ،

فوجدت الطفل يصيح بجوارها ،

فحملته وقربته إلي،

ووضعت قبلة دافئة على جبينه ،

وكان كالبدر في تمامه كوالدته!

تلك التي أخبرتني أنه يشبهني أنا وليس هي!

هكذا قالت لها النساء..

ولكني أرى أنها تفوق جمال النجوم!

فكيف يشبهني الولد الذي كالقمر ولا يشبهها هي؟!

تلك الثريا الرائعة الجمال!

والتي كنت أحس بألمها الذي لم تخبر به أحد!

ثم أخرجت من جيبي بعض قطع الفضة ،

وأودعتها للمرأة التي وضعت زوجتي على يدها ؛

تلك القابلة التي تستقبل الطفل من الرحم،

ومن ثم أغلقت باب الكوخ وقلت:

«بماذا سنسميه؟!».

فقالت كونديرا :

«نترك الاختيار لشقيقته التي تكبره..

كما سماها سبراك عند مولدها».

فاستشرت ساجوم ابنتي،

فقالت: «لا مانع يا أبي سوف أسميه إندو».

فقلت : «وليكن إندو بانديل».

كانت عادتنا أن نجعل الابن يسمي أخيه الأصغر منه.

ثم إنني شرعت بأن أقيم له حفلاً عظيماً،

يدوم سبعة أيام لا تنطفئ فيه المشاعل ليلاً،

حتى اليوم السابع يوم ختانه.

ولكن سوف تدوم السعادة معه حتى الموت،

حتى نذهب إلى الإله الأعلى،

الذي يرزق كل دابة في كل مكان،

إنه الذي يحمي الإنسان وكل المخلوقات..

فهو الذي يخلق كل شيء،

ويسخّر بعض الأشياء لأشياء أخر».

بتاريخ /شيار الثاني من شهر بُصان في العام خمسمائة واثنان وثمانين بعد الألف الثالثة.

هكذا كتب تلك الأحداث كما هي دون زيادة ولا نقصان، كي لا يتوهم القارئ بعد ذلك في مصداقيتها، بعيداً عن الأساطير والخرافات التي لا يقبل به

"بانديل" وبعيداً عن المبالغات الزائدة، فدائماً كان يرتاد البساطة في كل شيء ولكنه كان بليغاً وذا فصاحة شديدة بالكتابة، ثم إنه أخرج كتاباً خالياً من الحبر وكتب عليه بريشة عريضة "إندو بانديل"، ثم كتب تحته يوم ولادته وهو (شيار الثاني من بُصان في العام خمسمائة واثنان وثمانين بعد الألف الثالثة)، ثم ترك الكتابة جانباً وقام يبحث على هدية ثمينة يهديها إلى الطفل الصغير ابن اليوم الواحد، ولم يجد أقيم من لعبة خشبية صغيرة الحجم كان قد جلبها له والده عندما كان صغيراً، وهي تمثال لرجل جالس القرفصاء وبيده كتاب وله زر من الخلف إذا ضُغط عليه جعل التمثال يدور برأسه دائرة كاملة، ذلك التمثال الذي أخبره والده أنه قد اشتراه جده منذ زمن بعيد، وذلك عندما علم أنه من صنع الشياطين، إلا أن "بانديل" لا يؤمن بتلك التفاهة على حسب اعتقاده السليم، ظهر التمثال في لون فضي جميل لم تُذهب الأيام الطويلة جماله الذي كان عليه، وذلك للمحافظة التامة التي لاقاها من جانب "بانديل"، فهو دائماً يحافظ على الأشياء ويعتبرها آثار الأسلاف التي لا يمكن أن يفرط فهيا أبداً، وهي بالفعل كذلك، ثم إنه لم يرد أن يتأخر أكثر من ذلك فأخذ اللعبة وترك كل شيء خلف ظهره وصعد إلى سطح الأرض وغطى السرداب كما كان، وانطلق قاصداً كوخه المليء بالبهجة والسرور، ولما وصل كان الناس وقتها يقيمون على الحفل، وقد اجتمع أناس كثيرون نساء ورجال وأطفال، كانوا جميعاً يسألون عنه وكيف يتأخر على طفله الجديد في مثل هذه الساعة، ولكنه اعتذر للجميع وأخبرهم أنه فقط كان قد ذهب كي يشتري له هدية قيمة، ثم إنه دخل الكوخ إلى زوجته التي قد انتهت من

إطعام ولدها "إندو" المولود الجديد، فأعطاها الهدية الفضية قائلاً: «هذه هدية "إندو" كما جئت بهدية لـ"ساجوم" من قبل، ولأخوتها من قبلها».

فابتسمت "كونداليرا" قبل أن تقول: «هدية جميلة يا "بانديل"، ولكنها عجيبة جداً، فما رأيت مثلها قط».

«إنها بالفعل كذلك، والآن ستِرتاحين أنت أما "إندو" فسوف آخذه من أجل الحفل».

«إذاً كن حذراً عليه من الهواء».

«لا تخافين إنني سأضعه في عيني وأغطيه بجفوني وأداعبه برموشي».

فابتسمت "كونداليرا" قائلة: «لا .. يكفي فقط أن تسدل الخرقة على وجهه وهي كفيلة بأن تحجبه عن الهواء البارد».

فابتسم "بانديل" هو الآخر قائلاً: «عندك حق فإن القليل من الحقائق تغني كثيراً عن الجميل من المبالغة».

ثم خرج إلى الناس المنقسمين إلى قسمين أحدهم من جلس أمام الكوخ على شكل دائري وهم الرجال، بعباءات فضفاضة تصل إلى الكعب، ذات أكمام طويلة وبنيقة ضيقة تستر الرقاب، وغطاء للرأس ينزل إلى المنكبين ومن الخلف إلى نصف الظهر، وأكثر الألوان فيها هو اللون الأبيض، كما لو أنهم رجال دين أو ما شابه، والقسم الآخر وهن النساء وقد جلسن خلفهم، بثيابهن الذي لم يكن يختلف كثيراً، حيث عباءات أيضاً فضفاضة ولكنها تنقسم إلى جزأين، كما انقسمت الأكمام هي الأخرى إلى جزأين، تلك الأكمام الداخلية وهي التي تضيق

بوصولها إلى الرسغ، وهي بلون الجزء الأسفل من العباءة التي تتسع كثيراً إلى الأرض والتي تأخذ شكل زهرة اللوتس المقلوبة، وكانت أكثرها تأخذ اللون الأزرق السماوي، والأخرى هي التي تصل بالجزء العلوي للعباءة لينزل بشكل روب من الخلف، ويفصل بين الجزء العلوي والسفلي خيوط حمراء تنزل على أطراف الجزء السفلي ليرسم الزهرة، أما بالنسبة للجزء العلوي فكان يأخذ اللون الأخضر الداكن، ويخرج منه الروب ذا الأكمام الواسعة التي لا تصل إلى الكوع حتى تنزل مع الروب إلى أسفل، وخمار يبدأ من الرقبة ليغطيها تماماً وينزل إلى أعلى الصدر بقليل، وكان لونه أبيض دائماً، وغطاء للرأس يواريها كاملة وينزل منه شيئاً إلى نصف الظهر من فوق الروب، ليعطي منظراً عظيماً لامرأة تحافظ على نفسها من أنظار الرجال، وقد جلس هو بجوار الرجال أثناء لعب الأطفال أمامهم .. وكان لا يختلف ثوبه عن معظم الرجال الحاضرين، وكان الأشقاء الثلاثة الذكور لـ"إندو" وهم "سبراك" الأوسط، و"ساتيدما" الأكبر منه بأعوام ثلاث، والشقيق الأكبر "أكيار" والذي يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً، يوزعون على الحاضرين بعض الحلوى وكؤوس من ماء الورد، وما إلى ذلك من المأكولات والمشروبات التي يفرح بها الأطفال والكبار على حد سواء.

ومر يوم بعد يوم والشعل لا تنطفئ إلا في النهار فقط، ذلك لأن الشمس الدافئة تغنيهم عن أي ضوء آخر، ومظاهر الاحتفال بالمولود في غاية التأجج، وفي الليالي الثلاث الأخيرة قد قامت "كوندليرا" من رقادها لتحتفل معهم بطفلها الجديد، وظلت تقيم مراسم الحفل مع زوجها وأولادها وتقدم الحلوى كما كان

يفعل أولادها وقت رقادها سعيدة بـ "إندو"، الطفل الجديد التي أحست بشيء غريب حيال ولادته، وكأنها وللهول الذي أنشأه "جومار" لهم في كل مكان يتبع لـ"دويرام"؛ أرادت أن يعلم الناس أنها ليست خائفة على نجيبها الجديد من ذلك المتأله، فأرادت أن تحتفل به هذا اليوم احتفالاً عظيماً لتعوض الأيام الستة الماضية، وذلك لأنه يوم الختان الذي لطالما انتظره الجميع، وفيه ازدادت أعداد الناس إلى أضعاف الأيام السابقة، وكانوا جميعاً ينتظرون الختان على أحر من الجمر حتى تتم سعادتهم، فكان الختان بالنسبة لهم أهم من الولادة نفسها، وذلك في معتقداتهم وعادتهم وطبيعتهم، أن الختان حصان بعد ذلك للإنسان بجنسية من الوقوع في الخطيئة والرزيلة.

قام ثلاثة من الجالسين لتمثيل تمثلية صغيرة تعم عليهم بالبهجة والسرور، وكان على أشكالهم نظرة الفكاهة وهم في أعمار مختلفة، مثّل أكبرهم دور أب، وقد وضع من يقاربه في السن خرقة فوق رأسه ومثّل دور أم، وأما الأخير وهو أصغرهم فقد قام بدور طفل صغير .. وفي صمت تام جرى حديث بين الأب والأم، حديث حركي وليس صوتي أي بالإشارة فقط، تلخص في عتاب الأب الصارم الصادر إلى الأم، لأنها تركت طفلاهما يبكي بشدة دون أن ترضعه، وفي نفس الوقت مثل الأخير دور الطفل بطلاقة، فكان يضرب الأرض وهو يبكي، في مشهد جعل الجالسين دون استثناء يقهقهون من الضحك، ثم تذهب الأم كي تحمله فلا تستطيع، فتستعين بالزوج، فيأتي هو ويحمله من قدمه، وتحمله هي من عند رأسه، كل ذلك في صمت تام دون أن يتكلم أحدهم بكلمة واحدة، ولما لم يستطع

الرجل حمله، جعل المرأة تتركه وقام هو بقلبه على بطنه جاعله يستند بيديه وقدميه وكأنه يحبي، ثم إنه ذهب من خلفه وضربه بقدمه ضربة ظاهرها قوية باطنها كبعض هواء خرج من أنف، يستقبلها الطفل بظاهرها فيقفز مع الضربة أكثر من ثلاثة أذرع، فيرجع الناس إلى نفس القهقهة مرة أخرى، ويضع الرجل يديه إلى جانبيه ويهز نفسه ويمثل أنه يضحك، وذلك في مشهد خرافي مضحك للغاية.

في ذلك الوقت قد وصل "الختّان" إلى الحفل، فقام "بانديل" باستقباله وأدخله إلى الكوخ، وجعل زوجته تحضر ابناهما "إندو"، حتى أحضر الرجل شفرة القطع وطهرها جيداً من كل شائبة، وأخرج أيضاً مادة مخدرة قد طحنها من بذور الخشخاش، ووضعها على قلفته وانتظر بعض الوقت حتى يتخدر الموضع، ومن ثم قطع قلفته بشفرته الطاهرة ووضعها في قطعة من القطن ولفها في خرقة صغيرة أعطاها إلى "بانديل"، بكى الولد قليلاً من الوقت إلا أنه سكت بعد ذلك عندما قامت الأم بإرضاعه، وأكرم "بانديل" الختان ثم خرج إلى الناس بيده الخرقة، فصاح الناس جميعاً في تهليل عظيم.

ولما خرجت الأم بعد ذلك بالطفل صاح الناس أكثر، والنساء قد اقتربن منها كل واحدة تضع قبلة دافئة أو قبلتين على وجنتيه، وتناثرت الهدايا عليه، فقام أشقائه بجمع كل تلك الهدايا ووضعوها في الكوخ، حينها جلست الأم بولدها مع النساء، وأولادها قد قاموا بتوزيع الحلوى ومشروبات ماء الورد مرة أخرى، ثم قام رجلان وأمسك كلاً منهما بيد "بانديل" وطلبا منه أن ينشد نشيداً لولده

الحبيب، فاعترض الرجل في بادئ الأمر إلا أنه لم يستطع ردعهم، وذلك بعد أن صاح الجميع طالبين منه الغناء، فوقف وسار بضع خطوات إلى زوجته وأخذ منها الطفل، وقبله بعض القبل على جبينه وعلى وجنتيه قائلاً: «ولن إذاً سوف أغني إن لم أغني لك أنت يا قمري؟!».

ثم قبله بعض القبل الأخرى وبدأ يغني قائلاً:

«إني أحب البدر حباً شديداً؛

لأنه هادئ ساكن يقدّر حبنا له.

كما أنني أحب النجوم والسماء والكواكب،

وأظل أنظر إلي جميعها في الليل..

ذلك الليل المضبب بالسكون الدائم،

بعيداً عن وعوعة الذئاب ونباح الكلاب،

وبعيداً عن تغريد العصافير مع أنني أعشقها،

وبعيداً عن خرير الماء وهزيز الرياح،

فقط انسجام النجوم مع السماء،

وابتسامة القمر ليلة اكتماله،

كل ذلك أتعايش معه الآن..

وأنت يا إندو بين يدي.

لا أعرف كيف أشكر الإله،

على أنه أعطاني إياك!

ولكنه يعرف جيداً أنني أحبه،

إنه قريب جداً من كل إنسان..

فهو أقرب لك من والديك الآن يا إندو،

أقرب مني ومن كوندليرا،

أقرب لك من ساجوم وسبراك،

وأقرب لك أيضاً من ساتيدما وأكيار،

كما أنه أقرب لك من أي إنسان آخر؛

لأنه هو الإله الذي صنعك.

فلقد قال أحد الحكماء: (1)*

«فكر في صنع القادر وابحث عن الصانع..

الذي أبدع جمال صورة الخالق.

فمن ذا الذي أدار حدقة عينيك؟!

ومن ذا الذي فتح أنفك وفمك وأذنيك؟!

ومن ذا الذي أنشأ عظامك وكسي لحمك بالجلد؟!

ومن ذا الذي سوي أصابعك وبسط قدميك؟!

---

* هو الحكيم الفرعوني هيرميس .. من كتاب نبوءات هيرميس .

ومن ذا الذي شكل قلبك وجوف رئتيك؟!

ومن ذا الذي جعل جمالك ظاهراً ، وأخفى قبح أمعائك؟!».

أريدك أن تبتسم دائماً يا ولدي .. دائماً!

وأريد أن تُعلّم البسمة للجميع.

كن مسالماً مع جميع الأشياء التي صنعها الإله ،

واجعل تلك الأشياء كأنها نفسك وذاتك.

حب لجميع الناس ما تحبه لنفسك ،

وأعطي جميع الناس ما تأخذ لنفسك ،

لأن الإله يحب لك الخير دائماً ،

كي تقترب منه وتنول عطاياه.

فإني أحبك أكثر من نفسي ،

ولكني لا أحبك أكثر من حب الإله لك..

فاعبده يا ولدي حق عبادته ،

ولا تجعل الشيطان يخونك أو تخونك نفسك ،

إن الشيطان والنفس والهوى أعظم الأعداء ،

فاجعلهم أعداؤك قبل أي شيء.

واعلم أن أي إنسان من الممكن له أن يتوب عن أخطائه ،

ولكن الشيطان لن يتوب أبداً..

لأنه خالف الرب في بدء خلقنا!

فهو يكرهنا كثيراً فاكرهه كما يكرهك،

هكذا مكتوب في كتب السالفين.

إنني لا أدري إن كنت سأغني بمثل هذا مرة أخرى أم لا؟!

لكن الإله يعلم كل شيء،

وأنا لا أعلم أي شيء عن المستقبل،

إلا أنني أتمنى منه أن يجعلك سوياً..

تبحث عن الخير من أجل الناس،

فإن الإله يحب من يبحثون عن الخير» .

صفق له الجميع على تلك الكلمات التي أنشدها، تلك الكلمات التي أثرت فيهم جميعاً، فهم يعلمون جيداً أن "بانديل" على غاية كبيرة من الإيمان بالإله الواحد الذي خلق كل شيء من لا شيء، ولكنهم استعجبوا لتلك الدرجة الكبيرة التي فاقت علمهم به، تلك الدرجة التي لم يكونوا متصورين أنه عليها، ولم يتوقفوا عن التصفيق لحظة واحدة حتى كادت أكفّهم تتورم من ذلك.

في ظل تلك الأيام السبعة التي هن عمر "إندو" كان أبوه دائماً أثناء الانتهاء من الحفل، وفي سكون الليل ينفرد به كي يكمل عادات عائلته التي وَرَثت الحكمة ولد عن والد عن جد؛ يقترب من أذنه اليمنى تارة وتارة أخرى إلى أذنه الشمال، يذكر النفس بالخيرات في اليمنى، ويبعدها عن الشرور في الشمال، فإن

تلك التعاويذ تنقسم إلى قسمين: أحدهم .. الأمر بالخيرات، والثاني .. الأمر بالبعد عن الشرور، هكذا هي التعاويذ كما تعلمها من أبيه بادئاً باليمنى قائلاً:

«أيتها النفس الساكنة داخل هذا الجسد..

كوني مطيعة للإله الخالق،

قولي قولاً معروفاً يحبه الإله ويحبه الناس،

كوني مبتسمة للحياة التي أعطاها الإله لكِ،

كوني طيبة فإن الإله طيب،

وكوني جميلة فإن الإله جميل،

كوني صادقة في أقوالك وأفعالك،

وآمني بكل شيء يحدث لكِ،

فكل شيء يحدث لكِ من الإله هو امتحان،

فكوني مؤمنة بكل شيء،

ثم اجعلي هذا الجسد مستقيماً كما أمر الإله،

اجعلي ذاتك قريبة من الإله،

فإن الإله يدنو إلى من يبادر بالقرب منه،

إنه الإله الذي نفخ الروح إلى هذا الجسد،

وخلقك أيتها النفس فكوني مطيعة دائماً».

هكذا كان النصف الأول من التعويذة، ومن ثم انتقل إلى أذنه الشمال

مستأنفاً النصف الثاني منها قائلاً:

«أيتها النفس الساكنة داخل هذا الجسد..

لا تكوني مسيئة أبداً ولا تتّبعي الغرور،

ولا تأخذي صاحب هذا الجسد إلى التهلكة،

ولا تكوني ساخطة على الحياة مهما كان الأمر،

لا تسخطين على المأكل والمشرب والملبس،

لا تسخطين على الشكل واللون،

فإن الإله لا ينظر إلي ذلك،

إنه فقط ينظر إلى القلب والعمل،

ثم لا تسخطين على العمل،

فكل عمل عند الإله جميل،

إلا أن يكون عملاً حرمه هو على الإنسان،

ولا تحكّمين الشيطان فيه ولا حتى الهوى،

فإن الشيطان لعنه الإله..

إلى يوم فيه يُحاسب الجن والإنس،

وإن الهوى يأخذه إلى فعل أشياء محرمة،

فلا تجعليه يفعل كل تلك الأشياء،

لأنها محرمة حرمها الإله الخالق،

وكل شيء حرمه الإله ويفعله الإنسان،

يعاقب عليه عقاباً شديداً».

ولما انتهى من هذي وتلك وقف أمام الطفل، وكان هو قبالة النافذة المفتوحة، ومن ثم أغمض عينيه وترك لسانه يبتهل إلى الإله بدعاء جميل مرجو قائلاً:

«أيها الإله الخالق..

إنك قد أعطيتني أولاداً مطيعين،

يحبونك ويحبون الخير،

ويحترمون الأشياء المقدسة،

ويحترمون الكبير ويعطفون على الصغير،

ينظرون إلى مخلوقاتك العظيمة!

من النملة الصغيرة التي أحياناً لا تُرى!

إلى السماء العظيمة العالية!

التي رفعتها بدون عمد!

وما تحمل من نجوم وكواكب!

هكذا يا إلهي هم أولادي،

ولكن هذا المولود الصغير..

لا يعرف شيئاً في وقته هذا!

ففي هذه الليلة قد ختن،

وقد أتم سبعة أيام دون نقصان،

وأنت تعلم هذا بالفعل،

ولكن أنا عبدك الذي لطالما أحبك؛

ولطالما ابتهل إليك،

ولطالما ناجاك وبكى لك،

ولطالما منع نفسه من النوم لعبادتك،

ولطالما نطق بالحق من أجلك،

ولطالما نصر المظلوم تقرباً منك،

ولطالما ساعد الناس كي تحبه،

كل ذلك ليس شيئاً وأنا لست شيئاً،

والحياة ليست شيئاً،

فأنت الذي هو كل شيء،

استجب لمناجاتي لك،

أرجوك أرجوك يا إلهي،

أرجوك دائماً وأبداً،

أن تتقبل ما أرجوك به،

هذا هو طفلي الصغير..

فاجعله يبحث عن السعادة في كل مكان،

اجعله يبحث عنها لكل الناس،

اجعله مؤمناً بك ولا تجعله من الخاسرين،

واحفظه من مكائد الشيطان اللعين،

وانصره على من يظلم،

واجعله نصرة لمن ينتصر به في الخير،

ولا تجعله محالفاً للشر أبداً،

واجعله ذكياً فطناً بالأشياء،

وهكذا أولادي جميعاً،

فإنهم جميعاً عبادك الطيعين،

الذين يمتثلون لأوامرك وينتهون لنهيك».

انتهى "بانديل" من ابتهاله للإله، فحمل ولده وذهب به إلى زوجته التي استقرت في حجرتهما هي وجميع الأولاد، حيث أن "بانديل" كان في حجرة الأولاد، أعطى زوجته "كونديليرا" ابنهم "إندو" وأمرها أن ترضعه حتى يراجع ما تعلمه أولاده في مدرسة الأخلاق عند الحكيم "صهْيَا"، فأمرهم جميعاً كل واحد منهم يأتي إلى الحجرة ومعه قرطاسه ومحبرته وريشته، ثم إنه جلس القرفصاء على أحد الفراشين الذين صنعهم لأولاده، داعياً أكبرهم قائلاً: «ماذا لديك يا أكيار؟ هل لديك حفظ شيء؟».

فأجابه "أكيار" قائلاً: «نعم يا أبي، فلدي حفظ الرسالة الثالثة والخمسون بعد المائة الأولى من كتاب الحكيم "صهْيَا" في فن الأخلاقيات».

فقال الأب: «وهل حفظتها؟».

فأجابه مرة أخرى قائلاً: «نعم حفظتها جيداً عن ظهر قلب».

«إذاً قل ما تحتويه الرسالة».

كان الحكيم "صهيا" يتحدث في هذا الكتاب في سبعين ومائتين رسالة عن أخلاق الإنسان بين حسنة وسيئة، لو اتبع الإنسان حسنها لأصبح العالم أجمع في سلام دائم، وهكذا لو تجنب سيئها.

فأغلق "أكيار" عينيه ثم وجم قليلاً قبل أن يقول:

الرسالة الثالثة والخمسون بعد المائة

(كيفية معاملة السفيه)

يقول "صهْيَا" الحكيم:

«إن السفيه هو الجاهل الذي تنحى عن الحلم،

والطائش الذي اضطرب عقله،

والمستخف بالحق المحب للباطل،

وهو أيضاً الوقح الذي لا يتكلم إلا بالسوء،

وهو الأحمق المنبوذ من الآخرين،

المتسلط على الحق القليل العقل والإيمان،

لا يكترث لأقواله مهما كان قبحها،

خاقد على ما يمتلكه الآخرون،

لا يصيب التصريف في الأشياء،

حتى تلك الأشياء التي يمتلكها.

هذا هو السفيه على ما أعلم،

والإله بذلك أعلى وأعلم،

وإن المعاملة الصحيحة مع من هو كذلك..

عندما نتقابل معه..

نحن أصحاب الأخلاقيات الحسنه؛

نتبع الصمت والحلم معه لأنه بذلك يصمت،

فيقلل من الكلام الزائد الذي كان عليه،

ونصبر على ما بدر منه وعلى ما يبدر،

ونبتسم في وجهه أثناء حديثه،

إنني أفضِّل أن تكون الابتسامة جامدة باردة،

لأن ذلك يُرجعه عن سفهه وحمقه،

ثم إنه لابد أن تُكسر ثقته بنفسه،

فإذا استطعنا فعل ذلك انتصرنا،

ليصبح أبكم لا يستطيع التكلم،

ومن ثم نجعل ثقتنا بأنفسنا أمامه كالنجوم،

نراها فقط ولكن لا نستطيع أن نمسها!

وهكذا الإعراض عنه يجعله منبوذاً بين الناس،

هذا يجعله وحيداً لا يجد إلا نفسه،

كي يتعامل معها بالسفه والحمق».

أثنى "بانديل" على ولده "أكيار" وسأله في حكمة قائلاً: «لقد أصبت في حفظك لتلك الرسالة العظيمة، وأداء قراءتك لها ممتع جداً، لكن ماذا عن العمل بها؟!».

ولكن أجابه ابنه في ابتسامة رقيقة قائلاً: «أنت تعلم دائماً يا أبي أنني لا أحفظ شيئاً إلا بعد أن أعمل به».

فابتسم الوالد هو الآخر قائلاً: «وهل أتيت بمن فيه سفه وحمق وجربت عليه ذلك؟!».

فابتسموا جميعاً لذلك، حتى استأنف "بانديل" كلامه قائلاً: «هكذا صاحب الأخلاق الحسنة، والآن ماذا لدى الباقين؟».

الفصل الثاني

القربة المثقوبة

لم يكن لآل "بانديل" مخزن للمياه، لذا كان "بانديل" يترك المياه في القربة التي يجلبه فيها من نهر "قبْرُونيا" حتى ينفذ فيذهب إلى النهر مرة أخرى كي يملأها وهكذا، ذلك النهر الذي ينبع من ناحية الجنوب الغربي من بلاد "بوشان" والذي يمر على أكثر من خمس عشرة بلدة، تلك البلاد التي زارها الفيلسوف المقدس أثناء بحثه عن "التنين العظيم" .. وفي أحد الأيام كان "إندو" قد كبر وأصبح ابن الأربعة أعوام، وكان أبيه ذاهباً إلى النهر بقربته مترجلاً، فكان لا يحب أن يركب أية دواب حيث أنه يذهب من ناحية الشمال الغربي لأن النهر من تلك الناحية أقرب له من أي ناحية أخرى، حيث أول التقاءه بقبيلة "قُرّان"، مع أنه يملك جوادان نفيسان جداً وبعض الدواب الأخرى، وكان يضعهم في حظيرة خلف الكوخ، فهو يملئ القربة أكثر من أربعة مرات في اليوم الواحد، وذلك ليكون ثلاث مرات للدواب عنده ومرة واحدة لأهله، مع أن النهر بعيد عن الكوخ بعض الشيء، ولكنه لم يكن يأبه لذلك لأنه يظن أن التعب من أجل الآخرين شيء مقدس على كل امرئ، في ذلك الوقت الذي فيه أراد أن يملئ القربة أمسك فيه "إندو" الصغير طالباً منه أن يأخذه معه، فابتسم له ووافق على ذلك، وحمله إلى

كتفيه لكن "إندو" رفض ذلك قائلاً: «لا يا أبي لا تحملني فأنا أريد أن أمشي بجوارك».

فتعجب الرجل من ولده، لأن الأطفال الصغار في مثل هذا السن يطلبون من آبائهم أن يحملونهم دائماً، لذلك قال: «ولم لا تريد أن أحملك كما يفعل الأطفال الآخرون يا "إندو"؟!».

فتمتم الصغير قائلاً: «لأني لست طفلاً مثلهم يا أبي، إنما أنا رجل ولي رجلين أمشي عليهما».

فازداد تعجب الرجل قائلاً: «كيف تعلمت هذا الكلام يا "إندو"؟!، إنك مازلت صغيراً على مثل هذا».

«لست صغيراً يا أبي، فلقد تعلمت دروس "ساجوم" قبل أن تتعلمها هي، وبعضاً من دروس "سبراك" قبل أن يتعلمه هو الآخر، إنني ذكي حقاً أكثر منهما».

فابتسم الرجل قائلاً: «إن هذا هو حب الإله لك يا ولدي، فأحبه كما أحبك يا "إندو"، ولا تكن مغروراً بذكائك».

فقال "إندو": «إنني أحب الإله كثيراً، فأنت علمتني ذلك جيداً، وقد علمني أيضاً سيدي "صهيا" الحكيم كيف أحب الإله، ولكن ما هو الغرور؟».

«إذاً أخبرني بما علمك إياه "صهيا" الحكيم، وبعد ذلك سأخبرك ما الغرور».

فقال "إندو" البالغ من السن أربعة أعوام:

قال "صهيا" الحكيم:

«إن حب الإله الأوحد عظيم جداً!

ليس كمثله شيء فلابد أن نحبه،

إنه خلق الحب وعمه بين الناس،

وهو شيء روحاني عظيم،

لا يستطيع الإنسان العيش من دونه!

لذلك لابد وأن نحب الإله أولاً،

حتى نحب كل شيء بعد ذلك!

وحب الإله هو:

«البعد عن كل شيء يبغضه الإله الرب.

فإنه أقر من فوق السماوات أنه واحد،

لا إله غيره ولا رب غيره فإنه المعبود،

الذي يعبده كل شيء خُلق من عدم،

كالسماء والنجوم والكواكب والأقمار..

والشهب والذنب والسحب والمدار..

والأرض والجبال والبحار والأنهار..

والصخور والرمال والزهور والأشجار..

والأسماك والأنعام والطيور والأمطار..
والإنسان والجان وقد جعل جنة ونار..
والملائكة خلقهم معصومين من الأخطاء،
يطيعون أوامره في الخلائق الأخرى،
فقد جعل لهم وظائف ومهام يقومون بها،
كل فئة في المهام تختلف عن الأخرى».
وكل تلك الأشياء خلقها الإله الرب،
كي لا يكون لنا حجة في شيء،
والذين كُلفوا بالعبادة هم الجن والإنس،
وهم غير معصومين إلا ما أراد الإله الواحد،
وذلك إذا بعث رسلاً أو أنبياء للتذكرة،
وهؤلاء الرسل لا يكونون إلا من الإنس،
لأن الجن منهم من ينذرهم من جنسهم،
بما جاء به الرسل من الإنس،
ونحن إذا اعترفنا بهذا كله أحببنا الإله،
لأن حبنا له هو الاعتراف به وبخلقه،
ولا بد أن يكون حبنا..
للأشياء الأخرى من أجله هو،

لا نحب شيئاً لذاته إلا الإله،

فهو كل شيء ونحن لا شيء،

والأشياء كلها لا شيء،

نطلب منه كل شيء،

ولا نطلب من أي أحد غيره شيئاً،

ونرجو منه دائماً أن يسامحنا،

والرجاء إليه في الفوز بجنته،

والخوف منه والفزع من ناره،

والعمل ليوم فيه سوف نلقاه،

إنه الإله الرب!

إذا أحببناه بالطاعة أحبنا،

وإذا قصرنا في طاعته بغضنا،

ونحن نأمل حبه لنا،

ولا نأمل منه غير ذلك،

فإنه عندما يحب عبداً من عباده،

يرزقه الخير ويبارك له فيه».

ابتسم الأب قائلاً: «لقد صدق "صهيا" حقاً، فهذا هو الحب الحقيقي للإله الرب، ولابد أن نعمل بكل هذا يا "إندو" ولا نجعلها كلمات فقط على ألسنتنا، بل

تكون أعمالاً حقيقية حتى نقترب من الإله دائماً ونبتعد عن الأخطاء».

«هذا صحيح يا أبي، ولكن لم تقل لي بعد ما الغرور؟».

«سأخبرك عن الغرور يا "إندو"، فاسمع جيداً لأن الغرور شيء يخالف حب الإله» .. ثم إنه صمت قليلاً قبل أن يقول:

قال الحكيم ابن صادان:

«إن الغرور هو حب النفس أكثر من أي شيء!

وذلك عندما يجد المغرور أنه فصيح في شيء،

فبه يعجب بنفسه وتأخذه الخيلاء..!

إلى طريق لا يرى فيه إلا نفسه،

تلك النفس التي أصبحت كل شيء في ذاتها،

لا يعجبها أحد أبداً مهما كانت كينونته!

حتى وإن طال الغرور بها أصبحت إلهة ذاتها!

لا تأخذ إلا بما ترى،

ولا تفعل إلا ما ترضاه،

وبذلك يرى الإنسان نفسه كبيرة عن ذاتها،

وكبيرة على غيرها،

فتزهو النفس وتعلو عند صاحبها،

حتى أنه يجئ بعضاً من هؤلاء..

ويقول أحدهم تلو الآخر:

أنا ربكم الأوحد فأطيعوني ولا تعصوني!

فهؤلاء هم من يكفرون بالإله الواحد،

وذلك لأنهم اغتروا بأنفسهم.

عندما يجد شخص أنه متفوق في شيء،

وعندما يرى آخر أنه أذكى من أي أحد،

وعندما يرى آخر أنه أقوي من أي شيء،

وعندما يرى آخر أنه أطيب من كل البشر،

وعندما يجد آخر أنه أغنى من كل المخلوقات،

كل تلك الأشياء التي لا تكون منه هو،

التي لا تكون بعلم من عنده،

بل هي من عند الإله الأعظم،

يعطيها لمن أراد اختباراً له في طاعته،

ولكن من يظن أنها بعلم من عنده،

فهو يخالف الإله الأعظم،

ويقع في شراك نفسه السيئة،

وبذلك يمقته الناس أجمعون،

ولا ينظرون إليه إلا نظرة حقر،

لأنه متكبر متعجرف لا يرى غير نفسه ،

فابتعدوا عن الغرور دائماً ،

واذكروا كل شيء تملكونه بالإله ،

لأنه من أعطانا كل شيء ،

فانسبوا إليه الأشياء جميعاً ،

ولا تذكروا أنفسكم بالإحسان ولا تذكوها ،

إنما الإحسان من عند الإله ،

بل اذكروا الضعف دائماً ،

لأن الإله يزيدكم قوة وبأساً ،

وانسوا الغرور لأنكم بهذا قد علمتم ما هو ،

إنه طريق إلى الشر..

والشر طريق إلى لعنات الإله..

واللعنات الإلهية طريق الجحيم».

فنظر "إندو" إلى أبيه قائلاً:

«إنه شيء بغيض جداً يا أبي، فلن أكون هكذا أبداً لأنني أحب الناس كثيراً، حتى أنني أحبهم أكثر من نفسي، ولذلك أريد أن أتعلم كل شيء قاله الحكماء السالفين، وأريد أن أتعلم كل شيء عند الحكيم "صهيا" لأن الحكمة هذه تجعل الإنسان محبوباً من الناس».

«إنها بالفعل كذلك يا "إندو"، وأنا سوف أعلمك كل شيء إذا أراد لك الإله ذلك، فمن الممكن أن تصبح حكيماً كـ"الفيلسوف المقدس"، ذلك الفيلسوف الحكيم الذي نشر السلام بين الناس جميعاً».

«نعم يا أبي، فأنا أحب ذلك كثيراً».

لم ينتهي كلاهما عن الحديث إلا أن بلغا النهر، حينها اقترب "بانديل" من المياه وملئ القربة.

كان ساعتها قد أحس "إندو" بالظمأ فطلب من أبيه أن يأخذه ليشرب، فلقد كانت المياه جميلة جداً تجرى في النهر مترقرقة كضياء الشمس، ملتوية كالتواء الثعابين تنزل بانحدار النهر، والصخور ظاهرة فيها كأنها قطع ذهبية وسط ماس متحرك، فربط "بانديل" القربة وتركها بجوار الشاطئ، ومن ثم أخذ ولده "إندو" إلى صخرة كبيرة وسط المياه أوقفه إليها، فانحنى "إندو" حتى أصبح القرفصاء، واغترف غرفة من ماء النهر على حجم يده وشربها قائلاً:

«ما أجمل هذه المياه يا أبي! إن طعمها رائع جداً!».

«إنها بالفعل كذلك يا "إندو"، ولكن هي نفس المياه التي تشربها هناك في الكوخ».

«بل هي أروع طعماً هنا، لأن المياه وهي تجرى في النهر ترسم حياة أخرى لا يعيشها الكثير من الناس، فكيف تركتني طيلة هذه الأيام دون أن تأخذني ولو مرة واحدة؟!».

«سأعوضك بدلاً من تلك الأيام أيام أخر، أكثر بكثير من تلك، لأن ما مر

من عمرك أربعة أعوام فقط، فإن أذن الإله لك بطول العمر فسوف تذهب إلى أي منطقة تشاء الذهاب إليها بلا أي مانع».

«هذا شيء جيد، فسوف أجيء معك كل يوم أثناء ملئ القربة».

«لا بأس بمرة كل يوم، ولكن إذا حافظت على ما تتعلمه من الحكيم "صهيا" فإني قد كلمته عنك كثيراً، وأخبرني أنك تحفظ كل ما يعطيك إياه، وأنك تحترم مقدسات التعليم، فهو يمدحك كثيراً لفطنتك».

«وأنا كذلك أحترمه كثيراً فهو يحبني ويعطيني من الحلوى ما لم يعط لأحد آخر، فأنا شاكر له فضله».

انتهيا من الحديث وقصدا الرحيل، فلما التفت "بانديل" إلى القربة وجدها خالية من الماء، فتعجب كثيراً لهذا وأمسك بها ليجدها مثقوبة من الأسفل، فنظر إلى ولده ثم رجع ببصره مرة أخرى إلى القربة قائلاً: «يا لك من قربة! ماذا حل بك؟! فكيف أصابك هذا الثقب ومتى؟!».

فأجابه "إندو" بدلاً من القربة قائلاً: «إنها قربة يا أبي لا تسمع ولا تتكلم، فكيف توجه لها تلك الأسئلة هكذا؟! فإنها لن تجيبك!».

فابتسم "بانديل" قائلاً: «إنني أعلم ذلك جيداً يا "إندو"، ولكن ما فعلته هذا يحدث من الإنسان وقتما يحدث له حادث غير متوقع!».

«ولكن ما حدث هذا شيء طبيعي، فإن القربة مصنوعة من الجلد، فمن السهل أن تثقب، ولكن إن كانت من الحجر فمن الصعب ذلك، ومن الممكن أن يكون هذا خير لك ولنا».

فتعجب الرجل بشدة لما سمع من ولده الصغير "إندو"، فهو يتكلم بحكمة كبيرة جداً على من هو في مثل سنه، لذلك أراد أن يختبر ما عنده من الحكمة، فقال: «وكيف يأتي الخير لنا من ثقبها هذا يا "إندو"؟! ألم ترى ماذا حدث لها؟!».

فأطرق "إندو" قليلاً ثم قال: «الإله يعلم، ولكن عسى أن يكون راحة لك من حمل القربة مرات أربع كل يوم، فلما كانت القربة سليمة لم يكن لديك من الوقت القليل حتى تفكر، ولكن عندما ثقبت هكذا أصبح لديك من الوقت الكثير حتى تفكر في حل يريحك من الذهاب والإياب هكذا بين الكوخ والنهر طوال اليوم».

اشتد الرجل تعجباً أكثر مما كان عليه، حتى قال: «إنني بالفعل لم يكن عندي الوقت الكافي للتفكير في هذا الموضوع، فأنا على هذا الحال منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وذلك بين عملي في الحقل، وعملي في الكوخ، وعملي في حظيرة الأنعام، وزيارة الأصدقاء، فلم أستطع التفكير في شيء غير أنني أملئ القربة أربع مرات في اليوم، وهناك مرات أملئها فيها أكثر من ذلك، والناس هنا في قبيلة "قُرّان" يعتمدون على ماء الآبار أكثر لبعد النهر عنهم».

«إذاً لا بد عليك أن تفكر الآن يا أبي، وأنا سأفكر معك في حل يغنيك عن الذهاب والإياب هكذا كل يوم».

فتأمل له "بانديل" في ابتسامة سعيدة قائلاً: «إذاً لا بأس في ذلك، فلنفكر سوياً يا "إندو"».

لم يكن يفكر "بانديل" في تلك المشكلة الكبيرة التي أثارها له "إندو"، وهي مشكلة تلك القربة والذهاب بها بين الكوخ والنهر مع العلم بأن المسافة ليست قصيرة، ولكنه رجع ليتأمل إلى ولده الذي نبغت به عوامل الذكاء والمعرفة بالحكمة، وما رآه منه من رجاحة عقله الذي لم يتصور قط أنه أو غيره يستطيع في مثل هذا السن الصغير التوصل إلى تلك الأشياء العظيمة، فهذا إن دل فإنما يدل على أن هذه موهبة إلهية خارقة ليس للإنسان دخل فيها .. ظل يفكر هكذا في ولده تاركاً إياه يفكر في ناحية أخرى مختلفة عما يفكر هو فيه، فإن "إندو" ظل يفكر بجدية في أمر والده مع تلك القربة التي لا تعطيه أي نوع من أنواع الراحة أبداً، وبحكم سنه الصغير فإنه لا يُعتمد عليه في شيء، مثل التفكير في حل لراحة أبيه الذي ظل متعباً طوال ثلاثين عاماً، يحمل تلك القربة والتي لأول مرة تثقب منه هكذا، وإن لم يحدث هذا الأمر بها؛ فلكان كل ما حدث بينه وبين ولده "إندو" مجرد شيء في علم الإله، وظلل الصمت عليهم ضوء الشمس حتى أنهما لم يحسا بشعاعها لكثرة التفكير، هذا في واد وذاك في واد آخر تماماً، حتى تكلم الطفل الصغير وكسر حاجز الصمت الذي خيم عليهم بل على النهر بأكمله قائلاً: «أتعلم يا أبي قدح الشاي الصغير المصنوع من الأحجار؟ ذلك القدح الذي برزت عليه بعض الرسوم من ورق الأشجار؟!».

فتعجب الرجل لسؤال ولده، وظن أنه سيفاجئه بشيء لم يأتي على باله قط، حتى أجابه قائلاً: «نعم أعرف هذا جيداً».

قال "إندو": «إذاً انتهى الأمر».

فتعجب الرجل أكثر، ثم ابتسم قائلاً: «أتقصد أن ...».

فقاطعه "إندو" قائلاً: «نصنع من الصخور قدح كبير نجعله مخزن نضع فيه الماء، هذا سيريحك من كل عناء لاقيته، وكل شيء كنت تفعله من أجل الإتيان بالماء».

فقام الرجل واحتضن ولده بشدة، ثم رفعه إلى أعلى وتلقاه مرة بعد أخرى، سعيداً بولده ابن الرابعة الصغير جداً، الذي فكر له في أمر أراحه من تعب طال ثلاثين عاماً .. ثم إنه ظل يقبله ويداعبه كثيراً، ويضعه في الماء ليلعب، وليكن نجماً جميلاً يسبح في نهر "قبرونيا" العظيم، فإن ذلك الطفل كان ذا وجه مستدير كالقمر في ليلة تمامه، وإن وجنتيه كوردتين ورديّتين في بستان عظيم، وعينيه سوداوين كأنهما ملك قد التف إليهم رمشين كمروحة الحاجب، وشعره أسود حالك كالليل الذي غابت عنه النجوم والقمر، فاظلمّ ظلاماً شديداً غير أن خصلات ذلك الشعر تتطاير إلى جبينه ليتصادم الليل بالنهار على غير موعد بينهما، نحيف بعض الشيء مبتسماً ضحوك، لا يعرف للبكاء طريق .. هكذا هو وصف ذلك الطفل الذي ببضع دقائق أراح والده من حمل الماء ثلاثين عاماً، ثم إنه طلب من والده أن ينشد له نشيداً جميلاً، فابتسم "بانديل" الرجل الذي أعجبه ذكاء ابنه كثيراً ثم قال: «سوف أنشد لك نشيداً قديماً، ولكن أريد أن تشاركني فيه».

فأومأ "إندو" قائلاً: «لا بأس في ذلك».

ثم بدأ "بانديل" ينشد في صوت خافت و"إندو" يردد من خلفه:

«يا نهر قبرونيا العظيم!

النابع من بوشان عند أقصى الجنوب الغربي،

المار بـ رمران ثم ذفران،

قبيلتا الحكماء الثلاثة.

والمطل على جبال سامان العظيمة،

والمبتسم في قلب ضادان،

قبيلة التنين العظيم،

الذي مات على يد الحاكم الأول،

بتعاليم من الفيلسوف المقدس.

والمنحدر إلى شاجان،

بلاد الأميرات الجميلات،

اللواتي لا يخرجن على الغرباء.

والمتكلم إلى غابات بابان،

ذات الأشجار العالية،

التي تظلل على محبيك هناك.

والباعث بالسلام إلى مقابر كيران،

إلى أرواح الشهداء هناك،

الذين قاتلوا من أجل الإله الأوحد،

كل من كان ينشر الظلم.

والراقص على شلالات كيماك،

ذات المنظر الرائع،

الذي يدهش الناظر إليه.

والواصل إلينا هنا في قران،

نحن أصحاب تلك القبيلة،

الذين نمجدك كثيراً،

فنحن نزورك كل يوم مرتين،

وليس فقط بل نظل بشاطئك طوال اليوم،

هذا لأنك نهر عظيم حقاً!

نحبك فأنت مصدر من مصادر الحياة،

بل أنت أعظم مصدر لنا!

ماؤك سلسبيل كماس!

يضيء على نور القمر،

فيبهج من حوله الأشياء،

في كل يوم نملئ قرابنا،

من مائك الجاري بين ضفتيك،

اللتين صنعتا من صخور صفراء ذهبية!

هكذا صنعهم الإله الرب،

كل قربة تحمل منك ذكرى،

ذكرى لا تُنسى أبداً،

هكذا قربتي السوداء،

التي شربت ماؤك قبلي،

والتي تزينت به طويلاً،

دائماً تبحث عنك وتشتاق إلى رؤيتك،

تحت ضوء الشمس الذهبي،

الذي يبتسم لها دائماً،

حينما يرقد في خضم مائك،

الجاري كبساط من حرير،

حاملاً في أمواجه الهادئة..

بعضاً من أنواع الأسماك اللذيذة،

التي شربت من مائك كثيراً،

والتي عاشت عمرها بين تلك الأمواج،

الأمواج التي تشكلت كخصلات شعري،

والتي تبحث دائماً عن الحياة،

في خضم الذكريات،

هكذا نحن جميعاً نبحث عن الذكريات،

تلك الذكريات التي هي الماضي،

والتي فيها يحيا الأسلاف،

أولئك الأسلاف الأوائل،

الذين علمونا كيف نتأمل الأشياء!

فإننا نتأمل إليك أيها النهر الآن،

كما نتأمل إلى النجوم في السماء،

أثناء تألقها كأنها عقد من ماس!

لا يرتديه أحد من الناس،

هؤلاء البشر الذين لا يقدرون على ذلك،

كما الجان الذين هم أضعف منهم،

ولكنهم جميعاً يرتادونك أيها النهر،

فأنت ثوب الحياة لكل هذه القبائل،

من البشر والجان،

فإنك صنعة عظيمة صنعها الإله،

تأتيك السفن من كل مكان،

وهكذا القوارب الصغيرة،

يبحثون عن خيراتك الطافية على سطح الماء،

وخيراتك المختبئة داخلك،

فكما جلبت إلينا رسائل قبائل جهة الجنوب الغربي،
نبعث معك رسائلنا إلى جهة الشمال الشرقي،
نبعث معك السلام لأنه هو الأمل،
الذي ينير قلوب الناس بالخير،
ويجعل بينهم المودة دائمة بلا انقطاع،
فاحمل ذلك السلام إليهم جميعاً،
احمله إلى قاسيون حيث الآثار المقدسة.
وقل لقاطول أننا نعشق هواءك،
ذلك الهواء النقي من الشرور.
وكن أميناً على رسائلنا إلى المشرق،
فإنك حقاً أمين».

أنشد "بانديل" لولده "إندو" نشيد "قبرونيا" العظيم الذي كان ينشده الآباء والأجداد من مئات السنين، ذلك النشيد الذي جمع أكثر القبائل المطلة إلى ذلك النهر، في إطار وصفي جميل أبدعه الشاعر العظيم "عانات" شاعر القبيلة الأول، الذي حمل القبيلة من جذورها بكل ما فيها ووضعها في طبق من ماس، عندما قال فيها الشعر، واشتهر فيها بتلك القصيدة، حتى أنه سمي بعد ذلك باسم النهر ذاته "قبرونيا" الشاعر العاشق للنهر، وذلك لشدة عشقه فيه.

فانتشى "إندو" لذلك النشيد كثيراً، وأحبه إلى درجة أنه طلب من أبيه أن

ينشده مرة أخرى، حتى يحفظه ويثبت في رأسه، فهو لم يكن إلا مردداً لأبيه فقط أثناء إنشاده إياه، وقد حفظ منه الكثير لكنه يريد أن يحفظه كاملاً، لذلك طلب من أبيه أن يعيده على آذانه مرة أخرى، فوافق "بانديل" على ذلك مشترطاً أن يكون هذا أثناء الرجوع إلى الكوخ .. وحاول "بانديل" أن يسد الثقب الذي كان بالقربة بعض الوقت حتى يعود إلى البيت بالماء، وحينما يصل يبدأ في تنفيذ الأمر الذي أشار به، وهو حفر وبناء بئر كبير بعض الشيء من أجل تخزين المياه.

ومن ثم ملئ "بانديل" قربته التي سد ثقبها، ورجع إلى الكوخ هو وابنه "إندو"، متفكراً في عقلية ذلك الولد الصغير، الذي استجاب له الرب حينما دعاه بأن يعطيه الذكاء والفطنة بالأشياء، هكذا هو التقرب إلى الإله الرب الواحد الأوحد .. يجعل الإله قريباً ممن يطلبون التقرب إليه، بمناجاته وعبادته كما يجب أن يكون، والامتثال له وعدم التقصير في طاعاته، وتجنب نواهيه وطلب الرحمة منه، فهو الذي يرحم كل شيء لأن بيده كل شيء، وهذا هو ما يدين به "بانديل" للإله الرب.

لم يمر الكثير من الوقت على "بانديل" وولده أثناء رجوعهما إلى الكوخ، ذلك لأن إعادة النشيد على آذان "إندو" وترديده إياه، جعل الطريق غير طويل، وما أن وصلا علق "بانديل" القربة داخل الكوخ، ومن ثم أحضر فأس قوية وخرج بها أمام الكوخ باحثاً عن موضع مناسب لحفر الخزان، حتى وقع طرفه على منطقة رائعة جداً ومناسبة أيضاً وهي على يمين الكوخ، فضرب أول ضربة فيها ليظهر "أكيار"، ولده البالغ من السن تسعة عشر عاماً، هو وباقي أخوته وقد

رجعوا لتوهم من مدرسة الحكيم "صهيا"، فلما رأى والده على هذا الحال ترك كتبه مع أخته وأخذ الفأس منه سائلاً إياه عن القصد في حفر تلك المنطقة، فابتسم "بانديل" لرجوع أولاده قائلاً: «لقد أراحني شقيقكم "إندو" بفكرة منه في أمر رائع».

فتعجب "أكيار" من ذلك قائلاً: «عن أي أمر تتحدث يا أبي؟!».

«عن حفر خزان كالبئر لتخزين المياه».

كانت "كوندليرا" قد خرجت من الكوخ وقتها، وقد سمعت ما قاله "بانديل" وما فعله "إندو"، فنظرت إلى صغيرها نظرة تعجب شديد، كما تلاحقت إليه الأنظار من أخوته جميعاً، فرمى "إندو" بنظره إلى الأرض في خجل شديد، إلا أن شقيقه "أكيار" ذهب إليه في ابتسامة سعيدة ومن ثم حمله وقبله قبلة صادقة قائلاً: «أنت جميل حقاً يا "إندو"، فلقد فعلت ما لم يفكر فيه أحدنا من قبل، ولقد تعبنا كثيراً من حمل القربة أكثر من مرة مليئة بالماء، لاسيما والدك الذي لاقى مشقة كبيرة من هذا الأمر طوال السنوات الماضية».

فقال "إندو": «أنت أيضاً جميل يا "أكيار" لأنك سوف تحفر البئر بدلاً من أبينا».

فابتسموا جميعاً وبدأ "أكيار" في حفر البئر، وكان إذا تعب أخذ منه "ساتيدما"، وكان "سبراك" يساعدهم قليلاً، ومرت بعض الأيام كان "بانديل" قد أحضر الملاط الجيري، تلك المادة التي أتم تحضيرها في خلال ثمانية أيام، لأجل بناء سور صغير بارتفاع ذراع من وجه الأرض، وذلك حتى يستطيع أن يعد بئراً

مناسباً لتلقي المياه.

لقد أخذ البئر أكثر من عشرة أيام في حفره، ذلك لأن التربة التي يحفرون بها كانت صخرية بعض الشيء، إلا أنها بعيدة كل البعد عن الصلابة الشديدة، وإلا ما كانوا استطاعوا أن يحفروا موضع قدم، وما أن انتهى الأخوة من حفر البئر حتى أحضر "بانديل" الملاط الجيري وبعض الصخور، فبني سوراً حول البئر وجعل من فوقه حاملة قد ربط بها دلواً لأجل سحب المياه، وأصبح يجلب المياه في بعض القرب التي استعارها من الجيران هو وبنيه، حتى انتهوا وامتلئ البئر بالماء وأصبح الشراب سهلاً عند مبيت المياه بجوار الكوخ، وأصبحت الحياة أسهل بكثير بالنسبة لـ"بانديل" مما كان عليه سابقاً، والفضل في ذلك يرجع إلى الإله الذي جعل الحكمة عند "إندو" الصغير، وأرشد أبيه إلى فعل ذلك.

حين الانتهاء من ذلك وقف "بانديل" بجوار البئر قائلا:

«لقد بنينا البئر العظيم،

وملأناه بالماء حتى أخره،

ذلك الشيء الذي رحمنا به الإله،

الذي سيغني عن حمل القربة كل يوم،

وهذا فضل من الإله الأعظم،

أن جعلنا نفكر في أشياء تريحنا،

غير تلك الأشياء التي تقدحنا،

إننا حقاً كنا في عناء شديد،

كنا في تكبد مرير كل يوم،
ولكن عندما يعطيناً الإله عقلاً يفكر..
ويعطينا قلباً يبحث عن الخير..
ويعطينا يدان وقدمان..
ويعطينا عينان وأذنان..
ويعطينا أنف وفاه ولسان وشفتان..
ويعطينا جسد وبناء عظيم؛
فلا بد أن نستخدم كل هذا في أشياء كثيرة.
لابد أن نستخدمها بحكمة،
لابد أن نستخدمها لراحتنا،
لابد أن نستخدمها في الخير،
لابد أن نستخدمها من أجل الإله،
فتلك كانت حكمة من الإله،
أعطاها لك يا إندو الصغير،
فلما عملت بها أرحتنا جميعاً!
أرحت أبواك بانديل وكوندليرا!
وأرحت أخوتك أكيار وساتيدما!
وكذلك سبراك وساجوم!
وسهلت علينا عملية الشراب،

وهكذا الطعام الذي يرتبط به ،

فكن هكذا دائماً يا إندو!

ليس مع أقاربك فقط،

ولكن مع جميع الناس.

فإذا فعلت ذلك مع الناس جميعاً ،

وفعل الناس هكذا مع من يلتقون،

لأصبح الناس يخافون على بعضهم البعض،

ولأصبحوا أحباء جميعاً ،

ولأصبحت المودة سائدة بين الناس،

ذلك فقط إذا انتشرت الحكمة ،

تلك الحكمة التي يريدها الإله ،

تلك الحكمة التي من خلالها نعرفه ،

الإله العظيم الذي يعرفنا جيداً».

ابتسم "إندو" لأبيه الذي صدق في قوله وعمله قائلاً :

«إن الأمور التي تبدأ بأشياء بسيطة ،

وتكبر بعد ذلك إلى أضعاف كثيرة ،

وتكون في بداية الأمر من أناس صغار ،

ذلك هو النجاح الكلي،

لأن الصغير عندما يعلم بالأشياء ،

فلابد أن يكون الكبير كذلك ،

عالماً بكل تلك الأشياء ،

وإن لم يكن عارفاً بها وعلمها من الصغير ،

فلابد عليه أن يأخذ بها ،

ذلك لأنها من الممكن أن تكون واجبة!

واجب الإتيان والعلم والعمل بها!

وألا نستصغر قائلها!

لأنه ليس مبدعاً لها!

فقد تعلمها من دروس الحكماء ،

هؤلاء الذين أصر عليهم الآباء ،

فإذا تعلّم الابن الصغير شيئاً ؛

فلابد أن يخبر به أبواه ،

وإذا أخبر أبواه بذلك ؛

فلابد عليهم أن يعملا بذلك ،

لأنهما مؤمنان بتلك الحكم ،

التي يتعلمها صغيرهم ،

وإن لم يكونا كذلك ،

فلكانا رفضا ذهابه إلى من يعلموه ،

إنما العلم والحكمة من الإله ،

فلابد أن نأخذ بالحكمة،

ونعلمها للآخرين».

"هكذا علمني الحكيم صهيا".

ثم إن الأمر قد بدأ معي بالقربة المثقوبة..

وانتهى معنا ببناء البئر.

فإذا ابتدأ الشيء بالسوء؛

انتهى بالخير.

وإذا ابتدأ بالخير؛

ربما بعُدَت العين عن خير آخر أفضل منه».

هكذا عظمت الحكمة عند ذلك الطفل الصغير، ليكبر في نظر أبويه وإخوته ويرتفع مقامه بينهم، ويثنون عليه ويعظمون قدره بينهم، ليطلق عليه أبيه اسماً آخراً يجعله أكبر من ذي قبل، "الحكيم إندو" أو "الفيلسوف الصغير"، ذلك الاسم الذي ذاع صيته بين القاطنين قبيلة "قرّان" جميعاً، ليس بين أفراد عائلته فقط، ولا حتى الصغار الذين يلعب معهم.

الفصل الثالث

من أجل "سوِيْبا" السّنّور الصغير

لم يكن التفتح العقلي لدى "إندو بانديل"، أو "الفيلسوف الصغير" مقتصراً على ما تعلمه من الناس فقط، ولكنه ازداد توسعاً أكبر عندما خالط الحيوانات، تلك الحيوانات التي استطاع ذلك الصغير بعد التقرب منها أن يفهم بعض اللمحات التي تظهر على وجوهها، حتى أنه صاحب "سنور صغير"، قد رآه أول مرة عندما أحضر "بانديل" يوماً بعض الأسماك كي تحضّره "كونديرا" للغداء، فلما جلسوا معاً على الطعام أتي السنّور على السمك الذي فاحت رائحة الجميلة حول الكوخ، كان العديد من السنانير قد حضرت معه، ولكنه قد حدث شيء عجيب وقتذاك، فكان "بانديل" طوال حياته رحمياً حليماً بكل شيء، ليس بالناس فقط ولكنه أيضاً كان كذالك مع الحيوانات، فلذا ترك باب الكوخ منفرجاً عن أخره أثناء تناولهم لطعام الغداء، فحينها حضرت تلك السنانير جميعاً، أكثر من أربعة سنانير خلاف ذلك السنّور الصغير، فكان "بانديل" يعطيهم الكثير من بواقي الأسماك التي يأكلها، ويأمر أفراد عائلته جميعاً بذلك كي يجازيهم الإله العظيم أعظم الجزاء، ولكنه لم يكن يرى ذلك السنّور الصغير لأنه قد وقف خارج الكوخ بعيداً عن بقية السنانير، ذلك لأنه صغير ضعيف يخاف من بقية تلك

السنانير الكبيرة، ومن ثم ظل مختفياً خارج الكوخ منتظراً حتى ولو قطعة صغيرة من السمك ترمى إليه، كارهاً أن يعلن مواءه أمام أحد، كي لا يخرج إليه أحد السنانير فيجرحه بمخالبه، إلا أن "إندو" رآه وحيداً خارج الكوخ فأخذ سمكة كاملة وقام تاركاً الطعام خارجاً من الكوخ حتى وصل إليه، فرجع السنور إلى الوراء قليلاً لأنه خاف منه بعض الشيء، إلا أنه في نهاية الأمر تركه يجلس أمامه دون خوف، وقتها قطع "إندو" السمكة التي بيده إلى قطع ثلاث، حتى يطعمه، لم يتعجب "بانديل" هو وعائلته فقط مما فعله "إندو"، بل إن السنانير التي كانت بالداخل تعجبت كثيراً مما وقع من ذلك الطفل الغريب، فتلك السنانير لم تتعجب فقط مما فعله بل سخطت عليه وعلى ذلك السنّور الصغير الذي أطعمه، إلا أن الطفل لم يأبه مما رآه في عيون الجميع لأنه قد رأى الجوع في عيني ذلك السنّور الصغير، لذلك تقدم لإطعامه، حتى أنه عندما رمى له القطعة الأولي من السمك نظر إليه السنّور نظرة تعجب غطت على نظرات الباقين جميعاً، ذلك لأنه لم يتخيل يوماً من الأيام أن مثل هذا المشهد سيحدث معه، ولكنه حدث بالفعل، فظل السنّور ساكناً بعض الشيء قبل أن يتقدم لأكل تلك القطعة، لأنه ظن في بادئ الأمر أن ما يفعله الطفل ما هو إلا مكيدة به حتى يوقعه في شراكه، ولكن "إندو" بكل بساطة قال له: «لا تخف أيها السنّور الجميل، فأنا لن أؤذيك أبداً، ذلك لأني أحب تلك المخلوقات الصغيرة مثلك، لاسيما لو كانت صغيرة عن اللازم».

فنظر السنّور إلى الطفل فاحصاً إياه من منبت شعره حتى أخمص قدميه، وأخيراً أصدر مواء خافتاً أثر كثيراً في "إندو"، لا يعلم مصدر التأثير في ذلك إلا أنه

تأثر حتى قال: «يا ترى ماذا تريد؟! يا ترى لو أنني أفهم لغتك أيها السنّور الصغير ماذا كان سيحدث؟! يا لها من متعة حقاً!».

ثم إن السنّور غض الطرف عن ذلك الطفل وانهمك في قطعة السمك، وظل "إندو" يتابع السنّور المنهمك في الطعام، وعائلته من الداخل يتابعون ما يفعله، خلاف تلك السنانير التي علا مواؤها غضباً مما يفعله الصغير مع ذلك السنّور الذي لا يستحق الطعام في نظرهم، حتى وكأن نظرتهم لهما فيها شرر يبعث للشر والحقد والوعيد، ولكن كل ما كان يهم "إندو" هو إطعام ذلك المخلوق الصغير وحسب، ولما انتهى السنّور من القطعة الأولى أعاد النظر إلى "إندو"، مصدراً نفس المواء الذي أصدره سابقاً بترنيمة عجيبة أثرت مرة ثانية عليه"، فأحس "إندو" بشيء عجيب يحدث، لا يعلم ما مصدر هذا الشيء ولكنه أحس به فقط، وكأنه أراد أن يتحدث السنّور إليه؛ حتى يعرف ما مصدر الشيء الذي من خلاله تأثر من مواء ذلك الكائن الجميل، ولكنه لم يأبه لهذا فرمى له القطعة الثانية، فتقدم السنّور إليها وظل يلتهمها حتى أنهى على أخرها، فظن "إندو" ظن أنه لم يذق الطعام منذ أيام طويلة، فأعطاه القطعة الثالثة دون أن يسمع مواءه حتى التهمها كما القطعتان الأخريان، وهنا نظر السنّور نظرة بريئة إلى "إندو" الذي تعجب أكثر وتأثر أكثر من الأول تماماً لمجرد تلك النظرة، إلا أنه قد حدث شيء عجيب لم يكن يتخيله "إندو"، فقد أحس في ذاته أن السنّور يشكره على مجرد تلك السمكة التي قدمها له، ليس إحساساً خيالياً بُني في مخيلة الطفل، ولكنها حقيقة حسها بالفعل، لذلك لم ينزل نظره عن السنّور طوال وقوفه أمامه حتى أنه أحس

بأن السنّور غمز له بعينه، فلم يصدق عينيه فظل يمسح فيهما بظهر يديه حتى يرى إن كان ما رآه صحيحاً أم أن هذا خيال لا صحة له في الواقع، ولكن كان كل ما فعله هباء منثورا، لأن السنّور بالفعل كان يغمز له، فغمز له هو الآخر فأصدر السنّور مواء مرتفعاً بخلاف ما كان عليه سابقاً، فابتسم له "إندو" ليصدر السنّور غمزة أخيرة أراحت "إندو" كثيراً، حيث أنه رأى في تلك الغمزة سعادة ذلك السنّور، وكأنه ابتسم في وجهه كما يبتسم أي رجل أمام الآخرين، وهز السنّور فمه وكأنه يريد أن يكمل تناول الطعام، ففهمه "إندو" سريعاً لذا دخل إلى الكوخ وجلب سمكة أخرى، ولكن سأله "بانديل" قائلاً: «ماذا تفعل يا "إندو"؟! هل ستظل تطعم السنّور هكذا دون أن تأكل أنت؟».

فأجابه "إندو" قائلاً: «لقد شبعت يا أبي، ولكن ذلك السنّور المسكين مازال جائعاً، لذلك أنا أقدم له الطعام».

فقالت "كونداليرا": «وكيف علمت بأنه جوعان يا "إندو"؟! هل أخبرك بذلك؟!».

فأجاب "إندو" في احترام قائلاً: «لقد أحسست ذلك يا أمي، لأنه كان يلتهم قطعة السمك كما لو أنه لم يأكل منذ أيام طويلة».

كان من الممكن أن يخبرها الحقيقة، ويقول أن السنّور بالفعل أشار إليه بذلك، لكنه أحس أنها ستظن أنه يكذب عليها، وذلك لأنها بادرت بقولها "هل أخبرك بذلك؟!" تقصد السنّور، فتعامل "إندو" بحكمة معها، ومن ثم أخذ السمكة الأخرى وخرج إلى السنّور تاركاً إخوته يضحكون متغامزين فيما بينهم

عليه، فقد قال "أكيار": «إن الكوخ أصبح مطعم للسنانير».

وعلق "سبراك" قائلاً: «بل مطعم السنّور الضعيف».

وقالت: "ساجوم" «لا تقولا ذلك فإني أحب السنانير الصغيرة، وبهذا أنتما تقذفونها بما لا أرضاه».

كان وقتها قد وقف "إندو" أمام السنّور، فرأى حالتين تشكلتا على وجهه في لحظة كلامهم، فلما تكلما "أكيار" و"سبراك" بما قالاه غضب وانكمش وجهه، ولكن لما طلبت منهما "ساجوم" أن ينتهيا عن قولهما لحبُّها لتلك السنانير الصغيرة تغير وجهه إلى الأحسن، وكأنه فهم ما يقولون جميعاً، لذلك حزن بما لم يُرضيه وسعد بما يُرضيه، فابتسم "إندو" لذلك وتأكد يقيناً أنه بالفعل يعلم ما يكن به ذلك السنّور، وأن الآخر يعلم أيضاً ما يُقال أمامه، فرمى له السمكة كاملة ليظل يأكل فيها طويلاً، كان "إندو" وقتها ينظر إليه في اشتياق لبعض تلك النظرات كي يتأكد أكثر وأكثر مما يحدث أمامه من خيال غير متوقع؛ فانتهى السنّور من السمكة وأومأ برأسه إلى "إندو" قاصداً الإشباع، فقد شبع وأراد أن يبدي شكره لـ"إندو" الذي أطعمه، لذلك أومأ له برأسه فور انتهائه من الطعام، وخلاف ذلك أنه رفع له قدمه اليمنى الأمامية التي هي بمثابة اليد اليمنى، وكأنه يطلب الاستئذان منه، إلا أن "إندو" أبدى له غضبه من ذلك، فوقف السنّور ولم يمضي ممتثلاً لرغبة "إندو" في عدم الذهاب، حينها ابتسم "إندو" كثيراً وأحس أن ذلك السنّور سيكون صاحباً له، فأشار بيده إليه قاصداً أنه يريد رؤيته مرة أخرى في نفس المكان، فأومأ له السنّور وقد انفرج فمه قليلاً ببسمة سنور قاصداً كلمة نعم.

كان ذلك السنّور يمتاز بتوسط الحجم، والسيقان الطويلة الرفيعة، ولكن ساقاه الخلفيتان أطول قليلاً من الأماميتين، وبطنه ضيقة بعض الشيء، ورقبته متوسطة الطول ورأسه ضخم متوازن مع جسده، وأقدامه دقيقة وذيله طويل كأنه طريق انحنى أخره، وله عينان زرقاوان جميلتان واسعتان مائلتان بعيدتان عن بعضهما، ذا فراء قصير الشعر وناعم الملمس، ولامع كضوء الشمس رمادي آخذ إلى اللون الأبيض، ولكن قد اختلفت أطرافه عن باقي جسده في اللون، حيث أنها أخذت اللون البني القريب من الأسود، أو الرمادي الداكن، فإنه من النوع السيامي، ذلك النوع الذي يمتاز بأشياء كثيرة لم تتمتع بها أنواع أخرى من السنانير، ومن تلك الأشياء أنه على غاية كبيرة جداً من الذكاء.

فمنذ ذلك الوقت أصبح "إندو" وذلك السنّور صاحبان، يعرف كلاً منهما ما يريده الآخر وكأنهما من فصيلة واحدة من المخلوقات تتحدث إلى بعضها البعض بطلاقة، وتفهم بعضها البعض دون كلام .. ومن خلال ذلك قال "إندو" له: «أما أنا فاسمي "إندو"، ومن أجل صداقتنا سأدعوك بـ"سويْبا"».

فوافق السنّور على ذلك عندما أومأ له برأسه وغمز له بعينه، لقد صاحب "إندو" أول حيوان بهذه الطريقة الخرافية، وفكر أنه لا يخبر أحداً بذلك أبداً، لأنه من الصعب جداً تصديقه، ولكن تلك السنانير التي كانت بداخل الكوخ قد علمت بكل شيء دار بينهما، ولكنها لم تكن على ما كان عليه السنّور الصغير من طيبة، فلما انتهى الطعام خرجوا جميعاً من الكوخ وكأنهم قد تواعدوا في أنفسهم له.

ولما تباعدت السنانير جميعاً دخل "إندو" إلى الكوخ، طلب منه "بانديل" أن يكمل طعامه، إلا أنه قال: «لا يا أبي لقد أكلت حتى امتلأت، كل ما أريده الآن هو أن أسمع الكثير عن السنانير، تلك السنانير الطيبة التي تستوجب العطف».

فأجابه "أكيار" قائلاً: «ماذا بك أنت الآخر يا "إندو"؟ هل عشقت السنانير كما "ساجوم"؟!».

فأجابه "إندو" وكان يحبه كثيراً: «نعم يا أخي، فهي مخلوقات طيبة جداً».

فقال "أكيار": «إذاً سوف أخبرك بقصص كثيرة عنها، قد قرأتها في مكتبة الحكيم "صهيا"».

فابتسمت "ساجوم" قائلة: «إذاً أنت الآخر تهتم بها، فلما تنال منها بالكلام السيئ؟!».

فابتسم "أكيار" هو الآخر قائلاً: «لأنني كنت أحبها مثلكم عندما كنت صغيراً في مثل سنكم، ولكن عندما قرأت عنها في كتب عند الحكيم "صهيا" كرهتها جميعاً، لقد عممت الحكم عليها وهذا خطأ كبير، ولكن ما أرغمني على فعل ذلك هو ما قرأته».

فنظر إليه "إندو" نظرة تعجب قائلاً: «أخبرني إذاً ما قرأته هذا، إنني اشتقت لمعرفته».

كانوا قد انتهوا من تناول الطعام، وقد جلسوا جميعاً ليسمعوا ما سيقوله "أكيار" الذي قام واقفاً بجوار النافذة الموجودة بالصالة، المطلة على جبل "طابان"،

وفي صوت رقيق أنشد:

«في بادئ الأمر كنت أحب جميع السنانير،

وكنت ألعب معها وأسابقها دائماً،

إلا أنني عندما بحثت في الكثير من الكتب،

وجدت كتاباً مهيباً خفت من ملمسه!

ولكن تجرأت بعد ذلك على فتحه،

إنه كتاب للحكيم ساجار،

الذي أرّخ فيه عن الأيام الخوالي،

تلك الأيام التي بعدها وقعنا!

وقعنا في شراك الظلم على يد جومار،

قد أحسست أن الكتاب قديم الأزل.

ولكني رأيت أنه منذ خمسين عاماً فقط!

إنه لما ذكر فصلاً كاملاً عن السنانير؛

ذكر ساحوق السنّور الغريب،

الكائن الذي ضرب بالأيام الخوالي عرض الحائط،

إذ يقول الحكيم ساجار:

«باتت الأيام تتشبث بالماضي!

ذلك الماضي العظيم!

الذي ضاع تحت أكوام التراب،
والذي لم يعد يفكر فيه الكثير من الناس،
إذ كان هناك سنّور غريب الشكل واللون!
لم يراه أي إنسان من قبل!
حيث أنه خالي الجسد من الفرو،
أذناه كأذني شيطان عظيم،
منصوبة كقوسين،
على شكل ورق نبات القلقاس،
وعيناه ما بين الأصفر والأحمر،
مهيبتان كعيني مارد شرير!
وله جسد عظيم مثل فهد!
إلا أن شكله الحقير مهيباً جداً!
لونه كرماد محرقة النهاية،
إلا أن وجهه أسود كالفحم،
هكذا ذنبه العظيم الذي هو كثعبان المامبا،
عرفه جومار من الساحر العظيم داهور،
الذي لا يعرف إلا إله واحد هو الشيطان،
ولا يعبد غيره لأنه يمده بالسحر،

هكذا تعرف منه جومار على ساحوق،

ذلك السنّور الشيطاني،

فتقرب إليه بما قال له الساحر،

ولكن جومار أزاد على ذلك كثيراً،

طالباً المزيد من السيطرة،

حينها أعماه ساحوق عن كتاب الحكم المقدسة،

وأعطاه القوة العظيمة التي لم تكن لغيره من البشر،

حتى أنه جعل داهور عبداً له!

وتأله على الناس جميعاً!

بتلك القوة الشيطانية الخارقة.

ولكن في الحقيقة هناك أمر خطير..

أن جومار قد مات عندما طلب السيطرة،

واتخذ الشطان كينونته وشكله،

حتى يحكم الناس هو ويأخذهم إلى الباطل،

واتخذ بعد ذلك من السنانير عيوناً له،

وبعثهم في مشارق الأرض ومغاربها،

قد ينقلون له ما يحدث،

فقط عندما تقع أطرافهم على شيء،

يصل فوراً إلي جومار التشيطن،

إنها معادلة الموت!

إذا لم نجد لها حلاً،

فسنكون في عداد الأموات من قبل أن نولد،

حيث الموت الذي لا نعرفه!

ليس الموت الذي كتبه الإله علينا،

ولكنه الموت الأسود!

الذي يبحر مع السديم،

في كل بحر ونهر،

وفي خضم الهواء،

ذلك الموت الذي أراده جومار لكم،

لا تأتمنوا للسنانير أبداً،

فإنها خطيرة جداً!

خطيرة إلى أبعد الحدود!

فإنها عيون جومار في كل مكان!

جومار العظيم التشيطن».

هذي هي قصتي التي أرجعتني عن حب السنانير..

فأنا لا أحب رأيتها في أي مكان،

ولكن أبي يعطف عليها،

وهي في نهاية الأمر خطيرة على كل البشر».

وما أن توقف "أكيار" حتى قال "بانديل": «ولكنك لم تكمل باقي الأناشيد، فهذا هو النشيد الخامس من فصل السنانير، ولكنك لم تذكر ذلك النشيد السادس».

فأجاب "أكيار" قائلاً: «ولكن هذا النشيد هو الذي قرأته، فما أردت غيره».

«ولكن أخيك يريد غيره».

«ولكني لا أعرف الفرق بين تلك السنانير والسنانير الأخرى، لذلك مقتها جميعاً».

«سوف تعرف الفرق بينهما عندما أسمعكم النشيد الآخر، ذلك النشيد الذي فسر فيه الحكيم "ساجار" بين السنانير، حيث قال:

«ذلك كان النشيد الخامس..

من الفصل العشرين،

والذي فيه أذكر السنانير،

والسنّور الغريب ساحوق.

أما الذي يخلفه فهو عن سنانير أخرى،

تحب الناس جميعاً،

ولم يستطع الشيطان أن يتحكم فيها،

بل تعب كثيراً في ذلك دون جدوى،

تلك هي التي لا يرى عليها الغضب!

والتي تكون حييّة بعض الشيء،

تخاف من غيرها من السنانير،

مخافة مكبوتة بداخلها،

من تلك السنانير الخبيثة!

ولكنها قوية جداً!

أقوى حتى من ساحوق!

السنّور الشيطاني.

ولكنها لم ترد أن تخرج قوتها هذه؛

لأنها تعلم أن صورتها تذهب إلى جومار،

فلا تريد أن تكون مستهدفة منه،

ومن مخلوقاته الغريبة،

فهي تحب الإنسان كثيراً،

ولا تغضبه أبداً،

مهما كان الأمر،

وتبحث كثيراً عن صداقته،

فلا تقعوا في شراك ساحوق وأقرانه،

ولا تؤذوها أبداً،

لأنها تنقل كل شيء يحدث منكم،

هذا إذا كانت بجواركم،

أما السنانير الطيبة،

التي تلتمس جمالها من الطبيعة،

فأحبوها حباً كبيراً،

واطلبوا صداقتها،

فهي تتقرب منكم دائماً».

لم يأبه "إندو" بما حدث بعد ذلك بين أبيه "بانديل" وأخيه "أكيار"، لأنه فكر فقط في النشيد الذي أنشده أبيه، بما فيه من حقائق حدثت له شخصياً عندما قابل السنّور الذي دعاه بـ"سويْبا"، فظل يتذكر كل لمحاته عندما غمز له، وعندما أومأ له، وعندما غضب قليلاً ثم فرح مرة أخرى، وعندما امتثل له حين مغادرته، فكل تلك الأشياء أسعدته كثيراً، لأنه سيكون صاحباً لمثل هذا السنّور المحب للإنسان، ولكنه توقف عن التفكير فجأة عندما سمع "أكيار" يقول لوالده: «ولكن ماذا عن السنانير التي كنت الآن تطعمها أليست من أقران ساحوق؟!».

فأجاب "بانديل" قائلاً: «هي كذلك، ولكن كان لابد أن أعاملها هكذا».

«ولم وهي ضارة مؤذية».

«لأنه كما قال الحكيم ساجار:

«فلا تقعوا في شراك ساحوق وأقرانه،

ولا تؤذوها أبداً،

لأنها تنقل كل شيء يحدث منكم،

هذا إذا كانت بجواركم..

لذلك لم أقدِّم لها غير الخير، حتى لا تجلب إلينا وإلى القبيلة كلها الشر، ونحن حقاً في غنى عن ذلك».

وقعت كلمات "بانديل" على أذني ولده "إندو" موقع الاهتمام، حيث أنه ظل يفكر في الأشياء السيئة وكيف يتعامل معها إن قابلته في يوم من الأيام، وإن لم يخف منها على نفسه فلابد أن يخف على من معه، وظل يفكر في تلك السنانير التي غضبت عندما أخذ السمكة مرة وأخرى وأطعم بها السنّور الصغير؛ ذلك السنّور الذي لم يبدي غضبه قط، وانتظر خارج الكوخ حيث الابتعاد عن تلك السنانير الشريرة، حتى لا يحدث تصادم بينه وبينهم.

وهكذا لم يكن "بانديل" خائفاً على نفسه، ولكنه خاف على أولاده وعلى أهل القبيلة، فهو يعتقد أنه لا الجان ولا البشر يستطيعون أن يؤذوا إنساناً أبداً إلا بإرادة الإله الأعظم .. ولكنه كان فقط يحرص على البعد عن كل شيء يجلب للناس السوء والشر، فإن البعد عن تلك الأشياء غنيمة لابد منها، وإن فعل الخير

معها ينأى عن مصائبها وينهى عن خبائثها بعض الشيء.

هكذا لابد أن يتغاضى الإنسان عن الظلم الواقع عليه أثناء سلب القوة منه، أو أثناء تشتته هو ومن معه، أو عدم التجهيز له بقوة تفوقه أو حتى تعادله، هذا كي لا يجلب المصائب عليه هو ومن بجانبه، ولاسيما تلك المصائب الكبرى التي يعدها "جومار" لأهل "دويرام" جميعاً، بل النسل البشري أجمع في كل مكان.

ذهب "بانديل" إلى الحقل ليعمل، فطلب "إندو" أن يأخذه معه فأخذه، وأثناء الطريق سأل "إندو" أبيه قائلاً: «لماذا هذا الشر موجود يا أبي؟!».

فابتسم "بانديل" قائلاً: «سوف أبين لك أمراً، سأروى لك قصة صغيرة، إذا فهمتها سوف تفهم لماذا خلق الشر».

«إذاً ما هي تلك القصة؟».

«إنها قصة الطريق، فلقد قالها جدي من قبل عندما سأله أبي نفس سؤالك هذا، فقال:

«إن الطريق الذي نمشي عليه..

أي الدنيا التي نعيشها..

مثلها كمثل طريق مليء بإحدى شيئين؛

أحدهم ضار والآخر نافع،

فأما الضار فهو نافع أثناء الطريق!

وأما النافع فهو ضار أثناءه أيضاً!

وكأن ملك عظيم جعلك تمشي عليه،

وأخبرك أن عنده شيئين،

أحدهم ذا منافع دائمة دون ضرر،

والآخر ذا أضرار دائمة دون نفع،

ولابد أن تجتاز الطريق بما فيه!

فإذا اخترت النافع لك في الطريق؛

جعل المضر لك طوال الأبد.

وإذا اخترت الضار لك طوال الطريق؛

جعل النافع لك طوال الأبد.

هكذا هي الدنيا!

لابد أن تلقى بها المصاعب،

قبل أن تلقى بها اليسير،

حتى تفوز بالجنة التي أعدها الإله الأعظم!

تلك الجنة التي تنقسم إلى مراتب،

فكلما كنت صادقاً مع الإله أكثر؛

كانت مرتبتك في الجنة أكبر،

ولكنك إذا اخترت ما لا يريده الإله؛

جعل لك الجحيم مأوى،

والحميم شراباً وطعاماً.

فمن أجل ذلك جعل الإله الخير والشر؛

حتى يختبر كل العباد،

لأن الجائزة كبيرة جداً،

لا يعلمها غيره،

تلك الجنة التي فيها ما لم تراه عين قط!

وما لم تسمعه أذن أبداً!

ولا خطر ببال مخلوق خلقه الإله!

وأعلا تلك المراتب الفردوس،

الذي يتمناه كل من آمن بالإله الواحد،

وهكذا العاقبة وخيمة جداً،

لا يعلمها غير الإله،

تلك الجحيم التي سيخلد فيها من كفر بالإله،

وجعل دونه آلهة أخرى،

يعبدونها لأجل مصالحهم الدنيوية،

جن كان أم بشر..

حجر كان أم شجر..

نجم كان أم قمر..

إنها الأسطورة الحقيقية!

التـي أعدها الإله لنا جميعاً،

تلك الدار الأخرى التـي تجـيء بعد الموت،

فما الحياة إلا موت،

وما الموت إلا حياة».

فماذا الآن عن سؤالك يا "إندو"؟!».

فابتسم "إندو" في وجه أبيه قائلاً: «لقد فهمت يا أبـي، فكـل مـا في الأمـر أنه لا جائزة لمخلوق إلا بعد مشقة حتـى يستلذ بهـا، وحتـى يُعـرف قـدر حبـه لخالقه، فإذا رزق بالنعيم وهو نفسه كان في نعيم ما استلذ بـه أبـداً، ومـا استحق في نفس الوقت ذلك النعيم، لأنه لم يفعل من أجله شيء، هكذا الجـائع مـا استلذ بالطعام أبداً وما عرف الشبع إلا إذا أكل، وما عرف الأكل إلا إذا جاع».

فابتسم "بانديل" لولده قائلاً: «من أجل ذلك جعل الشر يا "إندو"».

«لذلك لابد أن نبتعد عنه بالخير حتى نصل إلى الخير كله».

«إنها الأقدار يا ولدي، ولابد أن نؤمن بها فما الأقـدار إلا أنهـا مـن الإلـه الأعظم».

وسادهما الصمت، إلا أن "إندو قال: «هناك أمر أريد أن تنفذه لي رجاءً يـا أبي».

«أنفذه لك، لكن أي أمر تتحدث؟!».

«أريد أن أسافر هنا وهناك، أريد أن أعرف، أريد أن أقرأ، أريد أن أتعلم الحكمة من حكماء عدة».

فتوقف الرجل عن السير وجلس القرفصاء أمام "إندو"، وأمسك بكتفيه بحب قائلاً: «سوف أفعل يا ولدي، سوف أفعل يا "إندو"، ولكن في الوقت المناسب، عندما تبلغ سن الرجال والذي به تستطيع أن تسافر وحدك».

«بعد كم عام إذاً؟!».

«بعد أحد عشر عاماً».

فتعجب "إندو" من إجابة أبيه قائلاً: «أحد عشر عاماً! عندما يزيد على عمري هذا ما مثله ثلاثة أضعافه إلا قليل؟!».

فابتسم أبيه لتعجبه هذا ومن ثم ربت على كتفيه وأكملا المسير، وعندما وصلا إلى الحقل؛ اهتم "بانديل" بالعمل، ولكن "إندو" قد انشغل بأمر آخر، فقد نظر إلى الناحية الشرقية حيث أنه رأى "سويْبا"، فانطلق ناحيته بعد أن طلب من أبيه أن يلعب قليلاً، فأمر له "بانديل" بذلك شرطاً ألا يبتعد عن الحقل كثيراً، وما أن اقترب "إندو" من السنّور وقد بعد كثيراً عن والده، متناسياً وصيته بحيث أنهما لا يرى كلاهما الآخر، حتى رأى باقي تلك السنانير التي كانت عندهم في الكوخ، فقد وجدهم في غاية الغضب الذي فاق بكثير ما كانوا عليه في الكوخ، حينها نظر "إندو" إلى "سويْبا" ليجد منه شيئاً غريباً، فقد أحس بأمر منه أن يمضي هو إلى حيث جاء، ولكن "إندو" صمم على الوقوف من أجله، إلا أنها كانت

المفاجأة التي هي أكبر بكثير منه، حيث أن أحد تلك السنانير وبشيء خرافي تكلم إليه بصوت غريب مفزع قائلاً: «ألم يأمرك صاحبك هذا بالانصراف؟!» .. ثم إنه أصدر مواء عظيماً بعدما انتهى من كلامه؛ قد وقع "إندو" أرضاً عندما رأى ذلك المنظر البشع، وتلك الحادثة التي لو بلغ مئات السنين ما كان ظن أنه سوف يتحدث إليه سنّور بهذه الصورة، ذلك الأمر الذي لا يقبله عقل أبداً، ولكن عندما وجد "سوِيْبا" ذلك وقف أمامه ليحميه منهم، إذ هو أعرف بهم منه لأنه فهمهم جيداً ويفهم ما هم عليه؛ هذا لأنه سنّور مثلهم، ولكن تقدم سنّور آخر إلى "سوِيْبا" قائلاً: «اجعله يمضي حتى لا يصاب بأذى، وأنت تعلم جيداً مدى ذلك الأذى الذي أتحدث به».

هنا أفصح "سوِيْبا" عما بداخله متحدثاً إليهم هو الآخر: «أنتم لا تستطيعون إيذائه، فأنتم دمى تُستعملون، ولكنه عقل يفكر ويستطيع أن يفنيكم».

كانت هنا المفاجأة السارة حقاً، فقد تعجب "إندو" أكثر من ذي قبل، عندما وجد صديقه يتحدث هو الآخر مثلهم.

ولكن كان قد غضب أحدهم وأمد أحد ساقيه الأماميتين نحو "سوِيْبا" فجرحه في رقبته، فلما رأى "إندو" ذلك قام من مقامه وأمسك بصاحبه ليجد الجرح ينزف بشدة، فنزع عنه قميصه الصغير ووضعه على الجرح حتى يوقف الدم من النزيف قائلاً: «إن الإله الأوحد، الذي خلق الأشياء جميعاً، سوف يكون بجوارنا يا "سوِيْبا"، ثم إنه لا شيء يستطيع إيذائك إلا بما قدر الإله لك، فإن الإله الأعظم قادر على كل من يحارب الخير، وإني سأحارب الشر من أجل الخير

كما أمرنا الإله الأعظم، وإني لست خائف منكم ولا من أي شيء آخر، لأني لا أخاف إلا من الإله الأعظم».

ثم إنه وقف أمامهم وجعل "سوِيْبا" خلفه حتى لا يتأذى مرة أخرى، وأكمل كلامه مستطردا: «إن الإله الأعظم يرانا الآن، فأنا باسم الإله آمركم أن تذهبوا إلى حالكم؛ حتى لا يتأذى أحد».

فنظر إليه أحدهم في حقد شديد قبل أن يقول: «سوف يكون لنا لقاء آخر أيها الصبي، حينها ستعرف من نكون» .. ثم انصرفوا جميعاً تاركين خلفهم صبي صغير وسنّور مجروح، واعدين كلاهما بالشر.

هنا قد تمكن "إندو" من النظر جيداً إلى جرح "سوِيْبا"، قائلاً: «لا أعلم أن السنانير تتحدث، فما أمركم جميعاً؟!».

فنظر إليه "سوِيْبا" في ارتجاف قائلاً: «إنه أمر طويل سوف أشرحه لك يوماً ما، ولكني الآن لابد أن أذهب».

«لا لن تذهب إلى أي مكان، فسوف تأتي معي إلى الكوخ وسوف تعيش معنا دائماً».

«لا أستطيع فعل ذلك، فأنا...».

لكن قاطعه "إندو" بشدة قائلاً: «سوف آخذك معي، ولن أتخلى عنك أبداً، فأنت من الآن صديقي المقرب إلى قلبي».

«ولكن قد أتسبب في أشياء كثيرة أنت في غنى عنها».

«وليكن ما يكن، فأنا من أجلك سوف أفعل أي شيء، إنك طيب جداً وليس من العقل أن أتركك وحيداً بين تلك السنانير الغريبة».

«إذاً وأنا أيضاً بجانبك يا صاحبي، ولكن هناك شرط واحد لابد منه كي أكون كذلك».

فابتسم "إندو" قائلاً: «كما تشاء».

«لا أريدك أن تخبر أحدهم بأني أتحدث إليك، أو حتى تلك السنانير الأخرى».

«لا تقلق من ذلك، لأني لن أخبر أحداً أبداً».

«إذاً فلنمضي».

ثم مضى الاثنان نحو الحقل إلى "بانديل"، كان وقتها يداوي بعض النباتات من الآفات التي بها، ثم إنه لما رأى السنّور الصغير مع ولده اندهش من الأمر حتى اقترب منهما، فقال "إندو" «أبي هذا "سويْبا" صديقي الذي كنت أطعمه السمك آنذاك».

رأى "بانديل" أن هذا السنّور هادئ، ولمس فيه حبه للإنسان، غير أنه وجد قميص "إندو" قد لف على رقبته فقال: «صحبة خير، لكن ما الأمر لماذا لففت على رقبته قميصك؟!».

فنظر "إندو" بعض النظرات المتفرقة بين "سويْبا" وبين والده في ارتباك بعض الشيء حتى قال: «لأنه قد خدش في صخرة أثناء قفزه من أحد المناطق

العالية، ولكني داويته».

«عسى خير بإذن الإله».

«هناك أمر ما يا أبي، إنني أرغب أن يعيش معي دائماً».

«لا بأس يا "إندو" فإني أحب السنانير الهادئة، وأظن أنه هادئ».

«إنه كذلك بالفعل يا أبي، ولكنه وحيد لا عائلة له، فلم أجد سنّور واحد حتى بجواره».

«لا بأس يا ولدي أن تكون أنت كل شيء بالنسبة له».

الفصل الرابع

على عتبة باب الحكمة

عندما بلغ "أكيار" الثلاثين عاماً، وأخيه "ساتيدما" الستة والعشرين عاماً زوجهما "بانديل"، وبني لكل واحد منهما كوخاً قريباً منـه، وقـد اقتـصر كوخـه عليه هو وزوجتـه "كونـدليرا" وكـلاً مـن "سبراك" و"ساجوم" و"إنـدو" والـسنّور "سوِيْبا" الذي أصبح ملازماً لـ"إندو" في كل مكان، كان إندو وقتذاك قد بلـغ خمـسة عشر عاماً إلا قليلاً، وقد اتسع فكره وأصبح ذا بـصيرة خارقـة، حتـى أن الحكـيم "صهيا" قربه منـه، وأصـبح يناقـشه في أشياء كـثيرة ويأخـذ رأيـه أيـضاً، وعلـت مداركه إلى ما يقوله الحكماء، قدماء كانوا أو معاصـرين، فقـد حفـظ "إنـدو" كتـب كثيرة في الحكمة، وبـات يحلـم بالـسفر إلى القبائـل الأخـرى حتـى يـتعلم أكثـر، ولازال يتحدث إلى أبيه في ذلك، وما يكـون مـن أبيـه إلا أنـه يقـول: «كلمـا كنـت صبوراً يا "إندو" كلما أصبحت ذا حكمة راسخة، إنه لا يمر يـوم إلا وأنـت تـتعلم أشياء جديدة، فكن صابراً على ما تريد حتى يجئ أمامك في طبق من ذهب».

ويرجع "إندو" إلى "سـوِيْبا" خائبـة آمالـه، ولكـن بعيـداً عـن آذان النـاس يتحدث إليه "سوِيْبا" قائلاً: «لا تكن متعجلاً يا "إنـدو"، فمـن المحتمـل أن يكـون والدك يفكر في شـيء عظـيم لـك تحمـده عليـه، فـإني أراه معجبـاً جـداً بحكمتـك

العظيمة، منذ أن كنت صغيراً وإلى الآن وأنت تكبر وتكبر في آفاق القبيلة، والناس يعظمون شأنك لقدرتك العالية على التفكير في الخير، وخلافاً لذلك فهو يريدك أن تنهى على كتب الحكيم "صهيا" كلها حفظاً وعملاً».

ولكن "إندو" نظر إليه قائلاً: «أريد أن تفهمني جيداً يا "سويْبا"، لقد انتهيت من حفظ ثلثي مكتبة الحكيم "صهيا" وكلها تنصب في دائرة واحدة، ولكني أريد أن أسافر كي أجد جديداً أتعلمه وأنقله إلى هنا، كي نتعرف على كل ما هو جديد».

«عندك حق بالفعل يا "إندو"، ولكن هذا لا يجعلني أوافق على تسرعك في الأمور، إنما الصبر فيه خير فلا تكن متعجلاً».

«حسناً يا "سويْبا"، ولكني سأظل أحلم بفتح آفاق أخرى من العلم والمعرفة لأنتهم منها».

وقتذاك لم يكن "إندو" على قربة من "سويْبا" وحده، فقد تعرف على حيوانات أخرى كثيرة، وقد تحدث إليها هي الأخرى ولكن دون أن تتحدث إليه، لم يكن حديثه بنفس اللغة التي يتحدث بها هو، فكان يشير إليهم فقط إلا أنهم يفهمون كل ما يقول أو يقصد، لم يتحدث إليه بلغته غير "سويْبا" الذي كان مقرباً منه، ذلك لأمر لا يعلمه، لذا كان اقتصاره في الصداقة قد انصب عليه.

أخذ "إندو" "سويْبا" في أحد أيامهم الجميلة للتنزه، ينتصفان وقتهما بين نهر "قبرونيا" وجبل "طابان"، فقرر "إندو" أن يذهبا إلى النهر أولاً ومن ثم يتجهون ناحية الجبل، وقد أعد طعاماً لكلاهما وحمله على كتفه وانطلق بجوار

"سوِيْبا"، وقد أخذته رغبته في إنشاد شيء من الحكمة لصديقه، فقال: «اسمع يا "سوِيْبا" جيداً، فسوف أنشد لك نشيداً عظيماً، قاله الحكيم "صهيا" في كتاب له يحكي فيه عن أساطير الصداقة».

فنظر إليه السنّور وقد أومأ موافقاً على ذلك جيداً حيث قال: «أسمعني إذاً يا صاحبي، ولتكن الحكمة جميلة حقاً لطالما منك!».

فقال "إندو":

قال الحكيم صهيا:

«احتشد في يوم عيد دويرام أناس كثيرون،
ذلك في الأيام الخوالي،
عندما كان الخير يملأ جميع النواحي،
وعندما اتحدت القبائل كلها على الخير،
في عصر كان يحكم فيه القبائل حاكمنا الأول،
ذلك الحاكم الذي انتصر على التنين العظيم!
بفضل ما أعطاه له الفيلسوف المقدس!
من حكم سامية ومواعظ هائلة،
ومن قبله فضل الإله الأعظم،
الذي باركه في بحثه وعمله،
وجعله ينتصر على التنين العظيم!

كلاهما كانا يحبا الهدوء!

الفيلسوف المقدس والحاكم الأول،

لذا تركا الناس في فرحتهم بعيد دويرام،

ذلك العيد الذي في يوم مثله انتصر الخير على الشر،

حينما فقد الخير مكانه بين البشر،

وأصبح الناس طواغيت فيما بينهم،

لا يعملون على طعامهم،

ولا على تربية أولادهم،

ولكنهم كانوا في غابة دماء عظيمة،

يأكلون بعضهم البعض!

ويشربون دمائهم كما يشربون الخمر،

بل كان الخمر آنذاك يصنع من دماء البشر،

ولما أتى الخير على يد الفيلسوف المقدس؛

نشره وبثه في نفوس الناس،

ليتركوا ما هم عليه لأجل حياة نقية،

مليئة بالخير بريئة من كل شر،

ولما حدث ذلك وأصبح هناك حاكم؛

عاش الناس في خير وفير،

وظلوا أعواماً كثيرة يحتفلون بذلك العيد،

عيد الخير والبركة والنماء،

على كل من يقطنون دويرام،

في ذلك اليوم خرج الاثنان ليتماشيان،

وقد تركا القلعة كلها،

لأنها اكتظت بأناس كثيرين،

يضجون بالفرحة وينشدون أناشيد السعادة،

وقد صارا على أرجلهما والابتسامة على وجهيهما،

والفرحة تملئ قلبيهما،

لما قدماه من أجل دويرام،

الأرض التي لم ترى الخير منذ قدم التاريخ،

وما أن ابتعدوا عن القلعة حتى قال الحاكم:

«أناشدك الخير يا حكيم الحكماء،

ألا تتركني وحيداً أبداً!

فأنت عالم بأني لست على كثير من الحكمة كما أنت،

وإن دويرام بقبائلها كبيرة جداً،

فلن أستطيع أن أجمعها وحدي بحكمة مني،

لأن بصيرتي ليست واسعة الآفاق،

وبصيرتك على سعة كبيرة بذلك،

وأنا وأنت وبفضل من الإله،

قد أنجزنا عملاً عظيماً لم نكن نتخيله!

ولكني خائف في أن تعود الأيام إلى ما كانت عليه،

وينبعث الشر من الأرض وتنفجر براكينه،

وتتزلزل دويرام وترجع إلى الجهل مرة أخرى».

حينها أجابه الفيلسوف المقدس،

بكلمات أرى أنها تُكتب من ذهب!

وتنقش على أحجار الحياة بالماء الخالد!

وتتزين بها المياه على ضفاف الأنهار!

وتعلو هامات الجبال!

وتغوص إلى قيعان البحار!

وتتزين بنجوم السماء!

وبالقمر ليلة تمامه!

وتنشد في الألحان الشعرية الشاذية!

وتُنبَض على دقات القلوب!

فتختلط النبضات لتسمو كلماته في فضاء الحكمة:

«اعلم أيها الحاكم أنه أمر لا جدال فيه..

أنني أحب الخير كثيراً!

وأحبك أنت كثيراً لأنك تحبه!

وأحب كل من يحبه!

ذلك لأن الإله يحب من يحب الخير،

ويرزقه الكثير منه،

ولكن الحياة لن تكون كلها خير،

لأنها حياة ممزوجة بين الخير والشر،

وإن كنت في خير الآن؛

فاعلم أنك كنت في شر عظيم،

وإن تملكك الخير الآن؛

فاعلم أنه سوف يتملكك الشر فيما بعد،

والحقيقة المسلّم بها عند من آمن بالإله،

أنه لن يتفرق الخير والشر إلا بعد الموت،

فيكون خيراً أبدياً في الجنة،

لا يشوبه ذرة واحدة من شر.

ويكون شراً أبدياً في الجحيم،

لا يشوبه ذرة واحدة من خير.

فإن الخير هناك لما أراد الخير هنا،

والشر أيضاً هناك لمن أراد الشر هنا».

هكذا أجابه الفيلسوف المقدس.

ولأن الصداقة بينهما كانت حقيقية؛

تعانقا عناقاً شديداً،

وقد أحب كلاهما الآخر من أجل الإله،

وارتبطت أوصال صداقتهما،

بارتباطهما بحب الإله والتقرب إليه،

وحب الخير وإرادة إحياءه بين الناس،

والأمل في أن يمتثلا سوياً أمام الإله الأعظم،

يوم أن يحشر كل المخلوقات لأجل الحساب،

وأن يحاسبهم الإله على ما عملوا برحمته،

فيرزقهم الفردوس الأعلى،

ويكونا سوياً كما كانا من قبل،

فإن الصداقة الخيّرة والقلوب النيّرة؛

لا تزول يوم يعض الظالم على يديه!

يقول يا ليتني اتخذت الإله سبيلا!

يوم يقول يا وليتا لم أتخذ فلاناً خليلا!

لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني!

وكان الشيطان للإنسان خزولا!

يوم يخسر الإنسان نفسه!

ويفر من أخيه وأمه التي كانت تربيه!

وأبيه الذي كان يؤويه!

ويفر من صاحبته وبنيه!

يوم يقول يا ليتني كنت ترابا!

ولم أكن ممن يلقون الحسابا!

يا ليتني كنت للإله عابداً أوابا!

ولم أكن ممن يقيمون في الدنيا خرابا!

هكذا يتحدث إلى نفسه كل امرئ ظالم،

ظلم نفسه وغيره في الدنيا،

فالصاحب بالخير يصحب إلى الخير صاحبه،

والصاحب بالسوء يندّم من يصاحبه،

لأنه يصحبه إلى السوء في الدنيا،

وفي الآخرة إلى الجحيم».

فقال "سوِيْبا": «إن الخير من الحب يا "إندو"، وإن الحب يردع الشر، وإن الصداقة في الخير تبني الحب وتشيده في كل زمان ومكان».

«وأنا أحبك يا "سوِيْبا"، وأتمنى أن نرجع الخير إلى "دويرام" كما أراد

دوامه "الحاكم الأول"».

ولما أن وصلا إلى النهر؛ نزلا إليه مسرعان منغمران في مائه الجميل، وقد لامسا فيه أسيل الديباج، وشربا منه لبنا دون ماء، ذلك النهر المحبوب إلى قلوب الناس، والسعادة تغمرهم في خيال مليء بالخير، وماء النهر ينشر على وجوههم نغمات الحياة، فقط "إندو" الحكيم أو "الفيلسوف الصغير" وذلك السنّور الجميل "سويْبا"، دون أن يشاركهم ثالث أثناء عبثهم في النهر .. ولما نالا ما نالا من العبث في الماء؛ خرجا وقد أحضر "إندو" الطعام فأكلا، وما أن انتهيا من تناول الطعام حتى شدّا الرحال إلى جبل "طابان" في الجهة الأخرى للقبيلة، كانا أثناء الطريق يعلمان الحكم بعضهما البعض، فيتعلم السنّور من "إندو" حكمة، ويتعلم "إندو" منه حكمة وهكذا، ولما لم يكن بالطريق أناس يسيرون أو حتى تقع أطرافهم على أحدهم؛ طلب "إندو" من صاحبه أن ينشده حكمة من حكمهِ، فلم يرفض "سويْبا" ذلك لمّا وجد أنه في أمان، ومن ثم أنشد قائلاً:

«إن الروح التي تسكن الجسد..

لا يستطيع الجسد العيش بدونها،

ولكنها تستطيع العيش من دونه،

وتحوم حول الأشياء،

ليس من أجل البحث عنها،

لأن الأشياء هي التي تبحث عن تلك الروح،

تلك الروح التي لا يعرف كنهها إلا الإله الأعظم،

تلك الروح التي هي مصدر الحياة،

تلك الروح النفخة،

التي نفخها الإله في آدم من قبل،

والتي جعلها في كل خلق آخر،

يتنفس وينبض قلبه بالحياة،

ذلك الشيء العظيم الذي لم تراه عين،

ولكن ترى تأثيره في كل خلق يسكنه،

كالإنسان والحيوان والوحوش..

كالسمك والطيور والحشرات.

فنحن نرى الجسد يتحرك أثناء حياته،

لكنه عندما تنفصل تلك الروح عنه؛

دون أن نراها في حياته أو مماته؛

يقف الجسد دون حراك،

كأنه صخرة كما الصخور التي نعرفها،

صماء بكماء عمياء،

فهي كالهواء شيء نحسه لكن لا نراه!

تسير في الجسد كالنور!

يُعمر بها هذا الجسد ويُضاء!

ويظل بها كالورقة الخضراء!

التي تنمو بشجرة الحياة.

ولكن عندما تتركه وتعلو إلى خالقها؛

تكون كالورقة الذابلة،

التي فني ربيعها،

وماتت ودفنت بين ذرات التراب،

هكذا أنت بالنسبة لي يا صاحبي!

كتلك الروح التي أحيا بها!

هكذا أنت بالنسبة لي يا إندو!

فكن دائماً بجواري يا صاحبي».

فابتسم "إندو" وصفق لـ "سوِيْبا" قائلاً: «لم أكن أعلم أنك بهذه الشاعرية يا "سوِيْبا"، فكنت رائعاً حقاً واعلم أنني لن أتخلى عنك أبداً».

«يا صاحبي إن الحياة تعلم الكثير، ليس للإنسان فقط ولكن لكل شيء يعيش فيها، واعلم أنني دائماً سأكون بجوارك لأنك بالفعل تستحق ذلك يا "إندو"».

ولما أن وصلا إلى جبل "طابان" قال "إندو": «هل تسابقني على من يكون الأول في الصعود إلى قمة الجبل؟».

فقال "سوِيْبا": «ولكني سأسبقك».

فابتسم "إندو" قائلاً: «لا تكن مغروراً، ولا تخبر خصمك مدى قوتك في يوم من الأيام، إنما أريد أن تثبت ذلك بالعمل ليس بالقول يا صاحبي».

«إذاً ابدأ بالعد يا صاحبي».

«ثلاث، اثنان، واحد، انطلاق».

وانطلقا الاثنان صاعدان الجبل في أسرع ما يكون، لم يكن الجبل منحدراً بالطريقة التي تجعل صعوده صعب المنال، ولكنه كان مرتفعاً بعض الشيء، فلا زالا كلاهما يصعد ويتجنب الصخور الوعرة، وفي بادئ الأمر كان "إندو" هو المتقدم، لكن "سوِيْبا" تقدم عليه ببضعة أذرع، وظلا هكذا وقتاً لا بأس به، حتى جاءت اللحظة الحاسمة، تلك اللحظة الأخيرة التي فيها لم يتبقى على قمة الجبل إلا الشيء البسيط، فظل "سوِيْبا" هو المقدم حتى خدعه "إندو" وتساوى الاثنان في آخر الأمر، حينها احتضن "إندو" صاحبه "سوِيْبا"، الذي لم يستطع الانتصار عليه قائلاً: «قلت لك لا تكن مغروراً يا "سوِيْبا"، فإن الغرور يأخذ صاحبه إلى حيث لا يريد».

«من السهل أن تتعادل يا "إندو"، ولكن من الصعب أن تنتصر .. وإن لم أنتصر عليك الآن فسوف أفعل فيما بعد، فلقد انتصرت عليك كثيراً في المرات الأخرى السابقة».

«ولكني انتصرت عليك كثيراً أنا الآخر، فلا تنسى ذلك».

كلاهما كانا دائماً هكذا في كل رحلة أو فسحة يخرجان فيها، يتفاخر كل

منهما بأنه الذي يمتاز عن الآخر، وكانا دائماً يذهبان إلى تلك الفسحة الرائعة، بين النهر والجبل، وغير ذلك حقول النخيل التي كان يصعد "إندو" فوق نخيلها ليأخذ من ثمرها حين تثمر، وكان من أكثر الطعام الذي يعتمد عليه وقت الرحلة هو التمر، ليس في كل رحلة ولكنه يفعل، وكانا يبدآن الرحلة بالنهر أولاً ومن ثم الجبل، تلك الفسحة التي يُسعِد كلاهما فيها الآخر، ويتسابقان دائماً وكلاهما يرى أنه الأحق بالفوز من الآخر في كل مسابقة يعقدانها، حينها جلسا على قمة الجبل وظلا ينظران إلى البيوت والأكواخ وهي أشياء صغيرة في أعينهم، ونهر "قبرونيا" الرائع في الجهة الأخرى، ومائه السلسبيل الجاري بترقرق بين ضفتيه، والمناطق الأخرى المجاورة للقبيلة، كجبال "غشدان" تلك السلسلة الجبلية الممتدة من حدود "قران" من أقصى الناحية الجنوبية إلى غابات "غُضار"، تلك الغابات التي يسكنها الجن من آلاف السنين، والتي لا يستطيع الإنسان أن يدخلها مهما كان الأمر، وهكذا ينظران إلى المزارعين وهم يعملون في الحقول، ويرجع الحلم بالسفر يراود "إندو" من جديد، فيضطجع على ظهره ويضع يداه متشابكتان تحت رأسه ويظل يأمل بالخروج من تلك القبيلة، ليس كراهة فيها ولكن للتعرف على القبائل المجاورة وما وراءها وتاريخ كل منطقة، ولا ينتهي حلمه أبداً عند شيء معين، ولكنه يرتبط بكل شيء يريد أن يعرفه، مهما كان كنه هذا الشيء، معروفاً أو مجهولاً، وقد جلس صاحبه "سوِيْبا" بجواره جلسة الأسد قائلاً: «لطالما جئت إلى هنا لطالما رأيت الحياة».

فنظر إليه "إندو" قائلاً: «ولكن هناك أشياء أخرى كثيرة أروع من هنا يا

"سوِيْبا"، فالحياة ليست مقتصرة على هذا الجبل».

«ولكن هذا أجمل ما رأيت».

«لذلك أنا لا أريد أن أقتصر على تلك الأشياء التي تعلمتها فقط والتي رأيتها، إنما هناك الكثير الذي لم نطلع عليه بعد، فإن البحث عن الحكمة يتطلب سفراً بعيداً يا "سوِيْبا"، وأنا مستعد للسفر إلى أي مكان ولكن متى؟!».

«قريباً يا صديقي، قريباً جداً».

«حقاً يا صاحبي، ولكن سيظل هذا عسير علينا حتى نناله».

أغمض "إندو" عيناه وراح في ثبات عميق، بين الأحلام بالسفر الطويل لتعلم الحكمة والتي يتمناه دائماً، وبين وصوله إلى قبيلة "دويرام" أو "قلعة التنين" تلك البقعة التي يدور فيها كل أنواع الشر، والتي لم يعد بها بشر على طبيعتهم التي خلقوا عليها، تلك البقعة التي بات يحلم بأن ينشر فيها الخير كما فعل "الفيلسوف المقدس" من قبل.

جلس "سوِيْبا" بجواره على هيئة نائم، وقد أسند رأسه إلى يد "إندو" اليمنى، وراح هو الآخر في سبات عميق، ومر من الوقت الكثير دون أن يقوم أحدهما، ولكن أحس "سوِيْبا" بأقدام تصعد الجبل، إلا أنه أفاق في وقت فيه قد اجتمع أمامه تلك السنانير السابقة التابعة لـ"ساحوق"، ذلك السنّور الشرير الذي لا يعمل إلا للشر، كل ذلك و"إندو" لازال نائماً يحلم بالسفر، حتى علت الأصوات بين "سوِيْبا" و"عاجاف"، ذلك الأخير الذي يُرى عن غيره ممن معه بشكل أكثر خيفة وقبح، هنا قلق "إندو" من نومه فقام على أبشع المناظر التي وقعت عليه

عينه، فقد وقف "عاجاف" وقد فتح فمه بشكل أكثر وحشية، وكأنه تمساح يريد أن يبتلع من أمامه، فقال "إندو" لصاحبه "سوِيْبا": «هيا بنا يا "سوِيْبا" فإن هذا المخلوق بشع للغاية».

فاقترب "عاجاف" بوجهه القبيح من وجه "إندو بانديل" قائلاً: «قلت لك من قبل أنه سيكون لنا لقاء آخر كي تعرف من نكون».

فأجابه "إندو" قائلاً: «وأنا لا أريد أن أعرف من تكون، هيا يا "سوِيْبا"».

«ولما العجلة أيها الصغير؟ نحن لم ننتهي من الحوار بعد».

«ولكني قد انتهيت».

إلا أن "سوِيْبا" قد قال مخاطباً "إندو": «انتظر يا "إندو" قليلاً كي نرى ماذا يريدون» .. ثم توجه إلى "عاجاف" مستطرداً: «ماذا تريدون؟».

فعلى الفور أجابه "عاجاف" في أنفة قائلاً: «نريد أن نتحدث إليك دون هذا البشري الذي لا يعلم من نكون».

فطلب "سوِيْبا" من صاحبه أن ينتظر قليلاً دون أن يقترب منهم، وذهب متنحّياً بصحبة "عاجاف" ومن معه عن المنطقة التي وقف فيها "إندو"، وظلوا يتحدثون كثيراً و"إندو" لا يعرف في أي شيء يتكلمون، ولكنه لم يصبر بعد القليل من الوقت عندما وجد ذلك المخلوق القبيح يصيح في وجه صاحبه، فاقترب منهم قائلاً: «ماذا هناك يا "سوِيْبا"؟! لماذا يصرخ في وجهك هكذا؟!».

فأجابه "سوِيْبا" بسرعة بديهية قائلاً: «انتظر قليلاً أرجوك يا "إندو"،

وأنا أرى أنه من الأحسن أن تذهب أنت إلى البيت».

«"سوِيْبا" لن أتركك وحدك أبداً».

«إذاً انتظر ولا شأن لكَ بما يحدث بيننا».

فابتعد "إندو" وهو في غاية الغضب من هؤلاء السنانير الغريبة، وفي قلق شديد أخذ المكان جيئة وذهاباً، وقد تملكه الغضب إلى أقصى الحدود، ذلك لما هو عليه من جهل بما يتحدثون، ولكنه انتظر كثيراً حتى سمع صوت "عاجاف" يصرخ من جديد، وما أن وقعت عينه عليهم حتى رأى ذلك المخلوق القذر يعبث بوجه "سوِيْبا"، فجري نحوهم في أقصى سرعة، إلا أن الثلاثة الباقين من السنانير تصدوا له في طريقه، ولكنه لم يتوقف عند رأيتهم، إذ إنه أكمل السير نحوهم قاصداً الدفاع عن صديقه"سوِيْبا"، فتخطى السنانير التي اعترضت طريقه حتى وصل إلى "عاجاف"؛ فوقف أمامه وقد تشكل وجهه بعلامات كثيرة من الغضب، فتشبث به "عاجاف" برجليه الأماميتين وتقابل الوجهان قائلاً: «لا تودي بنفسك أيها البشري، فإن أحب الأشياء إلى قلبي هو الأذى، وأتمنى أن أؤذيك الآن قبل الغد».

فأمسك "إندو" بكلى يديه منكبي السنّور قائلاً: «لقد قلت لك سابقاً أن الإله الأعظم يرانا الآن، وأنا لازلت عند قولي هذا ولا أخاف منك مهما فعلت بي، وقولي هذا ليس لك وحدك، نعم ليس لك وحدك ولكنه ...».

فقاطعه "سوِيْبا" قائلاً: «لا تكمل يا "إندو" فهذا سيجلب الضرر للقبيلة كلها».

فتذكر "إندو" قول أبيه" لأخيه "أكيار" حينما سأله عن تركه لتلك السنانير مع العلم بأنها تنقل كل شيء تراه لـ"جومار"، فهدّئ "إندو" من روعه قليلاً، ثم أخذه "سوِيْبا" وهمّا بالمغادرة والهبوط من فوق ظهر الجبل، ولكن تصدى لهما "عاجاف" مخاطباً "سوِيْبا" قائلاً: «فكر جيداً فيما قلته لك، لأنني لأن أطلب منك ذلك مرة أخرى».

فتركه "سوِيْبا" دون أن يجبه ببنت شفة، وهبط من فوق الجبل هو وصاحبه "إندو"، ليصبح "عاجاف" ومن معه كأنهم ذئاب تعوي فوق ظهر الجبل دون أن ينتبه لها شخص، كان "إندو" وقتذاك في غاية الغضب، وكان يفكر في ذلك الكلام الذي قاله "عاجاف" لصديقه "سوِيْبا"، أي شيء كان يقوله له؟!، وأي شيء طلبه منه وقرر أنه لن يطلبه مرة أخرى بطريقة التهديد كي ينجزه "سوِيْبا"؟!، ولمَ لمْ يرد "سوِيْبا" أن يعلمه بما كان بينهما؟!، كل ذلك جعل "إندو" يتشتت من التفكير، ولكنه ترك كل شيء خلف ظهره وفكر في شيء واحد فقط، هو أن صاحبه في خطر شديد ويجب أن يقف بجواره.

وما أن نزلا إلى سفح الجبل حتى أوقفه "إندو" طالباً منه أن يخبره كل شيء، ولكن "سوِيْبا" قال: «سوف أخبرك بكل شيء في الوقت المناسب، صدقني يا "إندو" سوف أفعل ذلك».

«صدقني يا صاحبي أنا لست خائفاً على نفسي منك أو مما أنت مقبل عليه، أو مما أنت متورط به، ولكني سأقف بجوارك حقاً».

«أعلم ذلك جيداً يا "إندو"، ولكن صدقني سوف أخبرك في الوقت المناسب

لأنه في الوقت الحالي لا أستطيع أن أخبرك بشيء».

«كما تشاء يا صاحبي».

ثم ذهبا قاصدان الكوخ، ولم ينبث أحدهما ببنت شفة لما قد رآه من ذلك السنّور الغريب، وظلا صامتين إلى أن وصلا إلى الكوخ، كان لازال بعض آثار الغضب على وجه "إندو" مما حدث له ولـ"سوِيْبا"، ولكنه حجب كل شيء وأظهر البسمة التي دائماً تعلو وجهه، ومر اليوم بما فيه من خير وشر دون أن يحدث أي جديد.

وفي عصر أحد الأيام وقد مالت الشمس ناحية الغروب، أخذ "بانديل" ولده "إندو" معه قاصداً الجبل، ولما سأله "إندو": «ولم الذهاب نحو الجبل في هذا الوقت يا أبي وقد رفضت أيضاً حضور "سوِيْبا"؟!».

فأجاب "بانديل" قائلاً: «سوف تعرف كل شيء في وقته كما قلت لك سابقاً، فاصبر يا "إندو"».

ولما أن وصل "بانديل" عند سفح الجبل عند الصخرة ذاتها في ذلك المكان المكثف بالعشب؛ التفت حوله باحثاً عن أي شخص في تلك المنطقة فلم يجد، لذا جلس إلى الأرض وأزال بعض الصخور من منطقة بعينها، ليزداد "إندو" تعجباً على تعجبه واستغراباً جعل وجهه يمتلئ بعلامات الدهشة، فقال سائلاً: «ماذا تفعل يا أبي؟ فلمَ تزيل تلك الصخور من هذه المنطقة بعينها؟!».

«قلت لك سوف تعلم كل شيء في موعده يا ولدي، هيا ارفع معي ذلك الباب».

فرفع معه "إندو" الباب الذي صنع من شجر الأرز، ذلك الباب المزركش بالصخور، كل هذا قد جعل من "إندو" نفساً غريقة في بحور الدهشة لا تستطيع أن تخرج إلى الهواء، ولا تستطيع أن تتنفس حتى، إلا تلك الدهشة التي طُبعت على كل شيء في نفسه وتمكنت منه، ثم إنه نزل بعد أبيه ووضع الباب كما كان، وقتها قد أشعل "بانديل" الشعلة المعلقة على الحائط، لتنشر النور على كل شيء في السرداب، ولتكتمل الدهشة أكثر بكثير مما كانت عليها في نفس "إندو"، ولم ينبث "إندو" ببنت شفة مما رآه، بل ظل ينظر إلى الأشياء كلها فاغراً فاه، إلى أن ابتسم "بانديل" كاسراً بابتسامته وحشة المكان والصمت الذي حل بينهما قائلاً: «ألن تسأل الآن لماذا جئت بك إلى هنا؟!».

فلم يجب "إندو" في بادئ الأمر، ولكنه عندما انتبه لأبيه قال: «الآن فقط قد وضح كل شيء، ولكن هذا يثير الكثير من الأسئلة».

فقال "بانديل": «سوف أجيبك على كل ما يدور في عقلك، فهذا السرداب قد حفره جدي وقد ورثه أبي عنه دون أخوته، وقد ورثته أنا عن أبي، لأنه لم يكن له إلا ولد وحيد وهو أنا، والآن يا ولدي لم أجد لهذا السرداب وما يحتويه إنساناً مخلصاً يريد أن يأخذ بما فيه ويحافظ عليه إلا أنت، لذلك فهو يحتوي على مكتبة لن تجدها عند الكثيرين من القبائل الأخرى، التي تريد أن تسافر إليها من أجل العلم بالحكمة، فكل ما تريده الآن سوف تجده هنا، فهنا في هذا السرداب ستجد كل شيء، لقد اتخذته مكتبة لي ومخزناً لحفظ آثار أجدادك، ولقد اتخذته أيضاً محلاً ومعتكفاً لعبادة من توجب له العبادة؛ الإله الخالق الذي

لا إله إلا هو والذي من أجله أحافظ على هذه المكتبة بعيني وروحي وحياتي».

لم يكن "إندو" قد فاق من الدهشة بعد، ولكنه قال كلمة جعلته يترك السفر وراء ظهره ويفكر فقط فيما وجده عند أبيه هنا في هذا السرداب الخيالي، إذ قال: «إن به علوم لم أسمع بها من قبل».

فابتسم "بانديل" قائلاً: «أعلم أن الحكيم "صهيا" لم يكن عنده حتى القليل من هذه العلوم الكثيرة، لأن جدي قد سافر إلى مناطق كثيرة في سنه المبكرة، وقد اشترى كتب كثيرة في علوم عديدة، فورثها أبي وتعلم على يده كل تلك العلوم، وقد أخذتها عنه رحمه الإله، وقد جاء اليوم حتى أعلمك أنت الآخر تلك العلوم يا ولدي، فلم أجد حتى الآن فطنة وحكمة في من هو أكبر منك سناً، لذلك أنا أتوسم فيك خيراً لو تعلمت كل تلك العلوم يا "إندو"».

«لا تقلق يا أبي، سوف أتعلمها كلها بإذن الإله الأعظم، ولكن لماذا لم تخرج هذه المكتبة إلى النور؛ كي يتعلم منها كل من يطلب الحكمة؟!».

«إنه يا ولدي أمر يطول شرحه».

«ولكن تلك الأمور كلها لم لا أعلم حتى بعضها؟!».

«أريد أن تعلم أنني قد صدقتك الآن فيما كنت تريد، واعلم أن كل شيء يكون بأوان وموعد حقيقي؛ وحين يأتي هذا الموعد سوف أخبرك بما تريد معرفته».

«أمرك يا أبي، ولكن لم رفضت بمجيء "سوِيْيا" معنا؟!».

فأحضر "بانديل" مقعد وطلب من "إندو" أن يجيء بواحد هو الآخر ثم قعدا، حينها قال: «أنت بالفعل تعرف عن تلك السنانير الغريبة، التي تحدثت فيها أنا وأخوك "أكيار" من قبل؟».

فتذكر "إندو" ما حدث معه يوم أن علم بتلك السنانير، حينما كان يبلغ من العمر أربعة أعوام، وتلك الحادثة التي لم يمر عليها الكثير، حينما كان هو و"سويْبا" فوق جبل "طابان" وجاءهما "عاجاف" ومن معه من السنانير الغريبة، وفعلوا ما فعلوه معهم، فقال: «نعم أعرفهم يا أبي».

«إنهم يتتبعون جميع السنانير التي لا تؤيد ما هم عليه، لذلك خفت أن يتتبعوا "سويْبا" حيث يذهب، ولو أنهم تتبعوه فعلاً وجاء معنا؛ لظهر الأمر لهم وخسرنا ما حافظنا عليه أنا وأبي طوال حياتنا».

فتأكد "إندو" فعلاً بتعقبهم لـ"سويْبا" في كلتا المرتين، لذلك قال: «عندك حق في ذلك يا أبي، لذا فلابد أن نتصرف بحكمة في هذا الأثر النافع لنا ولغيرنا بإذن الإله الأعظم».

«كل ما يُطلب منك الآن، هو أن تتفرغ جيداً للدراسة في هذه الكتب وتلك العلوم، لأنك بها سوف تصل إلى نتائج قيمة تنفعك وتنفع بك».

«لقد تمنيت أن أسافر كثيراً لطلب العلم يا أبي، ذلك العلم الذي لم أجده في القبيلة، ولكن الآن قد وجدت ما يكفي من العلم لسنين طويلة، لن أكل أبداً في السهر على التعلم».

«وهذا هو المطلوب منك يا "إندو"، ألا تكل في بحثك عن الحكمة في أي علم

مهما كان طريقه».

«لذلك يا أبي طلبت العلم قبل أن أطلب السلاح، فكان القلم سيفي، والكتاب درعي، والإله الأعظم غايتي».

«يا ولدي خير ما طلبت، فإن العلم سلاح ذو حدين، علم فيه نفع للناس في تلك الحياة الفانية وحياة ما بعد البرزخ، وعلم فيه أيضاً ضرر للناس في هذي وتلك، ولقد اتخذت خير طرق العلم؛ العلم بالحكمة من أجل الإله الأعظم لتنفع بها الناس في عبادة خالصة له لا يشوبها شائبة».

فابتسم "إندو" لما قال والده، فابتسم "بانديل" في تعجب من أمر ولده وأشار إلى ابتسامته قائلاً: «ما يبسمك هكذا يا "إندو"؟!».

«لأنني فقط أحسد نفسي على هذه الكتب القيمة، التي فتحت لي أبوابها ولم تنفتح للحكيم "صهيا"، مع أنه رجل حكيم قد تبحر جيداً في طلب العلم!».

«ومن أخبرك أن تلك الأبواب لم تفتح للحكيم "صهيا"؟».

«هل تقصد أن الحكيم "صهيا" قد عرف هذا المكان؟!».

«بالطبع قد عرفه يا "إندو"، لأنه عندما كنا في مثل سنك؛ كان يعلمنا جدك هنا، لما قد رآه منا على طلب الحكمة، ولكنه سافر بعد ذلك وجمع علوم أخرى، وظلت أنا هنا كي أحافظ على هذا المكان الجميل».

«ولكني أرى أن هنا الكثير من العلوم التي لم يتحدث عنها الحكيم "صهيا" في يوم من الأيام، فكيف تعلم هنا وهو لم يتحدث بها».

«هذا ما طلبه جدك منه، ألا يتحدث على الملأ بما لا يسعد "جومار"، وجواسيسه يتنفسون أمام أعيننا بالطبع طوال الوقت، ولكنه يتحدث في حرص تام ومع أناس يطلبون الحكمة ليسوا من القبيلة».

«إذاً يسافر الناس من بلادهم لأجل الوصول إلى الحكيم "صهيا"، كي يطلبون منه الحكمة؟!».

«بالفعل، ولكن أريدك أن تعلم أنه لم يتعلم كل تلك العلوم، بل تخصص في بعضها، ولذا أريدك أن تتعلم جيداً كل تلك الفنون من العلم، ليس لمنافسة الحكيم "صهيا"، ولكن لمنافسة من يأتون بالضرر إلى الناس بعلومهم السحرية التي لا يرضى بها الإله الأعظم».

«لتكن هذه يا أبي خطوة أولى على عتبة باب الحكمة».

الفصل الخامس

على مشارف التهلكة

إنه من الصعب جداً أن يخاف القوي من الضعيف، ولكن عادة من السهل أن يخاف الضعيف من ذلك القوي، تلك النظرية الملموسة قد عُرفت هكذا من قديم الأزل، ولكن ما حدث هو العكس؛ عندما وصلت كل المشاهد التي أحدثها "عاجاف" ومن معه عن طريق عيونهم إلى حوض بيضاوي كبير، ذلك الحوض الرمادي الذي أقيم على بعض تماثيل حجرية لسنانير مخيفة، تلك التماثيل التي فغرت أفواهها كما التماسيح، حيث خرج من كل فيه من تلك الأفواه حية عظيمة، وقد تكاثرت الألوان في تلك التماثيل ما بين أسود وأحمر وأصفر وأزرق وأخضر، كل تلك الألوان قد وزعت بين العيون والأجساد والأفاعي، لتأخذ كل منطقة نصيبها من الألوان، حيث كان أجسام السنانير باللون الأسود، ورؤوسها باللون الأزرق، وعيونها باللون الأحمر، وأما الأفاعي فكانت باللون الأخضر وعيونها باللون الأصفر، غير أن الحوض قد نقشت عليه عيون كثيرة مختلفة الألوان والأشكال، ولكن كلها توحي بأنها عيون السنانير، ثم إن ذلك الحوض نفسه كان مليئاً بعيون السنانير الحية التي تسبح في سائل غليظ بعض الشيء عن الماء، والذي يتخذ اللون البنفسجي، وكانت العيون تسبح على سطح ذلك السائل

كما تسبح الأسماك في الماء وتتدلى أعينها ببصيص إلى الهواء، ظهرت العيون كثيرة جداً بحيث أنه من الصعب إحصائها، كل ذلك كان في قاعة عظيمة طليت باللون الأسود، والتماثيل الشيطانية مصفوفة إلى جانبي القاعة، وفي وسطها تثبتت مائدة طويلة عظيمة لها نفس ما للحوض تماماً، وذلك من قواعد صنعت من نفس أشكال تماثيل السنانير ذات ألسنتها الأفعوانية التي للحوض، وخلف الحوض قد استقر عرش عظيم ذهبي محلى بالماس واللازورد، وخلفه على الحائط قد استقرت دائرة حمراء تمسك بأطرافها من الداخل نجمة خماسية برز منها رأس شيطان مخيف، حيث أنه أخذ مظهر ذلك النجم، إلا أنه في الحقيقة ليس إلا رأس لشيطان عظيم، به كل مقاومات القبح والدمامة والهيبة، فقد ارتفع له قرنان مع قطبين لذلك النجم مخيفين جداً، كما أنه قد تدلت أذنين إلى القطبين الجانبيين، ليتبقى الوجه والذقن في نصف النجمة وفي القطب السفلي، وقد نقش على الدائرة من الأطراف السوداء بعيداً عن النجمة رموز وطلاسم غريبة بالخط الأحمر إن لم يكن بالدم الحي نفسه، قد تكون من لغة السحر والشياطين، وقد امتثل حول الحوض رجلاً مهيباً، قد ارتدى عباءة سوداء طويلة، لها قلنسوة قد تركها تستريح على رأسه، مما جعله أكثر هيبة وتعظيماً، وقد استند على عصا طويلة محلاة هي الأخرى بالذهب والمرمر، وقد أخذت شكلاً ساحرياً عظيماً، فلم يكن هذا الرجل إلا الساحر العظيم "داهور"، الذي أصبح عبداً لـ"جومار" واليد العظمى له، وقد جلس على الجانبين تحت رؤوس التماثيل بعض الرجال المخيفين الذين يقفز الشر من أعينهم، كان وقتها لازال "داهور" ينظر إلى الحوض وقد ظل وقتاً طويلاً

على هذا الحال دون أن ينبث ببنت شفة، إلا أنه كسر الصمت والظلام من حوله قائلاً: «إن ذلك المشهد لا زال يضايقني كثيراً، لا أدري ماذا كان سيقول ذلك الطفل، ولم أوقفه ذلك السنّور المدعو "سويْبا" عن الكلام، فقد أوقفه عند كلمة حاسمة جداً، فماذا كان يقصد بقوله: "وقولي هذا ليس لك وحدك، نعم ليس لك وحدك ولكنه..."؟!، أجيبوني أريد أن يجاوبني أحد بهذا الأمر».

فأجاب أحد وزرائه وهو "كاجغر"، ذاك الذي يحب الحكمة للشر قائلاً: «قد يكون قاصداً لجماعة "عاجاف"، وهذا بعيداً جداً لأنه لم يخف من "عاجاف" ذاته، وقد يكون .. قد يكون ..».

فقال "داهور" في غضب شديد: «وقد يكون ماذا يا "كاجغر"؟، قل بلا حرج قل إنه قد يكون لي أنا شخصياً».

«لم أقصد يا سيد "داهور"، صدقني لم أقصد ذلك».

«أو أنك تقصد يا "كاجغر"، فإن الأمر حقاً لم يعد يتطلب معرفة من يقصد، ولكني خائف حقاً أن يكون قد عرف هذا الطفل أن تلك السنانير عيون نرى بها جميع القبائل والبلدان».

فرد أحدهم واسمه "قوبال" قائلاً: «وما الضير في ذلك يا سيد "داهور"؟، فإنه لا يستطيع فعل شيء، وأنت تعلم أن أمر تلك السنانير معلوم جيداً للبشر في كل مكان».

«أنا معك فيما تقول يا "قوبال"، ولكني أرى ما لم يراه أحد في هذا الطفل، إنه طفل ليس كغيره من الأطفال، ولكنه شيء آخر تماماً، فهو لا يتكلم إلا

بالحكمة، تلك الحكمة التي لا يتحدث بها الكثيرون في تلك القبائل، بل القليلون جداً في هذا العالم بأكمله، مثل ذلك الشاب الذي جاءنا إلى القلعة منذ زمن مضى، هو وذلك الأسد الذي أراد إنقاذه، ولكن هناك شيء أريد أن أتأكد منه، كي أرى إن كانت حكمته هذه نابعة منا، أم من ذلك الشيء الآخر الذي لا نعرف عن كنهه شيء».

«ماذا تقصد يا سيد "داهور"؟».

قالها "ظلاف" أحد أعوانه من الوزراء الجالس بجوار "قوبال"، فأجابه "داهور" قائلاً: «أقصد الإله الأعظم الذي يذكره دائماً، فإنه يقول أن الإله الأعظم يرانا، فمن هذا الإله الذي يقصد؟! أهو عظيم الأرض "جومار" أم أحد آخر؟!».

«لا أدري ولكن سنعلم قريباً، الشيء الذي يدور في رأسي هو ذلك الشاب صاحب الأسد، فأنا أظن أنهما يتكلمان لغة واحدة، آخذين ذلك الإله لهم كل شيء».

كان هذا الشاب الذي يقصده هو "قبروني"، الذي أتي من "بوشان" منبع نهر "قبرونيا"، إلا أن اسمه اشتق من ذلك الاسم العظيم للنهر، لأنه يتيم الأبوين وهذا معلوم للناس جميعاً المطلة قبائلهم على ذلك النهر، فإن كل يتيم يسمى بهذا الاسم، للمعرفة بأن والديه قد ماتا، فقد جاء من هناك عبر النهر العظيم، إلى "قرّان" قاصداً الحكيم "صهيا"، ذلك الرجل الذي بلغ صيته نواحي الأرض، كل ذلك من أجل أن يتعلم حكمة واحدة على يد هذا الحكيم؛ تساعده على العيش في هذه الدنيا على خير حال، راضياً عن نفسه مطمئناً بما يصدر منها من أفعال

مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتلك الحكمة، فأمره الحكيم "صهيا" أن يقيم لديه أكثر من شهر، على أمل أن يعلمه أشياء أخرى غير هذه الحكمة التي يريدها، وبعد أن مرت الأيام أعطاه الحكمة العظيمة التي كانت هي سر قتله، إذ بعدما أتقن تلك الحكمة اتخذ طريقه نحو "قلعة التنين"، كي يرفع اسم الإله فوق كل شيء، ويظهر تضحية عظيمة بكل شيء من أجل الإله الأعظم الذي خلقه وخلق كل شيء من حوله، وكان قد صاحب أسداً عظيماً بفضل الإله في تلك الهجرة الكبيرة، أعانه إعانة شديدة على مشقاتها، تلك الرحلة العظيمة الذي أخذها في بدأ الأمر من "بوشان" إلى "قرّان"، ومنها إلى "قلعة التنين"، وكان قد صاحب الأسد في طريقه إلى "قلعة التنين"، ومن أحد المواقف الجميلة التي كانت بينهما، عندما دخلا غابات "سبران" وبعد أن تعب "قبروني" وأخذ ضربة شمس، أن الأسد قد كان يروح ويغدو من أجل أن يحضر له الماء والفاكهة، وأنه لما ذهب مرة لإحضار الماء سمع زئيراً شديداً عند المنطقة التي تركه فيها، فترك الماء من فمه وأسرع ناحيته ليجد أسدان يحيطان به، فأمر كلاهما بلغته أن يتركاه لأنه صاحبه ولكن دون فائدة، حتى قاتلاه واحداً تلو الآخر فأصابهما إصابة شديدة، وبعد أن فاق "قبروني" من مرضه أحب أن يشكر "غبرانكي"، الذي هو الأسد نفسه هكذا سماه عند بداية صحبتهما، فأنشده نشيداً جميلاً يشكره فيه على ما فعله معه قائلاً:

«كنت قد تعبت كثيراً..

حينما مشيت تحت الشموس!

شعاعها كان شديد جداً!

لا أدري كيف قبلت على نفسي بذلك!

ولا أدري كيف أقبل على "غبرانكي"!

ولكن قد فعلت ذلك من أجل شيء عظيم،

أسمى من أن أرتاح لحظة أو اثنتين!

أسمى مني ومن كل شيء!

إنه من أجل الإله!

من أجل أن يعلم الناس جميعاً..

أنه لا إله إلا هو!

الخالق الذي خلق كل شيء!

فكيف لي إذن أن أرتاح؟!

ولكني قد ارتحت كثيراً بعد أن تعبت،

ولكن هذا يسعدني كثيراً،

لأن الإله يختبرني كالعادة،

وهو لا يختبر إلا من يحب،

ويكفيني هذا منه وهذا أكثر،

أكثر بكثير مما أريد،

ذلك الإله العظيم!

الذي رزقني بصحبة "غبرانكي"،

تلك الصحبة التي نفعتني كثيراً ،

والتي أعانتني على السفر وعنائه الشديد ،

حيث أنه قد أنقذني من الموت ،

بعض المرات في آونة مختلفة!

فلو لم يكن الإله سخَّره لصحبتي؛

لكان أكلني منذ أن قابلته ولم يكن صاحبني.

ولو كان تركني في مرضي لكنت مت..

ولو كان تركني لبني جنسه لكنت أُكِلت..

ولكنه تشاجر معهما من أجلي..

من أجل أن أبقى على الحياة ،

ليس لشيء أحبه في الدنيا ،

ولكن لشيء عظيم أحبه في كل وقت ،

هو إعلاء كلمة الإله الواحد.

فصحبتك هذه يا "غبرانكي" لن أنساها!

وإن مت في أي لحظة سوف نتقابل ،

في تلك الحياة الأخيرة ،

التي وعدنا الإله بها ،

ولكن كل شيء بإذنه يا صاحبي».

وقد عاشا أياماً عظيمة سوياً قبل أن يصلا إلى "قلعة التنين"، كان يحرص "قبروني" على ألا يراه أحد من عبيد "جومار"، هؤلاء آكلوا لحوم البشر ذو الأعداد الرهيبة، حتى أنه قد وصل إلى مدخل عظيم جداً، من خلاله يستطع أن يعبر إلى داخل القلعة، ولكن أوقفه شيء مخيف بالنسبة له، وفي نفس الوقت مخيف جداً لغيره، فقد وجد ثلاثة من آكلي لحوم البشر يتضاحكون فيما بينهم، وكانوا سكارى للغاية وبيد كل واحد منهم زجاجة خمر كبيرة، وكانت أشكالهم رهيبة جداً وأعينهم حمراء كأنها النار، وشعرهم أشعث كهشيم المحتضر، ولباسهم مهلهلة وعليها بقع كبيرة من الدماء، ولكن جاء لينظر إلى كناناته وما تحوى من الأسهم فلم يجد إلا واحداً، ففكر كثيراً في الأمر ولكن دون فائدة، فلو أنه ضرب أحدهم فسوف يخرج عليه الأخيران، وهو يرى في نفسه أنه لا يقدر على واحد فقط منهم، ولكن يقينه بالإله كان أكبر حيث أخرج قوسه ولقمه بالسهم، ثم أخبر "غبرانكي" بما عليه فعله، وإلى أن انتهى من تدبير الأمر حتى أطلق سراح السهم ليرشق في رقبة أحدهم، وقتها انتبه الأخيران لذلك فرمى كلاهما بزجاجة الخمر التي بيده، وأسرعا إلى الناحية التي جاء منها السهم، حتى خرج لهما الأسد وأخرج "قبروني" سيفه الذي أخذه من قبيلة "أدمات"، واتجه هو إلى أحدهم وترك الآخر إلى "غبرانكي"، وظلا القتال بينهم بعض الوقت حتى انتهى "قبروني" من الذي يقاتله؛ فقد شج رأسه نصفين، ولكن الآخر قد أصاب "غبرانكي" بعضة عظيمة بنواجذه المسمومة، حيث أسال الكثير من دمه، ولكنه كان قد قتله هو الآخر، واقترب منه "قبروني" وبكى من أجله بكاء

شديداً، ذلك الأسد العظيم الذي ساعده على أشياء كثيرة، بل قد أنقذه من الموت حقاً، فلم يستطع أن يفعل شيء غير أن أخرج من جيبه سائل في كوة صغيرة ووضعه على جرحه، ثم خلع عنه بعض ثيابه ووضعها على الجرح وأحكم ربطها، كان الجرح في عنقه عظيماً جداً، حتى أن "قبروني" تعجب من فم ذلك المخلوق الرهيب، وأحس "غبرانكي" بتعب شديد من هذا الجرح، ولكنه لما وجد "قبروني" قد جلس بجواره كره ذلك منه، وأراد أن يتركه ويذهب هو حيث مقصده، إلا أن "قبروني" ظل واقفاً بعض الشيء ولما أن تذكر الإله علم أنه أرحم بصديقه منه، فقال: «إذاً أتمنى أن ألقاك هناك يا "غبرانكي"، عند الإله الأعظم».

ثم قبّله قبلة الوداع وأحس بالفعل أن هذه نهاية صداقتهما في هذه الحياة، وتمنى من الإله أن يلتقيا حقاً في تلك الحياة الأخرى التي هي دار القرار، فودعه بحرارة شديدة جعلته يبكي حق البكاء، ومن ثم انطلق من ذلك المصدر الذي سهل له الدخول إلى "قلعة التنين"، حينها قاوم "غبرانكي" ذلك الجرح الذي أصابه، حتى أنه قام متجهاً إلى آكل لحوم البشر هذا، الذي أصابه في عنقه وظل يأكل في لحمه .. وقتها كان "قبروني" يمشي ببطء كي لا يراه أحد، ويختفي مرة بعد الأخرى خلف الجدران، وقد علم أن هناك حفل عظيم في القلعة، لذلك لم يكن هناك الكثير من الحراس كي يقطعون طريقه، إلى أن وصل إلى مدخل كسرداب طويل، ظل يمشي فيه ويختبأ عندما يرى أحداً، ولكنه قد خرج عليه اثنين من أكلة لحوم البشر قد رأوه، فأخرج سيفه وقاتلهم بشدة حتى أنه قتل واحداً ولكن قبل أن يقتل الآخر أغشي عليه، حيث أن أحدهم قد ضربه على رأسه من الخلف،

وكانوا لمَّا يجدوا غريباً في أي منطقة حول القلعة، لا يقتلونه بل يأخذونه إلى الساحر "داهور" كي يتصرف معه بما يراه مناسباً له، وبعد دقائق أفاق "قبروني" ليجد نفسه في قاعة عظيمة لم يرى مثلها قط، بل قد ظن أنه لن يرى مثلها حتى ولو مات، تلك هي قاعة "داهور"، التي امتلأت وقتذاك بأناس ذو أشكال غريبة جداً ومخيفة أيضاً فهم وزراءه، وقد وقف "داهور" من فوق العرش قائلاً: «من هذا؟ وكيف دخل إلى هنا ولماذا؟».

فلم يترك "قبروني" المجال للآخرين كي يجيبونه، فقد أجابه هو قائلاً: «أنا عبد للإله الواحد، ذلك الإله الذي خلقني وخلقك وخلق كل شيء».

فأجابه "داهور" بغلظة شديدة قائلاً: «أي إله تتحدث عنه أيها المجنون، إنه لا يوجد غير "جومار" إلهنا وإلهك، الذي من أجله نعيش ونموت، فكيف سولت لك نفسك قول ذلك أو حتى الإتيان إلى هنا؟».

«لقد أتيت من أجل أن أخبركم أن إلهنا واحد لا إله غيره، وأن ما تعبدونه هذا هو الشيطان اللعين، فكيف سولت لكم أنفسكم فعل ذلك أيها الجاهلون؟».

«ومن هو إلهك هذا؟ هل رأيته؟ هل لمسته؟ هل كلمته؟».

ثم ضحك بشدة في سخرية لاذعة .. إلا أن "قبروني" أجابه قائلاً:

«إنه هو الله الذي لا إله إلا هو

الخالق الرازق

الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء

الكامل بلا نقصان، والعدل بلا طغيان

العلي الذي فوق كل شيء

يدرك كل شيء ولا يدركه شيء

يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار

القوي وكل شيء ضعيف

العظيم وكل شيء طريف

ذلك وإن الحياة بما فيها حدث

وكل حدث له محدث

فالأب البشري يحدث ولده ويموت

والولد يكبر ويحدث ابناً ويموت

إذاً هناك من أحدث هذه السلالة

تلك التي تعتبر واحدة من آلاف السلالات

وليست هي من أحدثت نفسها

لأنه لو كان هذا كذلك لما مات أولها

الذي يتصف بأول السلالة أو المبدع

ولطالما الإنسان يولد و يموت

ويكون جميلاً أو قبيحاً

يشرب ويأكل، يغوط ويبول

ينام ويستيقظ

إذاً فهو ناقص، لذا فهناك من أوجده

والناقص يلزمه كامل كي يحيا

وقد تعتمد النواقص على نواقص مثلها

فالإوزة التي أربيها في البيت ناقصة

فإن حبستها دون أن أطعمها أو أسقيها

ستموت حتماً، وإن أطعمتها عاشت

ولو جاء أجلها وفعلتُ كل شيء كي تحيا

حتماً ستموت

لأنني ناقص مثلها

لا أستطيع أن أعطيها الحياة الأبدية

وإن استطعت لكنت أعطيتها لنفسي

فلابد من كامل لكل النواقص

هكذا كل السلالات الأخرى

ناقصة يحركها كامل

ولطالما وجد عدم اتفاق بين ناقصين

كالفهد والغزالة مثلاً

أو كالغزالة والعشب

فالفهد يأكل الغزالة بدون إرادة منها

والغزالة تأكل العشب بدون إرادة منه

فلابد أن يكون هناك كامل لا يتصف بتلك الصفات

إذاً فالكامل موجود

ذلك الذي أوجد كل ناقص

وهو الإله الذي يحدث الحدث من لا شيء

والمعروف عن جوماركم

أنه كان بشر ككل البشر

يأكل ويشرب، يغوط ويبول

أي مرتبط بغيره

والذي يرتبط بغيره ناقص

وأنت على عين الأشهاد؛

من فتحتَ له باب الشيطان

ليصبحا منبعاً واحداً للشر

والإله لا يرتبط بغيره أبداً لأنه كامل

و الكامل يرتبط به جميع النواقص

إذاً فجوماركم ناقص ويرتبط بالكامل

ولأن الكمال موجود

وهو المنبع لكل النواقص

فهو يتمثل في الألوهية

إذاً فالإله الكامل موجود

ولطالما أن الحياة حدث بكل ما فيها من سلالات

وأن كل تلك السلالات متشابهة بعضها البعض

إذاً فالمحدث واحد

لأن تشابه الأفعال يدل على وحدانية الفاعل

وبالتالي فإن هذا الإله واحد

لأنه لو كان أكثر من واحد لما تشابهت الأفعال

ولحدث معه كما يحدث مع باقي النواقص

كالفهد والغزالة

لأن الكامل لا يكون كاملاً لو كان هناك من هو مثله

فطالب الكمال يبحث دائماً عن الكمال المطلق لذاته فقط

وهو سبحانه وتعالى متنزه عن ذلك

لأنه الكامل الأوحد بلا طلب للكمال».

«أتعرف ما الذي من الممكن أن يحدث لك الآن؟».

قالها "داهور" بغلظة فأجابه "قبروني" بابتسامة خفيفة، أراد أن يستهزأ بها من هذا الساحر الجبار قائلاً: «قل ماذا سيحدث؟، أو أقول لك أنا، الذي

سيحدث أنني من الممكن أن أموت بأي طريقة ممكنة لديكم، ولكني قد أبلغتكم بما أريد وما حملته في قلبي أكثر من عدة شهور، والذي من أجله سافرت سفراً عظيماً، قد تقتلني ولكن اعرف جيداً أني جئتك بالحقيقة؛ أن الإله الأعظم هو الذي في السماوات، ليس له شريك في ملكه، ومن تخلف عن عبادته فقد خسر خسراناً مبينا، وأنا أراكم هكذا أيها السحرة الملاعين».

فابتسم "داهور" في قبح شديد قائلاً: «هل تصدقني إن قلت لك أني لا أعرف كيف أقتلك؟! ، هل تصدق ذلك؟! ، "داهور" الساحر العظيم الذي اهتزت له جبال، لا يعلم طريقة يقتل بها بشري ضعيف، ليس له قيمة تذكر في هذه الدنيا؛ مثلك أيها الوغد».

«قد لا يكون لي قيمة حقاً بالنسبة لك، ولكني بالنسبة للإله غير ذلك أيها الخاسر، كف عن فعلك هذا وارجع إلى الذي خلقك وخلق "جومار" وخلق من تعبدونه، شيطانكم اللعين».

ما أن اغتاظ "داهور" مما قال حتى أمر أعوانه بأن يقطعوه من أطرافه قطعة قطعة، هذا لأنه قد ضايقه مضايقة عظيمة بما قاله، ففعل آكلوا لحوم البشر ما أُمِروا به حقاً، فصرخ "قبروني" صراخاً عظيماً، وظل يصرخ في كل قطعة تُقطع من جسده، حتى أن القلعة ارتجت له، فسمعه "غبرنكي" فاتجه إلى مصدر الصوت بأقصى سرعة فيه، وكلما قفز قفزة صرخ "قبروني" صرخة شديدة على منوالها من التعذيب العظيم الذي يلاقيه منهم، حتى أنهم قطعوا ذراعيه على أكثر من عشرة مراحل لكل ذراع، وهو يصيح ويصرخ صراخاً ليس له مثيل، كل

هذا و ذلك الساحر "داهور" يقول له: «أكفر بإلهك هذا». ولكنه يزداد تمسكاً بالحكمة العظيمة، "التضحية بكل شيء من أجل الإله الأعظم، ولما انتهوا من ذراعيه أقبلوا على قدميه يقطعونها، أنملة أنملة، وإصبع إصبع، وهو يصيح ويصرخ بشدة، ودمائه تسيل على الأرض كما لو أنها جدول ماء عظيم يصب من الأعلى إلى أسفل، وقتها حضر "غبرانكي" بسرعته الشديدة جداً وقفز قفزة عظيمة نحو من يمسكون بـ"قبروني"، إلا أنه قد جاء في وقت متأخر جداً ليجده دون ذراعين أو قدمين، فزأر بشدة ونظر إلى "داهور" نظرة أسى على صديقه، واغرورقت عيناه بالدمع، وما أن جاء حتى ينقض على ذلك الساحر "داهور"؛ إلا أن أعوانه ضربوه بعض الضربات القوية التي أقعدته، فأمر "داهور" أكلي لحوم البشر أن يأكلاهما، وقد قال: «هذا عقاب من يتكبر على "داهور" العظيم، عبد "جومار"».

وبذلك قد أودى "قبروني" بنفسه من أجل الإله العظيم، بل فعل ذلك أيضاً "غبرانكي" الأسد الذي أحب البشري "قبروني"، وماتا على إظهار الحقيقة للمتكبرين المتألهين على الكون بأكمله، كان هذا هو الشاب الذي قصده "داهور" الجبار الطاغية، ذلك الذي ضحى بكل ما يمتلك كي يرفع راية التوحيد في وجه ساحر ظالم يسعى في الأرض فسادا.

فأجابه أحدهم قائلاً: «وإن هذا الفتى إن كان مثله فسوف يلقى ما لاقاه صاحب الأسد».

فضحكوا جميعاً، و بعد تفكير شديد في شيء آخر قال "ظلاف":

«ولكن هناك شيء يا سيد "داهور"، إن الولد يتكلم إلى السنّور كما لو أنه يتحدث إلى بشري مثله، وهذا بالفعل يؤكد معرفته بـ"عاجاف" وما هو عليه».

«عندك حق يا "ظلاف"، فهذا بالفعل جديد علي بشري، بل أظن أنه أشد حكمة من ذلك المذكور وبالتأكيد لم يخبر أحداً بذلك، لأنه سر عظيم لا يستطيع أن يصدقه أحد».

ثم إنه ذهب إلى عرشه وجلس عليه كما يجلس الملوك، بل ليس أي ملك يجلس كما يجلس، ولما استقر طلب أن ينشده المنشد الخاص به بعض الأناشيد التي يرتاح إليها قلبه: كالتاج الذهبي، وعصايَ السحرية، والتنين العظيم، وغير ذلك الكثير، إلا أنه طلب من المنشد أن ينشد له شيئاً جديداً على من يشرف إلى التهلكة، ممن يضعون أنفسهم في طرق ليسوا قادرين على السير حتى بضع خطوات فيها، وعن كيفية معاملتهم مع من يعاديهم، فأنشد المنشد كلمات مخيفة كما طلب منه الساحر العظيم "داهور" قائلاً:

«نحن هنا جميعاً،

في خدمة الساحر العظيم داهور!

الذي يخدم الإله جومار!

الذي نحيا جميعاً تحت كنفه،

والذي يضمنا تحت راية واحده؛

هي الإخلاص له وحده لا لغيره،

والإخلاص بيننا يرجع إلى الإخلاص له،

ذلك لأنه من ينعم علينا بالخيرات،

ذلك الذي امتلك الأرض جميعها!

في المشرق والمغرب..

وفي الشمال والجنوب..

إنه مصدر القوة التي لا قوة تضاهيها!

ذلك الملك العظيم الذي يملكنا جميعاً..

ويملك كل بشر وشجر.

ذلك الذي قدس نفسه،

في هذي القلعة العظيمة.

والذي لا يراه غيرك،

أنت أيها العظيم داهور.

فلا يستطيع أحد غيرك رؤيته!

أما نحن جميعاً فنتمنى ذلك،

ونتمنى أن يرضى علينا دائماً،

وهكذا نحن عباد له،

نخضع له فيما يريد ولا نخرج عنه،

ونقسوا على كل من يخرج عنه،

ذلك لأننا نصنع التهلكة لكل من نريد،

فإن الذين يستحقون هذا؛

هم من يخرجون عنا،

هم من لا يطيعون إلهنا،

ذلك العظيم جومار!

وهكذا العظيم داهور!

الذي يرى في عيون السنانير كل شيء،

إنه عين جومار العظيم!

ولنا أن نقول أشياء كثيرة عن القلعة،

تلك القلعة التي لا يقطن بها إلا العظماء،

قلعة التنين العظيم،

التي استولى عليها عظيمنا،

من ذلك الأبله رولينجلاس،

الذي أراد أن يقف أمام إلهنا من قبل،

ولكنه خسر كل شيء،

فمن إذاً يستطيع أن يتنفس..

بدون إذن جومار العظيم؟!

ذلك الذي أقام المحرقة العظيمة،

التي تسمى بمحرقة النهاية.

إنه الذي كتب على نفسه الخلود،

ولا أحد يستطيع أن يخلد غيره،

والجميع يقربون له القرابين،

من أجل أن يعطيهم الخلود،

ولكنه لا يحب الخلود لأحد،

لأنه الخالد المنعم بالخلود،

ولكنه يمنحنا بعض الخير العظيم،

الذي يجعلنا نشعر بالفخر ،

فمن الذي يستطيع أن يقف أمامه بعد ذلك؟!

من يستطيع أن يعاديه؟!

أو حتى يعادي العظيم داهور؟!

فإن غضب أحدهما على شيء؛

أهلك كل شيء.

إنها العظمة التي تسكن في أعماق السحر،

ولكن جومار هو رب السحر.

إنه الذي يفني ويبيد،

وبيده منايا جميع البشر،

هلك كل من كان قبله،

كل من تكبر عليه وعلى عظمته،

فمن إذاً يستطيع حتى أن يذكر اسمه؟!

مهما كانت لديه الحكمة!

من الذي يستطيع أن يفكر فيه؟!

من الذي يستطيع أن ينحرف عنه؟!

إنه الذي أراد فقط أن يموت،

ألا يعرف عن نفسه شيئاً،

فنحن نقتل ونشنق ونغتال!

نطعن ونهلك ونفرم!

نقطع الأنامل أنملة أنملة!

وهكذا الأصابع إصبع إصبع!

ونقطع السيقان والأذرع!

ونقطع الآذان ونفرغِ المقل!

ونقطع الرقاب ونشرب الدماء!

ونأكل لحوم البشر والحيوانات!

إننا القوة الهائلة!

التي يكنّها جومار في ذاته،

ولا يستطيع أحد أن يقول غير ذلك،

لأنه يعلم أنه لا محالة سيتحول إلى فحم!

بعد أن كان بشرياً يمشي على رجلين.

إننا نعذب لأننا نحن العذاب نفسه،

إننا بالفعل نهلك».

وبعد أن انتهى المنشد من ذلك النشيد الدامي، الذي سعد به "داهور" كثيراً، فكر "داهور" في "إندو" بعض الشيء قبل أن يقول: «إنه بالفعل يمتاز بأشياء كثيرة عن ذلك الذي ذكرته، لأنه شغوف جداً بذلك الإله الذي يتكلمون عنه، وهكذا يعرف لغة السنانير جيداً، ومن الممكن أن يكون على دراية بلغات أخرى لحيوانات أخرى، إلا أنه يكمن في نفسه أشياء لا يريد أن يصفح عنها، فهو أكثر حرصاً من الآخر لأنه ليس مندفعاً».

فأجابه "كاجغر" قائلاً: «إنه بالفعل يبدو كذلك يا سيد "داهور"، لذا لابد أن يفكر هو في المجيء إلينا».

«ولم يا "كاجغر"؟، هل سنخاف من طفل كهذا؟».

فارتبك "كاجغر" بعض الشيء قائلاً: «لم أقصد هذا يا سيدي، ولكن ليس كل من تنفس بعض الحكمة سيأتي إلينا هنا في "قلعة التنين"، لذلك فأنا أقترح الذهاب إلى هذا الولد في قبيلته لنعرف ما الأمر».

فسأله "داهور" سؤالاً في محله قائلاً: «ولم ونحن لدينا "عاجاف" وأعوانه

هناك؟!».

فأجابه قائلاً: «إذاً لابد وأن نزود الحراسة عليه يا سيد "داهور"، فأنت تعلم كثيراً أن من هم مثل هذا الولد يبعثون في نفوس الناس أشياء لا نرضى بها، مما سيجعل الناس بعد ذلك يحنقون على "جومار" العظيم».

فوقف "ظلاف" عن مجلسه قائلاً: «ومن ذا الذي يستطيع أن يحنق على "جومار" العظيم؟! فهذا سيكون آخر يوم في عمره من يقول ذلك».

فوقف "داهور" هو الآخر عن مجلسه قائلاً: «إذاً سأتصرف أنا في هذا الأمر، ولن يهدأ لي بال حتى أعرف كيف أجعل هذا الولد كباقي الأولاد في كل مكان، خاضعين لنا تحت حكم "جومار"، فسوف أخاطب العالم بأسره، سوف أخاطب كل الناس في كل مكان من مكاني هذا؛ حتى يعلموا جميعاً أننا قادرون على كل شيء، سوف أهددهم جميعاً تلك السلالة البشرية، بل وغيرها من السلالات الأخرى من المخلوقات الأخرى حتى يعلموا قدر أنفسهم ويعلموا قدرنا، ولكن كل شيء في وقته، والآن قد انفض المجلس فاذهبوا».

كان قد أراد أن يتحدث إلى "جومار" حتى يشاوره فيما هو مقبل عليه، ذلك الأمر العظيم الذي لم يحدث من قبل، وهو أنه سوف يستخدم السحر في نقل حديثه لأذن كل بشري في كل مكان بل وكل المخلوقات الأخرى؛ حتى ينشر الرعب في قلوب كل من سولت لهم أنفسهم الخروج عن طاعة "جومار"، وهذا أمر سوف يستنفذ منه مجهوداً عظيماً، ربما يكون هذا الشيء هو أعظم شيء يستطيع بكل طاقته السحرية أن يصل إليه، وهو أيضاً في نفس الوقت شيء مروع بالنسبة

للبشر جميعاً.

إن ما فعله "إندو" بحكمته قد ترك حقداً عظيماً في نفس "داهور"، مما جعل الأخير يفكر في فتح أبواب الجحيم على الناس جميعاً، كي لا يتجرأ أحدهم على العبث فيما لا يخصهم ولا يعنيهم، تلك الأشياء التي لا تهم إلا العظماء فقط، وليس هؤلاء البشر التافهون الذين يسعون في الأرض كما تسعى الحشرات الدقيقة التي لا تقوى على شيء؛ وبهذا يكون "إندو باندبل" قد تسبب للناس جميعاً، وليس هو أو أفراد عائلته أو حتى أفراد قبيلته، بفتح أبواب الجحيم التي لا تهدأ أبداً، بل التي تظل متأججة إلى أن يحدث لها ما تريد، فقد وضع الناس جميعاً على مشارف التهلكة لا ينجيهم إلا الإله الأعظم، لم يكن يريد "إندو باندبل" هذا الأمر أبداً، لأنه لا يحب للناس إلا الخير، بل ما فعله كان بعض الضيق الذي خرج من بركان صبر على ما حدث من ذلك السنّور "عاجاف"، ولم يعرف أبداً أنه من الممكن أن تفتح أبواب الجحيم العظيمة التي أرادها "داهور" أن تفتح، وذلك بتفكيره في الخطاب العظيم الذي يريد أن يلقيه على آذان البشرية جمعاء، من "قلعة التنين" حتى يعلم الناس أنهم ليسوا إلا كائنات طفيفة لا تستطيع فعل شيء يخالف ما يريده هو و"جومار" العظيم.

الفصل السادس

إنشـــــاد مضـــــاد

مرت أيام على تلك الفكرة العظيمـة الـتي اعتلـت عقـل "داهـور"، دون أن تنطفئ ناره التي أوقـدها يـوم أن اجتمـع بوزرائـه، ولكـن "إنـدو بانـديل" في هـذا الوقت كان في قمة الانشغال بمكتبة والده، التي هي في الـسرداب عنـد سـفح جبـل "طابان"، كان شغله الشاغل هو قراءة الكتـب والإطـلاع عليهـا بـشكل منـتظم غـير عشوائي، والبحث في علومها الكثيرة التي احتوت عليها كل تلك الكتب العظيمة، وكان يساعده أبيه على ذلك، إذ كان يشرح له بعض العلوم الصعبة الـتي لم يـسمع بها "إندو" من قبل، حتـى أصبح "إنـدو" في وقـت وجيـز جـداً ملمـاً بـالكثير مـن العلوم، كالفلسفة، والمنطق، والرياضيات، والهندسة، والفلك، والطـب، كـل ذلـك خلافاً لما ازداد على ما عنده من أدب، وبلاغة، وتاريخ، وما إلى ذلك، وخلافاً لكـل تلك العلوم العظيمـة الـتي تـؤدي إلى التطـور في الأخلاقيـات، مـن خـلال الفلـسفة والمنطق والآداب، والتطور المعماري من خلال الهندسة، والتطور العلمي من خـلال الطب والفلك والرياضة وهكـذا، تعلـم فنـون الحـرب الـتي لم يكـن في بالـه قـط أن يتعلمها، بل تعلمها من أجل السلام ذاته، تلك المعادلـة الـصعبة الـتي رفـضها في بادئ الأمر، إلا أن والده شرح لـه الأمر جيداً، وأخبره أن السلام الدائم لا يأتي من

العلم المكتوب أو المقروء فقط، بل أيضاً لابد له من علم حقيقي في فنون الحرب، حتى يدوم كما يشاء الإله، لذا أعطاه الكتب العظيمة في فنون الحرب لعدة مؤلفين عظماء، شاهدوا حروباً عظيمة وشرحوها شرحاً وافياً، حتى يتعلم كل محارب كيف يحارب، وكيف يضع الخطط، وكيف يتجنب الهزيمة، وخلافاً لذلك وضعوا طرق عده لصنع الأسلحة المختلفة، وقد ألم "إندو" بكل تلك الكتب، أيضاً في وقت وجيز أسعد والده، وقد تأثر جداً ببعض القواد الذين قرأ عن مهاراتهم في فن القتال، وذلك في كتاب "مائة قائد محترف في فنون القتال" والذي كتبه "غوران"، ذلك المؤرخ الشهير الذي كتب عن "التنين العظيم"، وجعل له كتاباً يضم جميع صفاته، وكأن القارئ يرى التنين ويتعايش معه وقت قراءته للكتاب، ووسط هؤلاء المائة الذين تكلم عنهم، أعجبه "قُراقر" قائد عظيم قاد جيش مدينة "كرزين"، الواقعة بين سلسلة جبال "كريون" و بحر "كفربيا"، والذي كان يحارب مدينة "كُساب" التي تقع جنوب جبال "كريون"، والتي كان جيشها يزيد عن جيشه بأكثر من عشرين ألف محارب، إلا أنه بتفكير دقيق منه كمحارب عظيم وقائد مسئول عن خمسة عشر ألف جندي، حقق نصر عظيم أودى بأكثر من ثلاثين ألف جندي من جنود "كُساب"، وذلك عندما اعتل جبال "كريون" بجيشه قبل أن يحتله "نارود"، وأعد من صخور الجبال سلاح يُرمى به على الجيش الآخر، وبذلك قد أودي بأكثر من خمسة ألاف جندي من جنود "كُساب" قبل أن يرفع أحد جنود"كرزين" سيفاً أو رمحاً، وانتصر في نهاية الأمر انتصاراً عظيماً.

كل ذلك جعل "إندو" مهيئاً لتعلم فنون القتال، فتعلم على يد أبيه داخل

السراب، وكأن ذلك السرداب قد أعد لذلك حقاً، فقد استوفى كل شيء من الكتب، والأسلحة، وسعة المكان، وقد تدرب "إندو" جيداً على حمل كل سلاح والقتال به.

أثناء تلك الأيام حدثت بعض العواصف الشديدة، التي أثرت في أشياء كثيرة؛ كالبيوت، والأكواخ، والزروع، والأشجار، حتى أنها أثرت في بعض الناس حول العالم، لم يكن يعلم الناس في كل مكان في العالم، أن أثر تلك العواصف كانت من سحر "داهور"، الذي أعد جيداً بسحره العظيم، وبفضل بعض التعويذات التي أعطاها له "جومار"؛ الكيفية التي من خلالها سوف يسمع خطابه من في الأرض جميعاً، حتى أن الناس بأشياء لا إرادية كانت تتجمع بعضها إلى بعض، تاركين مساكنهم منجذبين بلا إرادة منهم نحو تجمعات كبيرة، وكأن "داهور" أراد أن يجمعهم كي يكونوا في رؤية بعضهم البعض، وليشهدوا على أنفسهم بعد سماع ما يريد إسماعهم به، الشيء الذي جمعهم من أجله.

وفي وقت الظهيرة اجتمع الناس في كل مكان في العالم، اجتمع أهل كل مدينة، وكل قبيلة، وكل مقاطعة، وكل قرية، لا يعلمون ما يحدث من حولهم، وكأنه اليوم العظيم الذي ينتظره الناس جميعاً، حتى بدأ صوت يتكلم، صوت واحد يتردد من كل مكان، صوت واحد لا يسمع أحد غيره، صوت واحد صعق آذان الناس جميعاً، ذلك هو صوت "داهور" الذي شد انتباه الناس جميعاً، ذلك الصوت الذي أصدره من أمام حوضه السحري، بوصفة سحرية عظيمة جعلت صوته يتردد في كل مكان في العالم، ليقول ما يريد قوله للناس جميعاً، حتى لا يتكبر على "جومار" أحد بعد اليوم، وحتى يصعق الناس جميعاً ويجعلهم خاضعين لأوامره

من قبل "جومار" العظيم، وقتها غيمت السماء وكثرت السحب السوداء في كل مكان، إذ بدأ "داهور" كلامه قائلاً:

«*أيها الضعفاء في مشارق الأرض ومغاربها..*

أيها الضعفاء أيها التافهون..

في كل بقعة ترتدونها..

في القصور وفي القلاع..

في البيوت والأكواخ..

في الكهوف والغابات..

في الشوارع والأزقة..

في الجحور الكبيرة والصغيرة؛

اعلموا جميعاً أننا هنا،

في قلعة التنين،

على جبل الدم العظيم،

نرى كل شيء تفعلونه،

نرى الهواء الذي تستنشقون،

نرى الطعام الذي تأكلون،

بل نرى الماء الذي تشربون،

فقدموا الطاعة والولاء؛

حتى نعفوا عنكم،

ونرحمكم من العذاب الأليم،

الذي يقيم عليه جومار نفسه،

الكلام لكم أنتم جميعاً،

أيها البشر في مساكنكم..

أيها الجان في جميع أماكنكم..

أيها الفئران في جحوركم..

أيها النمل الصغير في بيوتكم..

فجومار العظيم هو الذي بيده حياتكم،

وهو الذي بيده موتكم،

إنه هو المتحكم الوحيد،

ومن يخرج عن طاعته؛

يصيبه العذاب الأليم،

العذاب الذي لا يعرفه أحد،

فالموت رحمة لكم،

لأن عذابه ليس حياة ولا موت،

بل هو بين بين،

فيرغب المُعَذب أحد شيئين؛

إما الموت أو الموت!

لأنه يكره الحياة،

لأنها بيد جومار،

ويحب الموت كي يبتعد عنه!

فيحبه ويختاره مرة ومرتين،

بل يختاره ألف ألف مرة!

ولكن جومار يعذب الأحياء والأموات،

فلا تكونوا غافلين عن تلك المنح العظيمة،

أن يكون جومار راضٍ عنكم،

في حياتكم وبعد مماتكم،

لا تجعلونه يغضب عليكم،

لأن غضبه عظيم جداً!

بل ابتعدوا عن كل من لا يقدم الطاعة بين يديه،

كي لا يأخذكم بمثل ما يفعل الآخرون،

تجاهلوا آباءكم،

إن لم يكونوا مطيعين له،

بل تجاهلوا أولادكم،

إن لم يكونوا كذلك،

تجاهلوا أزواجكم حتى لهذا الأمر،

بل تجاهلوا العالم بأسره،

إذا أقر عدم الطاعة له،

ولكن كيف لا يطيعونه..

وهو المتحكم في جميعهم؟!

إنه جومار العظيم!

الذي يقلق النجوم في نومها!

ويسير السحاب في غير اتجاهها!

والشمس تطلع من فوق رأسه وبين أذنيه!

وهكذا تغرب!

فلا تذكروه أبداً بسوء،

بل اذكروه دائماً بالطاعة والقنوت،

وامتثلوا له جميعاً،

وكونوا له من الشاكرين،

لأنه ما زال يبقيكم على قيد الحياة،

في ترف وبذخ وسعادة،

يحميكم من الرياح والعواصف،

يحميكم من الرعد والبرق،

يحميكم من الحر والبرد،

يحميكم من كل تلك الأشياء الشديدة،

يحميكم حتى من بعضكم البعض،

هذا لأنه المتحكم في كل ذلك!

لأنه جومار العظيم الذي هو كل شيء!

ولكنه إذا غضب غضبته الكبرى؛

جعل كل هذه الأشياء طوع يديه،

وحرضها عليكم جميعاً،

فإنه البحر الثائر!

والموج الغائر!

والزلزال الخارق!

والبركان الساحق!

إنه القوة العظمى!

فكونوا له وطوع رغباته،

ولا تكونوا غير ذلك،

حتى تأمنوا على أنفسكم».

كانت الكلمات كالصاعقة على آذان الناس جميعاً، وليس هذا فحسب بل كل المخلوقات الأخرى، حيث أن "داهور" قد جعل لغته مطلية بالسحر يفهمها

كل من يدب على وجه الأرض، ولما انتهى كان الكثير من الناس يبكون بشدة، حتى أن أكثرهم وجثوا على الأرض حاملين التراب إلى وجوههم، ولكن القليل منهم من وقف صامداً على قدمين ثابتتين، إلا أن الخوف قد وجد له في قلبه مكان، كان "إندو" وقتذاك واقف بجوار والديه ومن أمامه "سوِيْبا"، فنظرا بعض النظرات المتبادلة بينهما، أحس "إندو" أن صديقه يريد أن يحدثه على انفراد، بعيداً عن كل هؤلاء الناس، فأخذه ورجع إلى الخلف حيث لا أحد يراهما، بينما كان الناس جميعاً منهمكين في البكاء والخوف، ولما انفردا قال "سوِيْبا": «ألا تعلم لماذا حدث ذلك يا صديقي؟».

فأجابه "إندو" نافياً: «في الحقيقة لا يا "سوِيْبا"، فهل عندك تفسير لهذا الأمر؟».

«لست أدري ماذا أقول لك، لكن كل ما أظنه هو أن هذا الأمر قد حدث بسبب ما فعلته فوق جبل "طابان" مع ذلك السنّور "عاجاف"، فكل ما حدث لنا معه ومن معه وصل إلى "داهور"، ذلك الساحر الشرير الذي كان يتكلم الآن».

فتأوه "إندو" قائلاً: «يا إلهي! وماذا سنفعل الآن؟!».

«لا أدري، ولكن ما قاله هذا وصل إلى كل المخلوقات في الأرض، من إنس إلى جن، إلى حيوان، بل إلى الحشرات ذاتها».

«يا إلهي! إذاً ماذا سنفعل مع ذلك الشرير؟! وكيف سنحرر العالم كله منه ومن "جومار" العظيم؟!».

«إنها الحرب يا صديقي، الحرب التي لابد منها في كل وقت وحين».

«الحرب! ولما الحرب يا "سوِيْبا"؟! أنت تعلم أنها دمار عظيم!».

«ولكنها هي الحل الوحيد يا "إندو"، كي تكتسب البشرية ذاتها من جديد، بل كي تكتسب المخلوقات جميعها ذلك».

«إذاً وما بالك بأناس لا يفقهون شيئاً في الحرب، أمام مخلوقات تأكل لحوم البشر؟! كل ذلك خلافاً للأعداد الرهيبة التي يمتلكها "جومار" تحت يديه من هؤلاء آكلوا لحوم البشر، إن الأمر حق مريب يا "سوِيْبا"!».

«ولكن هناك أمر عظيم يا صديقي، إنه الوحدة التي ستأتي بالنصر على كل ظالم تجبَّر في الأرض».

فقال "إندو" في باله: «الوحدة، فالوحدة عكسها الشتات، وهذا بالفعل ما نحن فيه، كل قبيلة تبحث فقط عن مصالحها الشخصية، بل كل فرد في كل قبيلة يبحث عن مصالحه الشخصية متناسياً البشر جميعاً، يا لهذا من ضلال، فلم يأمرنا الإله العظيم بذلك، بل أمرنا بأن نعتصم بحبله جميعاً وألا نتفرق، إذاً سيكون هذا الاعتصام بداية الطريق إلى النصر ومنه إلى السلام».

لم ينتهي "إندو" من الحديث مع صديقه "سوِيْبا"، حتى سمع أبيه ينبه الناس إليه من أجل أن يخاطبهم، فلما اقترب منه كان الناس جميعاً قد انتبهوا له جيداً، وكانوا جميعاً يعرفونه كما يعرفون أولادهم، إذ قال:

«أيها الناس العقلاء..

يا أصحاب العقول الناضجة..

يا من لا تحبون إلا الخير..

إنَّ ما سمعتموه هذا ليس إلا الشر،

بل هو الشر كل الشر!

فلا تخافوا من ذلك أبداً،

لأن ما سمعتموه ليس إلا كذبة عظيمة،

كذبوها على أناس مثلكم،

ولكنهم كذبوها على أنفسهم قبلكم،

فصدَقوها جيداً!

وعملوا بها ولن يرجعوا عنها،

لأن مليكهم هو الشر،

الذي بُعث في الأرض جميعاً،

إنه الشيطان اللعين!

الذي تجسد في جومار،

ذلك الذي طلب السلطة،

فذاق الضلال وأذاقه،

فضل وأضل!

وإن ضلاله لعظيم!

وإنهم جميعاً لسحرة ملعونين!

هكذا لعنهم الإله الأعظم،

ربي وربكم ورب داهور وجومار،

ورب كل شيء يتحكم فيه جومار،

فلا تخافوا ولا تحزنوا،

لأن خوفكم هذا يجعل القوة بيده أعظم،

ولا تحزنوا كي لا ترقّ قلوبكم إلى رحمته،

فإن رحمته وهم عظيم!

لن يدركه أبداً إلا من يفارق الحياة،

فإن عبادته الجحيم،

ونقمته التقرب إلى الإله العظيم،

والرحمة الكبرى والجنة الخالدة،

إنه بدعة فلا تقعوا فيها!

كي لا تأسركم في جحيم إلى جحيم،

فكونوا كما أنتم الآن وأحسنوا..

للإله الأعظم الكريم.

ولا تكونوا مثل هؤلاء الذين يتبعون له..

آكلوا لحوم البشر.

هؤلاء الذين كانوا مثلكم،

ولكن ساءت أحوالهم،

بتلك العبادة الخاطئة له ،

فأصبحوا ملعونين من جميع الخلق،

بأشكالهم المشوهة العقيمة.

فلا تكونوا مثلهم أبداً ،

مهما كلفكم الأمر،

بل اطلبوا الموت من الإله ،

حتى لا تكونوا مثلهم،

فإن الموت لكم أرحم بكثير من ذلك!

أو ارفضوا تلك الأوضاع السيئة ،

التي يريدونكم عليها ،

واحكموا أنفسكم بأنفسكم،

وحققوا آمال البشر!

بالنصر على ذلك المتأله جومار،

ولكن هذا كله امتحان عظيم،

أراده الإله لكم ولكل من في الأرض،

كي يعرف من منكم الصابر..

على كل شيء جعله لكم بلاء ،

ومن منكم الذي لا صبر له..

من منكم يعبده حق عبادته..

ومن منكم لا يعبده أصلاً..

من منكم يخافه..

ومن منكم لا يخاف إلا جومار.

وهو بكل شيء عليم قبل وقوعه.

فكونوا للإله الأعظم جميعاً،

ولا تكونوا لذلك الشيطان اللعين،

حتى تأمنوا في كل مكان تمكثون فيه».

حينها ابتهج الناس جميعاً لما قاله "بانديل"، ولاسيما الحكيم "صهيا" الذي سعد كثيراً بما قاله، مما جعله يندفع إليه ويأخذه بين أحضانه شاكراً له على ما قاله، فرِحاً به فرَحاً شديداً لتثبته على الحق، وعدم خوفه من "داهور" و"جومار" من دعوة الحق التي دعا الناس إليها، إلا أن السعادة لم تدم إلا دقائق معدودة؛ ومن ثم غيمت السماء أكثر مما كانت عليه، وارتعدت ارتعاداً عظيماً، مما جعل الأرض تهتز من تحت أقدامهم، فأمسكوا بعضهم بعضاً خوفاً من الوقوع على الأرض، واهتزت الجبال في كل مكان، بل كانت الصخور تقع من فوق قلال الجبال كأنها صواعق عظيمة، وكانت بعض الأشجار تنخلع من أماكنها، فارتعد الناس جميعاً وحاولوا الهروب إلى بيوتهم، إلا أن الصوت رجع مرة أخرى أشد

غلظة قائلاً:

«أيها الضعفاء في قبيلة قُرّان..

لقد سمعت ما قاله صاحبكم،

فأذني لم تخني حقاً!

فلقد سمعته كما سمعتموه تماماً!

فلا تسمعوا له كلمة واحدة..

هو قائلها.

ولكن اسمعوني جيداً،

إن مخالفتكم لي ضياع لكم جميعاً،

وأنتم تعلمون ذلك حقاً،

فلقد رأيتم صفحة السماء وما حدث بها،

كل ذلك وما لا تعلمون هو بأيدينا،

فبأيدينا نفعل بكم ما نشاء،

ترتعد السماء بأمرنا!

وتبرق برقاً يكاد يخطف أبصاركم!

بأمر منا نحن العالين في الأرض!

وإن الجبال تهتز بأمرنا!

والأشجار تنخلع عن أماكنها!

والأحجار تتقلقل من القلالة!

إلى حيث نشاء.

فأنتم الضعفاء في كل زمان ومكان،

أنتم معشر البشر،

وإنكم لصاغرون غير قادرين على شيء،

فكيف تسمعون ما قاله هذا الضعيف؟!

فهو لن يحميكم مني،

بل لن يستطيع أن يقف ضد جومار العظيم،

بل أنتم جميعاً لن تستطيعوا أن تفعلوا ذلك.

اعرفوا جميعاً يا أهل قُرّان،

أن ما سمعتموه من ذلك الرجل،

ما هو إلا تضليل يأخذكم إلى الجحيم،

وإن جحيمنا عظيم عظيم،

لن تستطيعوا الاستمرار على حالكم،

إذا فُتح باب واحد من أبوابه،

لن تستطيعوا هذا أبداً،

لأن بذلك تفتح أبواب العذاب!

والتنكيل على كل من خالف جومار،

وعذابه عظيم حقاً،

لن يقبل به أحد منكم،

ولن يتحمل حتى الكلام عنه،

فكونوا حذرين من ذلك،

ولا تقربوا لهذا الرجل أبداً،

بل ابتعدوا عنه كل البعد،

لأنه بذلك قد خالف أوامرنا،

ليس هو فقط بل كل من يصاحبونه،

وهكذا أقاربه،

لاسيما ذلك الطفل!

الذي فتح عليكم أبواب التنكيل!

إنه ولده الصغير،

والذي يطلقون عليه اسم:

إندو بانديل أو الفيلسوف الصغير!

ذلك الطفل الذي يتباهى بحكمته،

ولكن كيف لكم هذا؟!

أن تعرفوا الحكمة دونما جومار!

فإن كل حكمة غير حكمته عدم،

أشياء عقيمة تسمونها حكم،

بل الحكم الأصلية عند جومار،

فامتثلوا له ولحكمه،

حتى يرحمكم من عذابه الشديد،

امتثلوا يا أهل قُرّان..

امتثلوا للعظيم جومار..

امتثلوا لأوامره كلها..

امتثلوا له كما أقول لكم..

فاشتد بكاء أهل قُرّان جميعاً، وتمنوا أنهم لم يفرحوا بما قاله "بانديل"، لما حل عليهم من قول الساحر العظيم "داهور"، وأحسوا أنهم لا محالة ضائعين لما قاله ذلك الشرير القادر على فعل كل شيء، واقترب بعض الناس من "بانديل" قائلاً: «يا ليتنا ما سمعنا لك يا "بانديل"، يا ليتنا ما سمعنا لك أبداً، فسوف ينال منا "داهور" ما لا نستطيع تحمله نحن ولا أبنائنا، فاذهب إلى حالك لا سامحك الإله، اذهب عنا لا سامحك الإله».

واقترب الكثير من الناس حوله مرددين نفس ما قال ذلك الرجل، طالبين منه أن يخرج من القبيلة هو وعائلته حتى لا تصاب القبيلة بالضرر بسببه هو وولده "إندو"، وتفاعل الناس عليه جميعاً طالبين ذلك منه وهم في خضم بكائهم، على ما اعتقدوا أنه سيحدث لهم من قبيل "داهور" الساحر الطاغية، إلا أن أولاده

جميعاً بصحبة الحكيم "صهيا" وقفوا لهم بالمرصاد، حتى قال لهم "صهيا": «ابتعدوا عنه يا أهل "قُرّان"، ابتعدوا عن ذلك الرجل الصالح الذي تتحاملون عليه، فكيف لكم أن تفعلوا ذلك به وهو الذي يريد لكم السلام؟! كيف قبلتم على أنفسكم فعل ذلك به وهو الذي أراد لكم الحق ولكل الناس جميعاً؟! إنكم حقاً لا تعلمون كيف تتعاملون مع هؤلاء الصالحين، ابتعدوا عنه، ابتعدوا».

حينها تنفس "بانديل" الصعداء، وضم زوجته "كوندليرا" هي وابنته "ساجوم" إليه، لأنهما ظلتا تبكيان كثيراً على ما حدث له، واقترب منه ولده "أكيار" الذي قبل يده ورأسه قائلاً: «لا تحزن يا أبي فإن الأمر مهما كان فهو شديد جداً على قلوب الضعفاء مثل هؤلاء الناس، أتركني أحدثهم حديثاً صغيراً من الممكن أن يكون به الشفاء».

فابتسم "بانديل" لولده قائلاً: «تفضل يا ولدي، لكن كن سلميًّا بعض الشيء، ولا تكن ..».

فقاطعه "أكيار" وأجابه قائلاً: «لا تخف يا أبي، فأنت تعرف "أكيار" أكثر من نفسه».

ثم إنه وجه نظره إلى الناس قائلاً: «الحق لكم إن أردتموه، والباطل هكذا لكم إن أردتموه، واعلموا أن الحق له ضوابطه والباطل له طرقه، فانظروا أيهم تختارون، فهذا سعادة دائمة وذاك خسران على خسران، ولكم الاختيار في كل شيء، هكذا أراد لكم الإله حتى تكونوا أحرار في أفعالكم كي تلوموا أنفسكم في كل ما تختارون، والحق بيّن والضلال بيّن وما أنتم عليه الآن هو الضلال كل الضلال،

وإن السعادة لها تضحياتها حتى ينالها كل مريدوها، فضحُّوا قليلاً حتى تنالوا السعادة في الدنيا، فآباؤكم قد ضحَّوا كثيراً بكل شيء لينالوا هذه السعادة، فكونوا أقل منهم أو مثلهم حتى تنالوها، ولا تتحاملوا على من هو مثلكم وتحاملوا جميعاً على أعدائكم، فإني لكم ناصح أمين وهكذا أبي وجميع من بيدهم الحكمة، فاختاروا سعادة الدنيا والآخرة أحراراً في الأولى مكرّمين في الثانية، ولا تكونوا عبيداً أبداً لغير الإله؛ لأن العبادة لغيره خزي في حياتكم وبعد مماتكم».

فنظر الناس إلى بعضهم البعض متعجبين لما قاله "أكيار"، وفي آن واحد رفعوا جميعاً أيديهم مؤيدين كل كلمة تفوه بها.

وقتذاك اقترب "إندو" من أخيه الأكبر "أكيار" وابتسم له ابتسامة عظيمة، ثم قال: «لقد قلت ما كان يجرى على لساني تماماً، فأنا لا أصدق نفسي يا "أكيار"».

فابتسم له أخيه الأكبر قائلاً: «إن كل من يريد الخير هكذا يا "إندو"، تجرى على ألسنتهم كلمات واحده، ولكن لماذا ذكرك "داهور" بالاسم؟ ماذا فعلت لقول ذلك؟».

«أتمنى أن نحقق كل ما يجرى على ألسنتنا يا "أكيار"، أتمنى هذا بالفعل يا أخي، وأما بمناسبة "داهور" فالأمر يطول شرحه، ولكن الآن انظر لما سيقوله الحكيم "صهيا"».

كان الحكيم "صهيا" وقتذاك يشد انتباه الجميع له، حتى نظر له أهل "قُرّان" جميعاً فهو علمُ بينهم له قدره، وبالفعل كان كذلك لمنزلته كمعلم أول

للقبيلة كلها، يرجع إليه كل من يختلط عليه الأمر بين الأشياء بعضها البعض، فرفع كلتا يديه قائلاً:

«أيها الأقوياء لا أيها الضعفاء..

أهل قبيلة قُرّان العظيمة،

لا يحزنكم ما قاله ذلك الشرير،

فإن قوله أقل ما يكون من قولكم،

وفعله أقل ما يكون من فعلكم،

وإرادته لا تكون شيء بجوار إرادتكم،

فخيركم خير وشركم شر!

ولكن خيره شر وشره أشر!

جنته نار وناره جنه!

وعبد ملعون لعبد ملعون!

ساحر كريه لشيطان بغيض!

أحدثكم جميعاً دون خوف منه،

وأنتم تعلمون جيداً ما أنا عليه،

وإلا لما طلبتم مني تعليم أولادكم،

اجتمعوا على الخير تنالوه،

ولا تفرّقوا ينالكم السوء،

كلمة خفيفة لآذانكم؛

كرطب جميل على ألسنتكم،

لا تَكَلُّفٍ في شيء أقوله،

ولكنه نابع من صميم قلبي،

فالخير ينبض به كما ينبض هو،

فلينبض الخير في قلوبكم جميعاً،

فتعاهدوا على أنفسكم جميعاً،

أن تدافعوا عن توحيد الإله الأعظم،

وأن تدافعوا عن أنفسكم،

لاسيما من يدافع عن أرضه أكثر من أخيه!

وعن أخيه أكثر من ولده!

وعن ولده أكثر من نفسه!

كل ذلك من أجل الإله وإرضائه.

فدافعوا عن أنفسكم بعضكم البعض،

حتى تنالوا الحرية من كل طاغية،

وحتى تنالوا السعادتين؛

سعادة في الدنيا وسعادة في الآخرة.

دافعوا عن وحدانية الإله بدمائكم،

فإن فقدتم دمكم لآخر قطرة دم،

فاعلموا أن الأرض التي شربت هذه الدماء،

سوف تكون شاهدة على فعالكم الحسنه،

وعلى شجاعتكم في الدفاع عنه،

إله العالمين ربي وربكم،

ورب كل شيء».

ابتسم "إندو" لما قاله معلمه الأول، وطلب من أخيه أن ينظر إلى ما يشير إليه، وكان يشير إلى الناس وقتذاك، ليجدهم "أكيار" وكأن الإله قد بعث فيهم إرادة عظيمة تأخذهم إلى تحطيم الجبال، من أجل نوال السعادة والخير وما إلى ذلك من أنواع الهناء الدائم، فظلوا يتواثبون من كثرة ما قذف في قلوبهم من إرادة الخير، نساء ورجال صغار وكبار .. فقال "أكيار" لشقيقه "إندو" في ابتسامة هو الآخر: «لقد فعلها الحكيم "صهيا" يا أخي، وليكن ما يريده الإله للجميع، ليكن الخير بإذنه هو وليس أحد آخر».

ولكن لم يكن لأهل "قُرّان" التثبت على شيء حتى يأتيهم شي آخر أصعب من ذي قبل، يجعلهم وكأنما يخرجون من حفرة ليقعوا بأخرى أكثر صعوبة من أختها، فقد رجع صوت "داهور" مرة أخرى أكثر غلظة من ذي قبل، والسماء ترعد على سير ألفاظه الغليظة المخيفة القاتلة، والسحب يكثر سوادها سواداً حالكاً، والناس يرتقبها الذعر ليس في "قُرّان" فقط؛ بل في جميع الأنحاء، حتى أن الناس في غير قبيلة "قُرّان" قد أحسوا بأن هناك من تحدث فيها بكلمات

أغضبت "داهور"، وهو "بانديل" الـذي ذكـره "داهـور" أثنـاء حديثـه الثـاني، إذ خصه وولده اللذان تجاوزا حدودهما مع ذلك الشرير، فنقموا علـيهم لتـسببهم في هذا الغضب العظيم الذي بدا على صوت "داهـور"، ولكـن كـان الكـثير مـن النـاس يوافقون الوقوف ضد هذا المتكبر ومن يعبده؛ "جومار" ذلك الرأس العظمى للـشر، الشيطان المتأله والبشري المتشيطن .. فقال "داهور":

«لم أكن أعلم أن فيكم هؤلاء غير الطيعين!

ولكن لطالما علمت ذلك؛

فاعلموا أنـي كنت لكم صادق فيما قلت،

ولكنكم لم تصدقونـي جيداً،

فانتظروا الحرب التـي ستبيدكم،

أنتم فقط يا أهل قُرّان،

لأنكم قد خرجتم عن طاعة جومار،

وعن طاعتـي أنا العظيم داهور،

فطاعتنا واحدة لكم جميعاً،

ولقد خرجتم عنها بأقوالكم،

بل بأقوال حكمائكم الجاهلون بعذابنا،

فإن عذابنا مصيبكم أينما كنتم،

وسوف نبدلكم بأقوام آخرين،

يطيعون جومار العظيم،

ولتكن الحرب لكم يا أهل قُرّان،

الحرب وما هناك غير الحرب!

حتى تعلموا بعد ذلك أن الخروج عنا خسران،

خسران عظيم سوف تنالونه!

خسران عظيم».

واهتزت الأرض وظلت العاصفة قائمة بعض الوقت، والسحب ظلت هي الأخرى سوداء كما كانت، وارتاب الناس لما سمعوه حتى الحكماء منهم، وسارت في نفس "إندو" خيفة وندماً لأنه علم أنه هو الذي تسبب في كل هذه الأشياء، إلا أنهم سكنوا بعد زوال العاصفة وما احتملته من صور العذاب والتنكيل للخلق أجمع، وعلم الناس في "قُرّان" أنهم رغم أنوفهم يقتربون من حرب عظيمة، لا يعلمون ما ستجلبه تلك الحرب لهم، إلا أن العارفين بالإله منهم تركوا كل شيء للإله، ليصنع ما يشاء بهم.

الفصل السابع

فــي قلعــة التنيــن

ظلت الغمامة السوداء قابعة فوق "قلعة التنين"، حيث أنها انقشعت عن كل البلدان والمدن والقبائل الأخرى إلا من تلك القلعة العظيمة التي شيدها "الحاكم الأول" لقبائل "دويرام" العظمى على "جبل الدم" من ناحية الجنوب الغربي، والتي اغتصبها "جومار" اللعين من "رولينجلاس" آخر سلالات "الحاكم الأول"، وذلك في منظر مخيف على من هم مثل البشر العاديين، غير هؤلاء الوحوش آكلوا لحوم البشر، كانت القلعة تحوطها الأسوار من كل ناحية إلا من الخلف وذلك لعظمة جبل الدم من تلك الناحية، تلك الأسوار التي تبلغ في ارتفاعها ما يزيد عن خمسة وعشرين ذراعاً، والتي بنيت من أحجار الجرانيت السوداء التي أعطت للقلعة هيبة لم تُعطى لغيرها من البنايات المشيدة من قبل ومن بعد.

حيث أن القلعة كان قد بناها "الحاكم الأول" في أكثر من عشرين عاماً، وذلك من بداية حكمه حتى الاستقلال التام الذي قدمه للبشرية في ذلك العهد العظيم، حيث أنه أتم عدة انتصارات عظمى على أكلة لحوم البشر آنذاك، هؤلاء البشر الذين تحولوا إلى تلك المخلوقات الغريبة التي لم تكن تعرف صنوفاً للطعام إلا أكل لحوم البشر أو حتى أكل بعضهم البعض، وذلك لأنهم عاشوا في عصر مليء

بالتخلف والتعصب والفساد، حيث عدم وجود الزراعة والصناعة وعدم وجود أي حرفة غير ذلك، كانت تلك الأسوار عالية شامخة عريضة بعض الشيء، ولذا بني عليها العديد من الأبراج المرتفعة التي عُدّت للاستكشاف من على بعد، تلك الأبراج الشامخة التي وازت في ارتفاعها منكبي التمثالين العظيمين لـ"الحاكم الأول" و"الفيلسوف المقدس"، حيث أن هذان التمثالان قد بنيا على طرفي البوابة العظيمة للقلعة، وذلك من عدة أنواع من صخور الجرانيت العظيمة التي تلونت بالألوان الفضي والأخضر والذهبي، ولاسيما أنها قد زودت في مناطق مرموقة من التمثالين بالأحجار الكريمة، تلك الأحجار التي اختلف أصنافها إلى أكثر من خمسة عشر نوعاً من تلك الأنواع العظيمة النادرة، كالياقوت، والماس، والزمرد، واللازورد، والفيروز، والعقيق، والزبرجد، واللؤلؤ، والمرجان، والذهب، والفضة، وغير ذلك الكثير.

كان ارتفاع التمثالين ما يقارب ثمانين ذراعاً، وكانت الرأس والرقبة وحدهما عشرة أذرع، أي أن التمثالان أعلى من الأبراج بعشرة أذرع، كي يتبين للناظر عظمة هذين التمثالين وعظمة شخصيهما، وكي لا يعلو شيء فوقهم لثقل عظمتهم بالنسبة للآخرين، حيث أن أحدهم هو من عم السلام بين البشر، وعلمهم الزراعة والصناعة، وأنشأ لهم الحرف، وفتح المدارس، وما إلى ذلك وهو عظيمهم وحكيمهم "الفيلسوف المقدس"، والثاني قد حارب من أجل الاستقرار، ومحي الكثيرون من أكلة لحوم البشر، ونفى الكثيرون منهم أيضاً، وبنى وشيد وعمّر قبائل "دويرام"، وهو عظيمهم أيضاً وقائدهم "الحاكم الأول".

حيث ظهر تمثال "الفيلسوف المقدس" من الناحية الشرقية للبوابة، وهو عبارة عن تمثال عظيم جَسَّد الشكل العام لذلك "الفيلسوف المقدس"، وهو يرتدي جلباباً عظيماً باللون الأبيض الفضي الناصع، الذي أخذت طياته منظراً رائعاً شديد الجمال، ومن تحته ثوب أخضر داخلي وصل إلى رقبته ببنيقة ضيقة سترت الرقبة كلها وكان لها عدة عراوي لتضيّق الثوب من الأعلى، تلك العراوي التي نحتت من أحجار اللازورد الزرقاء والتي قد ظهر منها أزرار من الياقوت الأحمر المبهج، وكان طرف البنيقة من الأعلى بالزبرجد الأزرق اللامع، وقد وُضع على رأسه غطاء فضي عظيم قد نزل إلى كلى منكبيه وأطرافه قد شكلت بالزمرد الأخضر الجميل، نحت بياض عينيه بالماس الفضي الجميل، أما بؤبؤ العين فنحت باللؤلؤ الأسود القاتم، خلافاً للحدقتان اللتان نحتتا باللؤلؤ البراق الذي جعل العين كما لو أنها عيناً حقيقة، والحاجبين كانا من الأوبسيديان أو "الحجر الزجاجي الأسود" والذي يعدم فيه اللمعان، وبه أيضاً نحتت لحيته الكثة العظيمة، وكان قد نحت من أمامه كتاب عظيم انحنى إلى ركبتيه، وقد تشكل باللون الذهبي وكتب عليه بالماس الفضي كلمة كتاب ومن تحتها "الحكم المقدسة" ومن تحت ذلك نحت اسمه العظيم "الفيلسوف المقدس"، أما يديه فقد كانتا في وضع دعاء وتضرع إلى الإله الخالق، وقد ظهرت أظافر يديه جميلة نحتت بالزبرجد الأبيض الفضي، وقد طلي وجهه ويديه وما ظهر من جسده بالذهب الخفيف الذي يعطي لون جسد الإنسان، أما القاعدة التي بني عليها هذا التمثال العظيم فهي من الفضة الخالصة.

هكذا كانت القاعدة التي بني عليها تمثال "الحاكم الأول" بل أشياء

كثيرة كانت متماثلة فيما بينهم من ناحية استخدام الأحجار الكريمة، إلا بعض الاختلافات في الثياب وفيما قد نحت من أمامه، حيث كان يرتدي الثياب الحربية التي تكونت من روب عظيم خارجي باللون الأبيض، الذي أخذ طيات جميلة هو الآخر كما هي عباءة "الفيلسوف المقدس"، ذلك الروب قد تعلق من عنقه إلى الوراء بحبل نحت من المرجان الأحمر، ومن تحته درع عظيم على صدره أخذ اللون الأخضر، وعليه بعض الرسوم التي اعتبرها رمز لبلاده، وهي عبارة عن تنين عظيم قد ظهر من الأمام وقد أخرج لسانه بقاذفة من نار، نحت بالياقوت والعقيق والزمرد واللازورد، وقد أخذ اللون الأسود والأحمر والأخضر القاتم والأزرق، ومن الأسفل سروال حربي كان أيضاً باللون الأخضر، ومن تحته حذاء طويل قد أخذ اللون الأسود، أما بالنسبة لرأسه فقد ارتدى خوذة حربية عظيمة برز منها شكل عظيم لتنين قد أخذ نفس تلك الألوان التي على درعه الصدري، وقد كانت يداه مرفوعتان في تضرع كما لو أنهما يدا "الفيلسوف المقدس"، وقد ركن إليه سيفه الذي اشتهر باسم "الحارس العظيم"، ذلك السيف الذي نحت نصله من حجر الأوبسيديان الأسود، وذلك كالحواجب واللحية لدى كلى التمثالين، أما يده فكانت يد عجيبة حقاً، حيث رسمت فيه بعض الرسوم العجيبة كميزان نحت بالذهب، على كلى جانبيه برزت نقطة صغيرة فضية بالماس لدقته، قد ظهر من فوقه جانب من عين تعلو الميزان نحتت بالزمرد الأخضر، وهي تدل على المراقبة المستمرة، من فوقها رجل مطموس الوجه يرتدي بردة فضية ومن أمامه سيف كأنه هو، ومن فوقه برز جانبين ليدخلا بانحناءتين لتبرز فقرة قد نقش فيها

هلال أبيض من حوله عدة نجوم ماسية مثله، وما حولهم نقش بالـذهب، وشـيئاً غير ذلك، حتى أصبحت يده ممهدة لقبضة اليد.

هكذا هما التمثالان اللذان وقفا على جانبي البوابة كأنهما حارسان لهـا لا يستطيع أحد كان من كان أن يقترب منها، تلك البوابـة الحديديـة العظيمـة الـتي كانت موازية لارتفاع الـسور، إلا أنهـا توجـت بتـاج عظـيم جعلـها متوازيـة مـع الأبراج أي إلى مـنكبي التمثـالين، ذلـك التـاج هـو شـكل عظـيم للتـنين وقـد فـرد جناحيه في منظر مبدع، وصل إلى كلى التمثالين من الناحيتين، وقد تلون بـالأحمر والأصفر والأسود ليظهر من الوهلـة الأولى وكأنـه بركـان عظـيم، وخـرج مـن فمـه الناظر إلى السماء شعلتا نار عظيمتان ليظهر وكأن ذلـك البركـان لازال منـصهراً لم يهدأ بعد، وكأنه أعد ليكـون شـعلتان عظيمتـان فـوق البوابـة لتبقـى شـعلة بكلـى مسرعيها إذا فتحت، تلك التي تلونت باللون الأبيض الفضي، وقد برز تنين آخـر على مسرعيها أخذ نفس تلك الألوان التي على ثياب "الحاكم الأول"، تلك البوابـة العظيمة التي وضع لها متراسان عظيمان من الداخل من أجل فتحها وغلقهـا واحـد من كل ناحية، ولكنهما قـد وُضِعا تحـت الأرض حيـث صـممهم "الحـاكم الأول" بنفسه، وذلك بفكرة هندسية توصل إليها بعد جهد عظيم بذلـه في البحـث داخـل الكتب الهندسية القديمة، فقد حفر لكل متراس حجرة عميقة تحـت الأرض، قـد سقفت بأحجار عظيمة إلا مقدار ثقـبين بحجـم الجنـازير الـتي مـن خلالهـم يـتم خروجها ودخولها، تلك الجنازير الحديدية القويـة الـتي صـممها خصيـصاً لتلـك البوابة العظيمة، يقوم على ذلك المتراسين بعض الشياطين الأقويـاء وذلـك لفتحهـا

وغلقها، لأنه لا يستطيع أحد أن يفتحها حتى ولو اجتمع أكثر من ألف رجل ما فعلوا، وذلك دون استخدام هذان المتراسان.

ظلت الغمامة فوق القلعة قابعة لا تريد الذهاب، حيث كان "داهور" في أشد غيظه مما حدث من هؤلاء الفئران بالنسبة له، وكان دمه يغلي كما تغلي النيران الشديدة في الجحيم، لذا فقد كان يقطع القاعة الخاصة به ذهاباً وإياباً، والغضب على وجهه دائم لا ينتهي، ولا أحد من وزرائه يستطيع أن يتفوه بكلمة واحدة، خوفاً من أن ينقضها بهذا الغضب المفزع، حتى أنه صاح فيهم جميعاً حينما وجدهم كذلك قائلاً: «لماذا أنتم صامتون؟! لماذا لا يشير أحدكم إلى بشيء يكون فيه هدوء لتلك الأعصاب المتوترة؟! ألم يوجد فيكم حكيم يقول لي ماذا أفعل؟!».

حينها نظروا جميعاً إلى بعضهم البعض، والخوف يتطاير من نظراتهم كأن أرواحهم تتطاير معه، وقد شبك بعضهم أصابع يديه في حركة لا إرادية تدل على التوتر العظيم، والبعض الآخر قد نظروا إلى الأرض كي لا تلتقي أعينهم بعينه فتحرق جميعها من غضبه، ولم يستطع أحدهم أن ينطق كلمة واحدة أيضاً، فازداد غضبه وصاح فيهم مرة أخرى بصوته الغليظ الماكر قائلاً: «لماذا لا تجيبونني؟! هل جُننت أو طار عقلي كي تبقوا صامتين هكذا دون أن يتفوه أحدكم بكلمة؟!».

فأجابه "كاجغر" في توتر وخوف بعد تنهيدة كادت تخنقه إن لم يكن أخرجها قائلاً: «عفواً يا سيد "داهور"، ولكن الأمر أننا رأيناك شديد التوتر،

وهذا من الصعب علينا أن نحدثك وأنت في مثل هذا الحال، لأنني حقاً نهابك يا سيدي، فنحن لسنا إلا خدمك وعبيد "جومار" العظيم».

هذه الكلمات هدأت شيئاً ما من توتر الأخير، لذا أبطأ في خطواته ونظر إليه قائلاً: «ليتك قلت مثل هذا الكلام من وقت طويل يا "كاجغر"، حيث أنه كان كالبلسم الذي وضع على جرح فطيبه، جرح عميق لا يطيبه أي بلسم يا "كاجغر"! ، ولكن لا أدري لماذا تتأخرون بمثل هذه الردود؟! وحتى إن كانت لا تجدي نفعاً!».

«عفواً يا سيدي، فكما قلت لك أننا نهابك، حقاً نهابك في مثل هذه الأوقات العصيبة، لذا يكون الصمت لنا هو الشيء الوحيد الذي نلجأ إليه حتى لا نكون ممن يزيدون عليك توترك، اعذرني بتلك الكلمات سيدي "داهور" العظيم، فنحن حقاً لا ندري بالكلام شيء وأنت بهذه الصورة العظيمة التي يهابها الكبير والصغير».

قال ذلك "كاجغر" ثم انحنى للأخير في تذلل، على إثره ابتسم "داهور" ابتسامة خبث على شفاه خبيثة دلت على أن موطن الخبث يقبع فقط بداخله، ثم قال: «أنت دائماً هكذا يا "كاجغر"، لديك دواء هذا الغضب الذي يجتازني ولا تعطيني إياه إلا بعد أن يستحوذ على كل مشاعري، فأنفعل عليكم كي يتكلم أحدكم ولو بكلمة واحدة».

ثم إنه نظر إلى حوضه حيث كان بعيداً عنه ببضع خطوات، ثم مشى إليه ببطء ونظره لم يفارقه، ذلك الحوض العظيم الذي امتلئ بعيون السنانير التي تتبع

له، وما أن وصل إليه حتى أعرض عنه وولى لهم وجهه قائلاً: «إنها الحرب التي من خلالها سوف تنقشع الغمامة السوداء عن قلبي، كي يذهب توتري، كي أستطيع أن أتكلم معكم كما يجب، فأنتم وزرائي الذين ألجأ إليهم كثيراً، فما رأيكم في ذلك؟».

«نحن حقاً وزرائك المخلصين لك وللعظيم "جومار"!».

قال ذلك "قوبال" ثم وقف في تذلل هو الآخر، وعيناه لم تكد تقع على "داهور" حتى ترجع منكسرة إلى الأرض مرة أخرى، ثم استأنف الحديث قائلاً: «والأمر كما تشاء سيدي العظيم "داهور"، فلطالما قلت الحرب فإذاً هي الحرب، ولنبعث إليهم جيشاً لا قبل لهم به حتى يدمرهم ويفنيهم عن بكرة أبيهم، وذلك كي نتخلص من تلك الحكمة التي يدعونها هؤلاء السفهاء حتى لا تنتشر بين باقي القبائل».

ضحك "داهور" وارتفعت صيحات ضحكه التي دوت في القلعة بأكملها، ثم إنه توجه إلى الحوض السحري الخاص به الذي ظل قابعاً في سكونه التام عند آخر القاعة، ذلك الحوض البيضاوي الكبير الذي تلون باللون الرمادي المخيف المقيم على رؤوس السنانير والتي اختلفت ألوانها بين أسود وأحمر وأصفر وأزرق وأخضر، ومن ثم وضع يديه مستنداً إليه وقتاً ما، ثم حرك يداه على سطح الحوض حركتان دائريتان، وهو يحرك شفاه ببعض الكلمات السحرية الغريبة، على إثر ذلك أضاء الحوض باللون البنفسجي فانتبهت إليه كل العيون التي تسبح في الحوض، بكثرتها الهائلة التي تشبه النمل حينما يجتمع على فريسته، حينها

قال بتلك اللغة السحرية اللعينة ما يُعني:

«*أيتها العيون السحرية العظيمة..*

أحدثكم من هنا حيث حوضي السحري،

حيث قاعتي العظيمة،

أنا أمير السحر الأسود،

داهور بن ثريبنال بن كوبران،

الذي أعده الإله جومار،

كي يكون يده العليا،

التي تبطش من يخرج عليه.

أريد منكم فقط مجموعة عاجاف..

التي تسكن قبيلة قُرّان،

أريدها أن تترك تلك القبيلة وتأتي إلى هنا،

حيث قلعة التنين العظيمة،

فلقد انتهت خدمتكم هناك،

والآن سوف أدمرها عن بكرة أبيها،

وأجعلها قاعاً صفصفا!

تلك هي كلماتي الأخيرة لكم،

أرجو لكم العودة بسلام،

حيث مثواكم العظيم،

داخل قلعة التنين،

حتى نرى لكم عملاً آخر،

من أجل خدمة العظيم جومار».

تحركت العيون بعض الحركات اللولبية حول بعضها البعض، ومن ثم انقسمت بعض العيون عن العيون الأخرى لتصبح وحدها، والتي دلت على مجموعة "عاجاف" التي تسكن قبيلة "قُرّان"، والتي ذكرها "داهور" في كلامه السحري المخيف، ثم إن تلك المجموعة من العيون غطست في المادة البنفسجية الغليظة وطفوت من جديد، وكأنها تنحني أمام سيدها وأميرها وآمرها العظيم "داهور".

وقتذاك حرك "داهور" يداه على سطح الحوض حركتان دائريتان مرة أخرى، وهو يحرك شفاه ببعض تلك الكلمات السحرية، فانطفأ الحوض وعاد إلى سكونه الذي كان عليه، فاتجه الرجل بنظره إلى وزرائه في ابتسامة رضا عما فعله، فوجدهم جميعاً ينظرون إليه ومن ثم ينظرون إلى بعضهم البعض مرة أخرى، فزادت ابتسامته وأومأ لهم قائلاً: «هكذا أستطيع أن أفصح عن بعض سعادتي أمامكم، وذلك لأنني بكل تأكيد سوف أنتقم من هؤلاء الخارجين على القانون العظيم الخاص بالسيد "جومار" الملك الأوحد لهذه الأرض».

فنظروا مرة أخرى إلى بعضهم ثم رجعوا بأبصارهم إليه، وقد ارتسمت ابتسامة على وجوههم، لكنها ابتسامة لا تكون إلا من مخلوقات كهؤلاء الوزراء،

مخلوقات شريرة لا تعرف شيئاً من الطيبة حتى تبتسم ابتسامة خير، ثم قال "ظلاف" : «فلتأمرنا بما تريد يا سيد "داهور"، حتى نجمع الأعداد التي تريدها من جنودنا الأوفياء».

«أريد خمسين ألف جندي من الفصيلة الثالثة، حتى يبدؤوا رحلتهم إلى "قُرّان"، حيث الحرب والتدمير، فلا مجال غير ذلك».

«فليكن ما تريد يا سيد "داهور"».

قال ذلك "ظلاف"، وسكت قليلاً ثم استأنف الحديث قائلاً: «وسوف يكون السلاح جاهز خلال بضع ساعات قليلة، فمنذ ذلك الوقت الذي فيه تحدثت إلى الناس جميعاً، وأنا أحث "الشياطين المنفيون" على الاستعداد بصنع الأسلحة، وذلك لأني رأيت أنه لا محالة من وقوع الحرب».

«هذا جيد جداً يا "ظلاف"، إنك حقاً تقرأ ما يخطر ببالي، والآن فليستدع أحدكم قائداً عظيماً من قواد الفصيلة الثالثة حتى أتحدث معه بعضاً من الوقت».

قام "قوبال" وانحنى للساحر قائلاً: «أنا آتيك به سيدي، قائداً عظيماً من قواد تلك الفصيلة، أراك تعرفه سيدي فإنه "باغور" صائد الوحوش».

فابتسم "داهور" قائلاً: «وكيف لا أعرفه يا "قوبال" وأنا أعرف كل الجنود تحت يده، بل كل آكلي لحوم البشر؟!».

فازدرد "قوبال" ريقه بصعوبة ثم انحنى لـ"داهور" مرة أخرى في تذلل قبل أن يقول: «لم أكن أقصد عدم المعرفة لك يا سيدي، ولكن الأمر أنني في الحقيقـ..».

قاطعه "داهور" في ابتسامة حادة قائلاً: «أعرف قصدك حقاً يا "قوبال"، وكيف لا أعرف ما قصدته وأنا أعرف ما يدور بذهنك؟!».

«سيدي "داهور" أنا..».

«انصرف الآن يا "قوبال"، وافعل ما أمرت به».

«أمرك يا سيدي».

قالها ثم انحنى في خضوع تام وانصرف، فتقدم بخطوات بطيئة إلى وزرائه الذين جلسوا على كلى الجانبين تاركاً من خلفه حوضه السحري المهيب في سكونه القاتل قائلاً: «الآن أستطيع أن أقول لكم انصرفوا، فلم يعد هناك من داعٍ لوجودكم، ولكن ليتبقى منكم "كاجغر" و"ظلاف"».

فانصرفوا جميعاً كما قال لهم، ولم يتبقى منهم إلا من أمر ببقائهما، حيث أنهما وقفا في انحناءة أمامه دلت على خضوعهم لأمره العظيم، ولم يطل بهم الأمر حتى أراحهم من التفكير في سبب بقائهم قائلاً: «إنكم تعرفون حقاً ذلك الطفل الذي تكلم بتلك الحكمة وادِّعائه بأن له إله آخر بدلاً من العظيم "جومار"».

فنظرا كلاهما إلى الآخر قبل أن يكمل "داهور" مستأنفاً: «إنه هو السبب الوحيد لقيام تلك الحرب، إنه صغير حقاً ولكنه خطير جداً، لذا فأنا أريده حي ولن يأتينا به أحد وهو على قيد الحياة إلا جنود الفصيلة الأولى، فهم يعرفون عملهم جيداً ويستطيعون أن يسيطروا على أنفسهم إن جاعوا وهو معهم، لذا أريد خمسة منهم أن يختبئوا مع جنود الجيش وكأنهم من نفس فصيلتهم الثالثة، وأنا سأخبر "باغور" بذلك حينما ألتقي به».

فأجابه "ظلاف" قائلاً: «أنا أتولى هذا الأمر سيدي "داهور"».

فقال "داهور": «كما أنني أريد ذلك السنور الذي يمتلكه والذي يدعوه بـ"سويْبا"، لأن ذلك المخلوق الصغير وراءه أسرار عظيمة، ولم يخبرها لذلك الولد بعد».

«إذاً أن آتيك به يا سيد "داهور" العظيم».

قال ذلك "كاجغر" ثم انحنى هو و"ظلاف" في تذلل وانصرفا عندما أمرهما بذلك، لتصبح القاعة خالية إلا من "داهور"، ذلك الذي رجع في خطوات سريعة إلى حوضه ليتفاداه ويذهب من خلفه حيث عرشه، ولكنه تفاداه هو الآخر ليقف أمام تلك الدائرة الحمراء، التي استقرت بداخلها نجمة الشيطان، أو تلك النجمة التي احتوت على رأس شيطان مخيف به جميع مقومات القبح والدمامة والهيبة، ولكن بعد وقت من السكون انحنى "داهور" أمام تلك الدائرة المخيفة، ولكنه انحنى بخضوع وتذلل أكثر مما كان عليه وزرائه له، لتأتي المفاجأة بكل أنواع رهبتها، فقد اهتز الرأس الشيطاني اهتزازاً عظيماً يمنة ويسرة، وكأنه ينفض عليه غبار الزمن الذي تراكم لسنوات طويلة، وبرزت الرأس إلى الخارج في بطئ شديد في بادئ الأمر لتخرج بسرعة واضحة بعد ذلك من الدائرة ببروز عظيم مقدار ذراع، فتزلزل كيان "داهور" وخر ساجداً لتلك الرأس الشيطانية الدميمة القبيحة قائلاً: «سيدي ومولاي العظيم "جومار"، أنا عبدك "داهور" الذليل إلى رحمتك، الذي دائماً يطلب مغفرتك، اغفر لي كل ما قد بدر مني سواء كان حسناً أم سيئاً فإنك وحدك من تغفر».

هنا كانت المفاجأة الأكبر، حيث امتلأت القاعة بحرارة عظيمة وفي نفس الوقت برودة لا تطاق، ذلك حدث على إثر صوت الرأس التي ترمز إلى ذلك اللعين "جومار"، حيث قال الصوت المخيف: «أنت حقاً عبدي المخلص "داهور"، فأنا راضٍ عنك لطالما تفعل كل ما أأمرك به، لذا سوف تكون سعادتك بنفسك كبيرة يا "داهور"، لأنك حقاً رجلي المخلص».

فظل "داهور" على سجوده له قائلاً: «أنا دائماً أتمنى أن تكون راضٍ عني سيدي، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يرضيني ويسعدني ويجعلني ازداد في الخوف والهيبة منك».

«وهذا ما أريده يا "داهور"، أن تهابني كما يجب حتى أرضى عنك كي ترضى عن نفسك، والآن سأذهب فلقد جاءك وزيرك "قوبال" ومعه قائد من قواد الفصيلة الثالثة لآكلي لحوم البشر، حينما أختفي سيدق الباب فلتقم من مقامك ولتتحدث باسمي لأنك وزيري الوحيد يا "داهور"».

«أمرك سيدي العظيم "جومار"».

قال ذلك "داهور" ثم قام ليجد الرأس قد رجعت إلى مكانها كما كانت، فانحنى لصاحبها في تذلل ورجع إلى عرشه العظيم الذهبي المحلى بالماس واللازورد، حينها قرع "قوبال" الباب ودخل هو والقائد العظيم "باغور"، ذلك الذي أكمل بهيئته تلك المفاجأة الكبرى، حيث كان طوله ما يقارب ثلاثة أذرع ونصف، ورأسه عظيمة أكبر بمقدار رأسين ونصف من رؤوس البشر العاديين، وجهه رمادي شاحب وعيناه حمراء كأنها جدول من دم، وأنفه المعقوفة الكبيرة

الواسعة كأنف قرد ولكنها أكبر شيئاً ما، وأذنه تدلت إلى كتفيه كورقتي قلقاس عظيمتان، وشعره نزل إلى الوراء طويلاً كهشيم المحتضر، كان "قوبال" يمشي من أمامه وكأنه قزم بالنسبة له حيث أنه كان يصل إلى ما تحت صدره، فابتسم "داهور" وقام من مقامه وتقدم بعض الخطوات إلى الأمام، حتى أصبحت المسافة بينه وبين "باغور" أقل من سبعة أذرع، حينها أشار لـ"قوبال" بالانصراف فانحنى الأخير وانصرف، ثم تقدم بعض الخطوات الأخرى حتى أصبح بينه وبين "باغور" ذراعاً واحداً، كان الفارق بينهما عظيم جداً حيث أصبح "داهور" قزماً هو الآخر بالنسبة له كما كان "قوبال" هو الآخر كذلك، ولكن الفارق بين "داهور" و"قوبال" عظيماً جداً، فهذا هو العظيم "داهور" أمير السحر الأسود واليد العظمى للسيد العظيم "جومار"، وذاك ما هو إلا وزير من وزرائه كأي وزير آخر لا حيلة لهم من غيره، لذا أراد أن يجعل الفارق بينه وبين "قوبال" شاسعاً جداً، بل بينه وبين "باغور" نفسه، حيث أنه رفع عصاه الطويلة إلى الأخير، تلك التي تحلت بالذهب والمرمر، والتي قد أخذت شكلاً ساحري عظيم، وقال تعويذة شيطانية جعلت "باغور" يضمحل شيئاً فشيئاً، ولكن هذا لم يغير أي ملمح من ملامحه، حتى أنه أصبح بمستوى الطول المناسب لـ"داهور" كي يتحدث إليه، فتعجب الأخير من جسده الذي صغر كثيراً عما كان، ونظر إلى نفسه في اشمئزاز مما حدث له ثم نظر إلى "داهور" نظرة استعطاف وتذلل وقال بصوت غليظ: «اعذرني سيدي العظيم "داهور"، فإن منظري هذا يؤلمني جداً، حيث أنني أصبحت شيئاً صغيراً وليس قائداً من قواد الفصيلة الثالثة».

فابتسم "داهور" ابتسامته الخبيثة قائلاً: «يجب أن يكون هناك توافق بيننا يا "باغور"، فكيف لي أن أكون قصيراً أمام ذلك الطول الذي تمتلكه ولا أفعل شيء يريحني، لذا قمت باضمحلالك بعض الشيء حتى نتوافق سوياً في الطول وأيضاً في الحديث، وهذا فقط طوال وجودك هنا معي، وسوف أعيد جسدك العظيم إلى حيث كان، فأنت الآن قائد لأحد جيوش الفصيلة الثالثة والخاصة بي أنا شخصياً، خادم العظيم "جومار"».

فانحنى "باغور" في خضوع ثم قال: «الأمر كما يشاء سيدي "داهور"، بعد مشيئة السيد "جومار" العظيم».

«إذاً فلنبدأ حديثنا عن تلك الحرب التي استدعيتك من أجلها، إنها "قُرّان" تلك القبيلة التي خرجت عن طاعتنا، أريدها دماراً، أريدها رماداً، لا أريد بشرياً واحداً فيها، بل أريدها أرضاً قاحلة لا يعيش بها أحد، لتكون عبرة لمن أراد من القبائل الأخرى أن يفعل كما فعلت، ولكن هناك طفل صغير لم يتجاوز الخمسة عشر عاماً، اسمه "إندو بانديل" أو كما يطلقون عليه "الفيلسوف الصغير"، أريده حياً وهذه ليست مهمتك أنت، بل هي مهمة خمسة من الفصيلة الأولى، سوف يكونون بين جنودك الخمسين ألف، لن يعرفهم أحد من الفصيلة الثالثة، ولكن إن عرفهم أحد منهم أو عرفتهم أنت بنفسك، فلا يشتهي أحد ذلك الطفل لأني حقاً أريده حياً أمامي كما أنت الآن أمامي، والسلاح سوف يكون جاهزاً خلال القليل من الوقت، حيث أن "ظلاف" قد أخبرني بأنه حث "الشياطين المنفيين" بتجهيز السلاح في أقرب وقت ممكن وذلك منذ تلك الساعة

التي قلت فيها كلمتي للناس أجمعين، تلك الكلمة التي ردني فيها هؤلاء الملاعين، عليهم لعنتي ولعنة "جومار" العظيم، إلى هنا أستطيع أن أخبرك أن كل شيء قد انتهى بالنسبة لتلك الخطة، فهل من سؤال في شيء؟».

«فقط شيء صغير سيدي».

فقاطعه "داهور" قائلاً: «حسناً لن أخبر أحداً قط بما فعلته بك، لا تخف يا "باغور" فأنا أحافظ على أسرار جنودي جيداً».

«إذاً فلـ..».

فقاطعته مرة أخرى قائلاً: «حسناً سوف أفعل».

وذلك قبل أن يرفع إليه عصاه السحرية محركاً شفاه بتعويذة شيطانية أخرى، ليكبر ويتضخم بصورة سحرية عجيبة .. حيث انتفخت أوردته، وتجسمت عضلاته وكبرت، فارتفع إلى الثلاثة أذرع ونصف كما كان، فنظر إلى نفسه نظرة رضا جعلته يشق فمه بابتسامة مخيفة، ثم انحنى أمام "داهور" قائلاً: «هل هناك شيء آخر تود أن أفعله سيدي العظيم "داهور"؟».

«فقط انصرف يا "باغور"، فقد انتهى ما عندي».

فانحنى ذلك المخلوق له مرة أخرى ورجع إلى الوراء وهو على انحناءته حتى وصل إلى باب القاعة الذي طلي باللون الأسود وحلي بالذهب الأحمر، فخرج وانطلق حيث موطن الاستعداد في إحدى ساحات القلعة، وقد بقي "داهور" وحده مرة أخرى في تلك القاعة السحرية المخيفة.

الفصل الثامن

جيش آكلوا لحوم البشر

احتشد الجيش الذي تعداده خمسين ألف مقاتل من أكلة لحوم البشر، وذلك في ساحة الاستعداد في الناحية الجنوبية للقلعة، حيث أنهم رفعوا رؤوسهم جميعاً إلى أعلى ناحية قاعة "داهور"، منتظرين خروجه إليهم ليعطيهم أوامره الأخيرة، حتى ينطلقوا إلى غايتهم الوحيدة الأكيدة؛ وهي تدمير قبيلة "قُرّان، وقتذاك اقترب "داهور" من الدائرة الحمراء وانحنى لشخصها الروحي في تذلل عظيم، حتى يمتلك العزة بذلك ويخرج إلى الجيش ليحدثه فقال: «الآن يا سيدي حان دورك العظيم».

اهتزت أرض القاعة بعض الهزات المريبة، وعلى إثر ذلك انشق الجدار الذي علقت عليه تلك الدائرة الحمراء، فانقسمت معه الدائرة إلى نصفين، وكل نصف انسحب إلى ناحية، وكأن وحشان عظيمان وقف كلاً منهما في ناحية وسحب شطر الجدار إليه، في آلية عظيمة ترهب القلوب، حتى انفرج الجدار عن أخره وكأنه مسرعي باب عظيم، وظهرت الأشياء الخارجية للقلعة، واكتمالاً لما حدث ارتفع من باطن الأرض التي وقف عليها "داهور" لسان عظيم، عرضه أكثر من ثلاثة أذرع، ظل يمتد إلى الخارج ومن فوقه الساحر العظيم "داهور بن ثريبنال بن

كوبران"، وقد فتح ذراعيه بعظمة وهو يظهر للجيش بتلك الصورة المخيفة، وفي يده اليمنى عصاه السحرية، ذلك المشهد الذي جعلهم جميعاً ينحنون وهم فاغروا أفواههم من الدهشة، فالكثيرون منهم لم يرونه من قبل وهو في مثل تلك الحالة العظيمة، بل الكثيرون منهم من لم يروه أصلاً، وكان مرتفعاً كثيراً جداً عنهم، حتى أن ارتفاعه يكاد يصل إلى ثلاثمائة وخمسين ذراعاً، وظل اللسان يمتد إلى الخارج ببعض الانحناءات مرتفعاً ومنخفضاً، وكأنه لسان وحش عظيم جداً ابتلع القلعة كلها عن أخرها ثم استوطن مكانها، وكان هذا هو الحال بالضبط، حيث أن القلعة تغيرت من ذلك الاتجاه العظيم وفي المنطقة التي أصبح فيها "داهور"، وذلك خارج قاعته حيث أن الدائرة الحمراء أثرت على الأحجار بقوتها من كلى الجانبين للجدار، فذابت أحجار تلك المنطقة وتحولت إلى وجه عظيم مخيف لم يراه أحد من قبل، وكأنه وجه شيطان عظيم لم يُرى مثله أبداً، وقد تشكل باللون الأحمر والأصفر والأسود، ذلك اللون البركاني كالتنين الذي فوق بوابة القلعة، ولكنه كان أشد خيفة منه، وكان اللسان الذي خرج من قاعة "داهور" هو لسان ذلك الوجه العظيم، حين ذلك لم يتمالك الجنود أنفسهم فخروا راكعين جميعاً في منظرهم العظيم، الذي ظهروا فيه بالنسبة له مجموعة من النمل ليس إلا، وقد وضعوا أسلحتهم بجوارهم وظلوا على هذا الحال بعضاً من الوقت، ولكنهم قاموا وحملوا أسلحتهم عندما تكلم "داهور" بصوت غير صوته، صوت لم يسمعوه قط، صوت غليظ من شدة غلظته اهتزت الأرض من تحت أرجلهم، وامتلأت السماء بالغمامة السوداء أكثر مما كانت عليه سابقاً، حيث قال لهم: «أيها الجنود، يا

جنود "جومار" العظيم، يا جنود "قلعة التنين" العظيمة، التي من خلالها ينبت كل شيء خطير، حيث الموت يرتقب كل نبضة ينبضها الهواء، حيث تراتيل "جبل الدم"، و"قلعة التنين"، حيث أناشيد الهلاك، وقصائد التنكيل، وأغاني الموت، وطلاسم السحر ولعناته، تنتظر بشغف كل من سولت له نفسه أن يخالف العظيم "جومار"، فإنه أنا من يحدثكم، "داهور بن ثريبنال بن كوبران"، المتحدث الأول والأخير عن السيد العظيم ملك الأرض السيد "جومار"، إن هذا ليوم من الأيام العظيمة التي ستعيشونها، لأنكم اجتمعتم فيه كي تحققون رغبة لسيدكم العظيم، فسوف تنطلقون إلى قبيلة "قُرّان"، حيث هؤلاء الأوغاد الذين يعيشون فيها، من خرجوا عن قانونه العظيم الذي وضعه بنفسه، سوف تكونون يده التي يبطش بها من لا يؤمنون به، فهو إلهكم العظيم "جومار"، لذا فلتنطلقوا الآن كي تروهم العذاب الأليم، كي يرضى عنكم إلهكم وسيدكم "جومار" العظيم، سيد الأرض القوي الذي لا يقدر عليه أحد، والذي نعيش من أجله من أجل عبادته والتذلل له كي ينعم علينا من نعمه العظيمة، فلتنطلقوا الآن يا أولاد الفصيلة الثالثة التي صنعها "جومار" العظيم بيديه، فلتنطلقوا للانتقام له من هؤلاء الخارجين عنه، ولتعذبونهم عذاباً يليق بكم كآكلي لحوم البشر، وكجند من جنود "جومار" العظيم».

حينها انحنوا له جميعاً وأصدروا همهمة تدل على إرادتهم القوية في النيل من سكان تلك القبيلة، وحركوا أرجلهم وأسلحتهم في أماكنهم بنغمة شديدة تدل على فرط غضبهم، ثم أدوا بعض الحركات العسكرية بأمر من "باغور"

قائدهم الأول في تلك الحرب العظيمة، ومن ثم اتجهوا إلى يسارهم حيث الجهة الغربية وتقدموا في مشية عسكرية منتظمة، إلى أن وصلوا إلى الساحة العظيمة للبوابة فاتجهوا يساراً مرة أخرى وذلك ناحية الجنوب، فتقدموا بعض الخطوات في تلك المشية العسكرية المنتظمة حتى أصبحت البوابة أمامهم، فأطلق بعض الجنود نفيراً من أبواقهم السوداء المخيفة، والتي من خلالها وقف الشياطين على عمل المتراسين لفتح البوابة العظيمة، وفتحت البوابة لينشق كلى التنينين منها الذي كان تاج لها والذي توسط مسرعيها، لتفتح البوابة إلى الداخل في بطئ شديد يدل على عظمتها، ظلت بعض الوقت حتى فتحت على مسرعيها، حينها أمر "باغور" جنود الأبواق بإصدار النفير للتقدم، فأصدروا نفيرهم العظيم فتقدم الجيش ولكن في خطوة سريعة بعض الشيء.

ثم إن اللسان الذي قد خرج عليه "داهور" من قبل قد انسحب إلى الداخل، وتلاشى الوجه الشيطاني العظيم ليرجع الجدار إلى حيث كان، وترجع الأحجار كما كانت مرصوصة وكأنه لم يحدث شيء، وقتذاك التحمت الدائرة الحمراء مرة ثانية، فانحنى لها "داهور" قائلاً: «الآن يا سيدي قد حدث كل شيء كما رتبت مسبقاً».

من ثم انطلق الجيش ناحية الجنوب الغربي، حيث قبيلة "قُرَّان" الساكنة في أقصى تلك الناحية، كانت الأرض داخل تلك القبيلة غير ممهدة، تلك القبيلة الأم التي بها حكم جميع قبائل "دويرام"، والتي لاشتهارها بـ"قلعة التنين" و"جبل الدم" أصبح الاسم الغالب لها هو "دويرام"، حيث أنه لو قيل قبيلة

"دويرام" فالمقصود من ذلك هي تلك القبيلة العظيمة، وإذا قيل قبائل "دويرام" فالمقصود من ذلك كل القبائل التي تتبع لها، لم تكن أرضها ممهدة وذلك لكثرة أوديتها ومستنقعاتها وبعض البحيرات المليئة بالدماء، حيث أن كل تلك الأشياء التي دائماً وأبداً لم تكن إلا للماء، أصبحت في هذه القبيلة بالذات مليئة بالدم الخبيث الذي لم يجف أبداً، وذلك لاتصاله بالماء الجاري في تلك الأودية والبحيرات عبر نهر "سانجويس" أو نهر الدم، ولكن الماء في القبيلة كلها مغمس بذلك الدم الخبيث وهو في ازدياد دائم، حيث أن طعام القبيلة كلها عن أخرها من لحوم البشر أو الحيوانات الحية، إلا القليلون جداً داخل القلعة، فيأكلون اللحوم ويتركون الدماء في قنوات مائية تصل إلى النهر ومنه إلى تلك المنحدرات والمستنقعات، فأصبح الماء النقي معدوم بداخلها، ثم إنها مليئة بالهضاب والمنحدرات وتلك القمم الصخرية الحادة التي يصعب المشي عليها.

كانت "قلعة التنين" في أقصى الشمال الشرقي للقبيلة، لذا ظلوا طوال الليل يمضون على أقدامهم داخل القبيلة فقط، وما أن أشرقت الشمس في الآفاق حتى وصلوا إلى شعيب "الحياة" والذي فصل بين سلسلة جبال "الموت" من الناحية الجنوبية، تلك السلسلة العظيمة التي تحيط بالقبيلة من ناحيتي الجنوب الشرقي والجنوب الغربي، والتي تبدأ من بحر "هالوتيا" أو البحر الميت في الشمال الشرقي، آخذة نصف دائرة إلى غابات "لارفاي" في الشمال الغربي، والتي يقال أن الأشباح تسكنها من قديم الأزل.

كان شعيب "الحياة" عظيماً جداً لذا قد وقف عليه الكثير من حراس

القبيلة، وهم من الفصيلة الأولى من أكلة لحوم البشر، وذلك لأنه المنفذ الوحيد الذي يؤدي إلى القبيلة دونما عناء، لذا شدد عليه "داهور" الحراسة من الفصيلة الأولى بالذات لأنه لو اخترق لأصبح من السهل أن يدخل أي أحد إلى القبيلة، ولذلك هم من أقوى جنود أكلة لحوم البشر، ولكن من يجرئ على ذلك وخلف هذه السلاسل الجبلية يقبع الموت المؤلم، حيث أن الكثير من أكلة لحوم البشر الذين نفاهم "داهور"، يختبئون في كهوف داخل تلك الجبال ويتغذون على بعضهم البعض، وإن وجدوا أحداً من البشر فيكون يوم عيد بالنسبة لهم، لأنهم بذلك يكونوا قد حصلوا على وجبة عظيمة لا تأتي إليهم في العمر إلا مرة واحدة أو أنها لا تأتي أبداً.

أمر "باغور" جنوده الحاملين للأبواق بأن يصدروا نفيراً لهؤلاء الحراس ففعلوا، حينها انتبه الحراس لهم من مكان قريب شيئاً ما، ثم إنه بعث رجلان من جنوده كي يفتحوا لهم ذلك المنفذ، فاقترب منهم قائد الحراس الأول "كوستودي مورتم" أو حارس الموت، حيث كان الجيش قد وقف على بعد يقارب المائتي ذراع، وكان ذا طول عظيم، وهيبة مميتة، وثياب سوداء مخيفة، ووجه يخافه صاحبه، وخوذة رمادية كأنها تاج عظيم، ثم إنه قال لهم بصوت هادئ لكنه زلزل أقدامهم: «هل وقعت الواقعة يا أبناء الفصيلة الثالثة؟!».

فنظرا الجنديان إلى بعضهم، ثم أجابه واحد منهما قائلاً: «لقد أوقعها العظيم "جومار" بنفسه!».

«إذاً فليكن معكم العظيم "جومار" بروحه!».

قال ذلك "كوستودي مورتم" ثـم استأنف الحـديث قـائلاً: «ومـن قائـدكم إذاً؟».

فأجاب الآخر بصوت خافت: «إنه "باغور"».

فابتسم حارس الموت قائلاً: «"باغور" صائد الوحوش! إنه رجـل شـديد في القتال، والآن مروا في سلام».

فنظرا إلى بعضهما مـرة أخـرى قبـل أن ينحنـوا لـه ويرجعـوا إلى قائـدهم ليخبراه بذلك، وما أن وصلا إلى القائد وأخبراه بذلك حتى أمر حاملوا الأبواق مـرة أخرى أن يصدروا نفس النفير حتى يتقدم الجـيش، ففعلـوا ذلـك لينطلـق الجـيش نفس انطلاقته الأولى عندما كان في قلعة التنين، ومـا أن وصـلوا إلى الحـراس حتـى انحنى القائدان لبعضهم تحية المـرور قائـد الجـيش وقائـد الحـراس، ثـم انطلقـوا خارجين من ذلك المنفذ العظيم وقد بان أنه أكبر بكثير من بوابة القلعة العظيمـة، ولكنه لم يكن له مثل تلك البوابة، حيث أن بوابته هـي حراسـه الـشداد الغـلاظ، الذين يعيشون بجواره ليل نهـار، حيـث بنيـت مـساكنهم بجـواره تلـك المـساكن العظيمــة الـتي تــشده لهــا القلــوب للوهلــة الأولى، حيــث ارتفاعهــا وشموخهــا وعظمتها، وكلها من صخور الجبال التي تقوى على تحمل عوامل التعرية، وكانوا يعتمدون في طعامهم على الصيادة خارج جبال الموت، وذلـك في الناحيـة الجنوبيـة حيث غابات "سانكتوس" التي يكثـر فيهـا الحيوانـات، والـتي يقدسـونها كـثيراً لأنها تعتبر الجهة الرئيسة في اعتمادهم على الطعام، وتقع على بعد ثلاثة فراسخ من موطنهم حيث ذلك الشعيب العظيم شعيب "الحياة".

اتجه "باغور" بجيشه إلى ناحية الجنوب الغربي، حيث وجهتم قبل مرادهم العظيم؛ نحو قبيلة "قُرّان"، الخارجة عن القانون القبلي لقبائل "دويرام"، الذي وضعه العظيم "جومار" المقدس في تلك القبائل العظمى، والذي يخطط للسيطرة على العالم كله، ولكن لطالما وجدت قبيلة داخل حدود حكمه خرجت عليه، فعندئذ سيكون الحال غير مستقر بالنسبة لباقي القبائل، لذا أراد أن يزلزل الأرض من تحت أرجل القبائل كلها بمحو تلك القبيلة الخارجة، حتى تتعظ باقي القبائل ولا تفعل مثلما فعلت.

كان "باغور" يمتلك خريطة كبيرة قد رسمت على جلد الأنعام، فأخرجها ونظر فيها ليتفقد طريقه الصحيح، فوجد فيها صحراء "تويتاس" تلك الصحراء التي قد بدأ السير فيها قدماً للأمام، والتي تتبعها في الطريق غابات "براجاند"، تلك الغابات التي انفصلت من قديم الأزل عن غابات "سبران" العظيمة، وذلك بسبب مصب نهر "أندويجان" الذي يتوسطهم، وقد أنشئت على إثر ذلك قبيلة "باقورنال"، التي أصبحت الآن تتوسط الغابتان وتزيد في اتساعها يوماً بعد يوم، وذلك لأن أهلها يزيدون في قطع الأشجار ويبنون فيها مساكنهم.

كانت انطلاقة الجيش متقدمة جداً، حيث أنهم لم يعتادوا أبداً على الراحة، فكل حياتهم عمل وتعب وشقاء، وذلك لأنهم يظلوا متيقظين فترات طويلة دون نوم، لذا كانوا يأكلون الأرض من تحت أرجلهم أسناء سيرهم ليلاً أو نهارا، وهونوا على أنفسهم طول الطريق ببعض الأناشيد العظيمة، التي تظهر قوتهم وبأسهم وأحلامهم بالتهام لحوم البشر .. حيث كانوا يقولون:

«أنفاسنا تملئ جميع الأماكن!

تلك الأنفاس الحارة المتيقظة،

التي تعلوا إلى السحابة!

وتنزل إلى قاع البحار!

وتروح وتغدو في كل اتجاه!

تشتمُّ رائحة اللحم الشهي،

لهؤلاء البشر الحمقى،

من بعيد حيث قوة الشم لدى أنوفنا!

نحن جنود جومار العظيم!

نحن أولاد الفصيلة الثالثة!

آكلوا لحوم البشر!

نحن الصخور التي لا تنكسر!

والسماء التي لا تُطال!

ومياه البحر التي لا تُشرب!

نحن وحوش هذه الأرض الميتة!

نحن الجبال الشامخات!

التي لا يستطيع أحد الصعود عليها!

نحن قمم تلك الجبال!

التي تلمس السحاب بمناكبها!

فؤوس قاطعة لا نرتد عن ذلك!

ندمر كل من خرج عن قانوننا!

نأكله ونشرب دماءه!

نتغذى على اللحم الشهي والدماء!

حيث فريستنا المتعة،

هؤلاء البشر العاديين،

الذين لا يقدرون على شيء،

إننا حقاً سوف نلتهمهم جميعاً،

صغيرهم وكبيرهم..

عظيمهم وخسيسهم..

رجالهم ونسائهم..

ولكن متى سنصل إلى هناك؟!

سوف نصل هناك بعد وقت ما،

لا يهم كم سيمر من الوقت،

المهم أننا سوف نلتهمهم،

لأننا عظماء عليهم!

لأننا آكلوا لحومهم!

سوف نشعل الأرض من تحت أرجلهم،

بخطواتنا المخيفة التي تقتلهم،

ولكن هل سيبقى هناك عشب في الأرض؟!

عندما نصل إلى قبيلتهم!

لا نظن ذلك!

لأن العشب سوف يرجع إلى باطن الأرض!

خوفاً على نفسه من خطواتنا القاتلة!

وسوف تختبئ الحشرات في جحورها!

عندما تسمع وقوع أقدامنا!

وسوف تختبئ الوحوش في مساكنها!

عندما يعلمون بقدومنا!

لأننا الموت المكتوب عليهم!

والذي لا مفر منه أبداً!

سوف تخور أسماعهم!

عندما يسمعون أصواتنا الحادة العظيمة!

سيتمنون أن تبتلعهم الأرض!

عندما تقع أبصارنا عليهم!

ولكننا سوف نأخذهم جميعاً،

وسوف نريحهم في بطوننا ،

ولكن راحة غير معهودة!

حيث المطاحن العظيمة!

التي تسحق الطعام بالداخل!

حين ذلك سوف ندمر قبيلتهم،

ونرجع مرة أخرى إلى أوطاننا ،

ونبعث بأنفاسنا إلى كل مكان،

كي نرى من يعظم قانوننا ومن يسخط عليه ،

لنلتهم كل من يستحق ذلك».

ظلوا على لحن تلك الكلمات القاتلة طوال طريقهم، والأرض تتزلزل من تحت أقدامهم، والموت يرتقب الطريق الذي يسيرون عليه، وتنهيداتهم القوية صعقت الصخور والرمال والحصى من أمامهم، ولازال الطريق طويل.

الفصل التاسع

انضمام لم يتوقعه أحد

أصبح الأمر في غاية الصعوبة بالنسبة لأهل القبيلة جميعاً، وذلك لم حل عليهم من سخط "داهور" بهم، وأنه أخبرهم بالحرب وما الحرب إلا ضياع لهم ولأولادهم، وما هي إلا أشد المصائب التي تقع على الإنسان في الدنيا، حيث أنه حمّلهم الحزن قبل أن يبلغهم جيشه لقتالهم، وبات الناس جميعاً في قلق وريب على ما حدث لهم من وعيد ذلك الجبار المتكبر، إلا أن "بانديل" والحكيم "صهيا" باتا يفكران في ردع ذلك الطاغية عن القبيلة أجمع، وطلبوا من الناس أن يتجهزوا لتلك الحرب مهما كلفهم الأمر، حتى لا تضيع عنهم أرضهم هكذا بكل سهولة، وأصبحت القبيلة كلها في عمل دائم ليل نهار، الرجال يصنعون الأسلحة ويعدون العدة ويبنون الحصون، والنساء يصنعن الطعام لهم ويساعدونهم، وكان دور "إندو" كبيراً جداً وقت ذاك، حيث أنه قد درس أشياء كثيرة عن الحروب والخطط وصنع الأسلحة، كل ذلك من كتب والده التي عكف عليها في الأيام الماضية، فساعدهم كثيراً بأشياء لم يعرفوا عنها إلا القليل، وظل يفعل كما يفعل كلاً من أبيه والحكيم "صهيا" من تثبيت الناس على الخير، وأن ما يفعلونه هذا من أجل إرضاء الإله، ليس لأجل المصالح الشخصية أو شيء من هذا القبيل، وكان الناس يستجيبون لذلك رغم أنوفهم جميعاً، لأنهم قد وُضِعوا في موقف لا

يحسدون عليه وإن لم يقفوا متثبتين أمامه؛ لأخذتهم أمواجه إلى حيث لا يـدرون؛ حيث التنكيل بهم من قبل "جومار" و"داهور" وأعوانهم.

وقد قسموا القبيلة بفطنة كبيرة منهم، حيث أنهم جعلوا بخطتهم كل مـن يريد محاربتهم أن يذهب إلى جبل "طابان" في ناحيـة الجنـوب الـشرقي، وهنـاك ضبطوا بعض الأشياء التي جعلت الفرصة لهم في النصر كبيرة على مخلوقـات أشـد منهم بدلاً من الضِعف في القوة ضعفين، حيـث أنهـم شـدوا في بنـاء الأسـوار الـتي تحيط بالقبيلة من الناحية الشرقية كلها، وذلك من بدايـة نهـر "قبرونيـا" شمـالاً حتى قرب جبـل "طابـان" جنوبـاً، وجعلـوا الملاجـئ الـتي يلجـأ إليهـا النـساء في الناحية الغربية للقبيلة بالقرب من مسكن "آل بانديل"، كي يـصبحن في أمـان تـام هن وأطفالهن، بعيداً عن تلك الحرب المقبلة علـيهم رغـم أنـوفهم، وذلـك لأن هـذا المكان يعتبر من أأمن الأماكن في القبيلة كلها.

كان الرجال يجتمعون في الليل للراحة في منطقـة العمـل ليتـشاوروا فيمـا بينهم، وفيما يخص المواجهة الكبرى الـتي لم تحـدث لهـم مـن قبـل، وكـان مـن بينهم الكثير من الرجال الخائفين لدرجات الموت، حيـث سـأل أحـدهم عـن تلـك المخلوقات التي من الممكن أن تحاربهم قائلاً: «كنت أريد أن أعرف شيئاً عـن تلـك الأشياء التي سنقاتلها، كي أعد نفسي تماماً لشيء أعرفه».

فأجاب الحكيم "صهيا" قائلاً: «نحـن لا نـدري بـأي شـيء سيقاتلنا ذلـك الشرير، ولكن إن جاز لي الاستنباط فمن الممكن أن يكونوا جنوده المعروفين؛ أكلـة لحوم البشر».

فقال رجل آخر: «ولكن الأمر سيكون صعب جداً، ولابد أن نستعين بالقبائل المجاورة حتى نتخلص من ذلك الموقف العصيب».

فأجاب "بانديل" قائلاً: «إن أي قبيلة الآن لن ترضى بمساعدتنا، كي لا تجلب لنفسها الضرر الذي أمر به "داهور" لكل من يخالفه هو و"جومار"، لذا لابد أن نساعد أنفسنا بأنفسنا، ونعول كل ما نعول على الإله الأعظم فهو من يخرجنا من هذا الموقف منتصرين بإذنه».

وقتذاك تدخل "إندو" في الحديث قائلاً: «إن الأمر ما هو بالسهل وما هو بالصعب، ولكن إن أردناه هكذا أو كذلك فهو بأيدينا، نستطيع أن نجعله سهلاً لنا وصعباً في نفس الوقت، لذا إن أردناه سهلاً فلابد أن نكون مسالمين في أنفسنا لأنفسنا، حتى لا نقبل إلا بالسلام والخير والحرية دائماً، فانصروا الإله ثم أنفسكم ودياركم حتى تنتصروا بإذن الإله ولا يذهب عملكم أدراج الرياح».

فلما سمع الناس تلك الكلمة الصغيرة من "إندو"؛ تشجعوا أكثر من ذي قبل وحتى أنهم طلبوا من "بانديل" أن ينشد لهم نشيداً، يخرجهم من هذا الجو إلى آخر أكثر طمأنينة، إلا أن "بانديل" طلب ذلك من "إندو" الذي لم يرحب بالأمر في بدايته، ولكنه رغم ذلك وافق في النهاية قائلاً:

«عندما تظهر النجوم في صفحة السماء؛

وتتلألأ كالماس في ذلك الفضاء،

وتنعقد فيما بينها لترسم الأشياء،

ونحن ننظر جميعاً إليها في سكون،

نحلم بها متشابكة بعضها البعض،

ومن ثم نغوص ونسبح في ملكوتها!

ذلك الملكوت الآخر العظيم!

الذي لا ندري به الشيء الكثير!

وكأننا نجوم كتلك الملايين من النجوم!

نسبح ونطير بينهم كالفراشات،

بألوانها الجميلة الرقيقة!

تلك الألوان الجذابة الأخّاذة!

التي تأخذ الأبصار إلى عالم جميل!

عالم مليء بالسحر والخيال!

عالم لا يعيشه إلا كل فنان!

ونرسم تلك النجوم ونتركها ترسمنا!

ونجعلها كالعقود الماسية الجميلة،

ونضعها على رقابنا،

ونتوه في أمواج جمالها!

بين الشهب الضالة هنا وهناك،

ونرى النجوم تنفجر أحياناً!

كالألعاب النارية الجميلة!

التي تنشر الشرر في الهواء!

وكأنها شجرة ثمارها بجميع الألوان!

إلا أنها تصنع وروداً بعد انفجارها،

ذات ألوان مبهجة،

لاسيما اللون الأحمر،

هكذا يحدث عندما ينتهي عمرها،

فتصبح وردة كالدهان!

ويكون الموقف صعب جداً،

يذكرنا بيوم عظيم جداً،

هو يوم الحساب الذي أخبرنا به الإله،

ومن ثم نأخذ بعض الورود،

ونضعها في زهرية كبيرة،

بين ثنايا عقولنا،

على متن سفينة الخيال،

ثم نتراقص بينهم كالفراشات الضالة!

كما أننا نذهب لنرقص مع القمر!

نمسك بيده نبتسم له نداعبه!

ثم نخلع عن رقابنا العقود!

تلك التي صنعناها من خلال النجوم،

ونلبسها للقمر الجميل!

ونجيء بتك الزهرية الجميلة،

نقدمها له هدية ونسلم عليه،

نتركه على ابتسامته الرقيقة،

نطوف إلى النجوم مرة أخرى،

نودعها كلها نجمة نجمة وماسة ماسة،

نجعلها تبتسم لنا،

ثم بدورنا نبتسم لها،

ومن ثم نقبل صفحة السماء!

قبلة دافئة مليئة بالحنان،

ومن ثم نروح في سبات عميق».

ابتسم له الناس جميعاً، حتى أنهم نسوا أن وراءهم أعمال كثيرة من أجل الحرب، بل قد نسوا أنهم يستعدون للحرب أصلاً؛ ذلك لأن ما قاله "إندو" أخذهم بين ربوع الخيال في عالم السماء الجميل، ذلك العالم الذي يحمل من الحقائق ما لا يتوقعه إنسان قط، بما يحمل من مجرات ونجوم وأجرام وشهب وكواكب، وما إلى ذلك من تلك المخلوقات العظيمة التي أبدعها الإله الخالق.

انفرد "أكيار" بأخيه "إندو" بعد انتهائه من النشيد، حيث أنه أراد أن

يعرف السبب الذي جعل "داهور" يذكر اسمه من أجله، فقال: «هيا أخبرني بما وعدتني به يا "إندو"».

فابتسم "إندو" قائلاً: «بماذا وعدتك يا أخي؟ فأنا لا أتذكر شيء».

كان "إندو" يعرف تماماً ما يسأله عنه أخيه، ولكنه أراد فقط أن يبدأ "أكيار" بالسؤال، هذا لأنه لم يعده بأنه سيخبره بشيء، لأن ما حدث بينهما كان سؤلاً من "أكيار" وأجاب "إندو" بأن الأمر يطول شرحه، ومر الأمر على ذلك وفقط، لذا قال "أكيار": «لماذا ذكر "داهور" اسمك دون أن تفعل شيء ذلك اليوم، فقد ذكر اسم والدنا لأنه تكلم وعارض ما قاله، أما أنت فماذا فعلت من قبل حتى يذكرك هكذا وكأنك ارتكبت جريمة عظمى في حقه وحق "جومار"؟!».

فابتسم "إندو" ثانية لكن ابتسامته هذه المرة شابها الحزن قائلاً: «لقد فهمت الآن ماذا تقصد، ولذا فإن الأمر كان من أجل لقاء عظيم بيني وبين "عاجاف"، أحد السنانير التي تعيش هنا في القبيلة، فقد تمتمت بعض الكلمات أمامه ولقد نقلت بالطبع إلى حوض "داهور"، لذا حدث ما سمعت».

«إذاً فإن الأمر حقاً أخطر مما كنت أتصور تجاه تلك السنانير! أراك تتذكر ما قلته لك سابقاً عن تلك السنانير المخيفة؟ إنها حقاً مخيفة جداً يا "إندو"، ولا بد أن ننتصر عليهم حق الانتصار، لأنه لو لم يحدث ذلك فإن الأمر سيكون أصعب مما يتخيله أي بشري».

«لقد ندمت حقاً عندما حدث ذلك يا "أكيار"، فإن أهل القبيلة في فزع عظيم لم أشاهدهم عليه منذ ولدت».

«إن الأمر بالفعل يحتاج إلى دراسة جيدة، ولكن متى يا أخي والوقت يمر مرور الكرام؟!».

«يا ليتني حقاً لم أفعل، فإن "داهور" لم يفعل ذلك إلا بسببي أنا، ولما سمع والدك يتحدث إلى الناس عرفه بطرقه السحرية وعلم أنني ولده بالطبع، لذا الأمر كان بسببي أنا، ولن أسامح نفسي لو حدث ضرر لهؤلاء الناس الكادحين، الذين لا ذنب لهم في شيء».

«لقد حدث ما حدث يا "إندو"، ولابد أن نفكر فيما سيكون كي نحقق الحرية لهؤلاء الناس ونجعلهم يتذوقوا ثمار العبودية للإله الواحد، وليس لهيب العبودية لأناس مثلهم أو أبشع منهم منظراً».

«إذاً فليوفقنا الإله إلى ما يحبه يا أخي».

كانت القبيلة وقتذاك في سكون تام تام، سكون لم تعشه من قبل حتى ولو دقيقة واحده، ذلك لأنها تنبض بعض النبضات الهادئة القليلة قبل أن تلتقي بجيش "داهور"، حيث أن جميع سكان القبيلة وضعوا أرواحهم على أكفهم، لأن اللقاء عسير على كل من هو مثلهم، هؤلاء الذين لم يشهدوا حروباً من قبل، وكأنهم أرادوا أن تكون تلك الأيام القلائل القادمة هادئة لهم؛ يعيشونها في سكينة كي لا يتركون الدنيا على أمور شديدة البأس عليهم، فقد أرادوا أن يعيشوا الخير حقاً لأنهم كلهم جميعاً وضعوا في أنفسهم أنها من الممكن أن تكون النهاية والخاتمة، النهاية التي تجعل الإنسان يضع كل أوزاره في سلام تام قبل أن يروح تاركاً الحياة الدنيا لمن هو غيره.

وقد بات بعض الناس تلك الليلة على لحن النشيد الذي أنشده "إندو بانديل"، يحلمون بالانتصار العظيم الذي يريدون أن يحققونه، كي لا يقعون في يد هؤلاء الطغاة، ولكن البعض الآخر ظل يعمل في صمت بعض الشيء لا يتكلمون حتى جن الليل عليهم، والشعل متأججة من حولهم كأنها النجوم التي في السماء، ولكن في ظل هذا العمل الشاق أرادوا أن يخففوا عن أنفسهم، فأنشدوا نشيداً باكياً جداً على حالتهم التي امتلأت بالأسى الشديد إذ إنهم أنشدوا قائلين:

«يا أيها الليل الجميل..

بك وبنجومك الصافية نتحلى،

نحن نودعك وداعاً صافياً،

من قلوبنا التألمة الحزينة،

و نشتاق إليك دائماً،

آملين رجوعك لنا بالخير،

والدموع تجرى على خدودنا،

كما لو أنها نهر عظيم!

تسبح فيه ألآم البشرية كلها!

نودعك بنبضات قلوبنا،

تلك النبضات التي تصرخ فينا،

كما لو أنها رعد وصواعق!

وبراكين وزلازل!

يا أيها الليل إننا حقاً نبكي..

على أحلامنا الضائعة،

بين رغبات الطواغيت،

الذين يقتلوننا كل يوم،

مئات المرات دون أن نراهم،

نحن خائفون حقاً مما سيأتي،

لقد صُعقنا بكلماته العظيمة،

التي جعلتنا نقدّم كل ما بأيدينا،

كي لا ينتصر علينا بسحره،

نحن نعمل والبكاء هو طعامنا وشرابنا!

وأنت أيها الليل صديقنا!

والنجوم التي في السماء ضياؤنا!

وتلك الشعل المتأججة..

هي النار التي تحرق قلوبنا!

أو أنها النار التي خرجت من لهيب بكاءنا!

فنحن الآن في سجن عظيم،

لا ندري إن كان لنا مخرجاً منه أم لا،

تصرخ أرواحنا من شدة الأمر،

يا لهؤلاء الظالمين من الإله!

يا لهم حقاً منه خالقنا وخالقهم!

فنحن نتوجه إليه بكل ما نملك،

راجين ومتوسلين رحمته!

ارحمنا حقاً يا إلهنا!

ارحمنا من هؤلاء السحرة الجبارين!

ارحمنا يا إله العالمين!

نرجوك ونتوسل إليك!

ونأمل فيك ونتعشم فيما بين يديك!

أنت القوي ونحن الضعفاء إليك!

أنت الغني ونحن الفقراء إليك!

ولا نرجو إلا رحمة مما لديك!

فأنت ترانا ولا نراك!

وتعلم ما في أنفسنا ولا نعلم ما في نفسك!

وأنت يا إلهنا علام الغيوب!

فلا تجعل بكاءنا ولا خوفنا..

ولا توسلنا ولا رجاءنا..

إلا يسراً بعد عسر يا إلهنا!

وسددنا برحمة منك إلى الخير!

فقد عظمت نكباتنا!

وكثرت مشاقتنا ونحن لا نقدر يا إلهنا!

على تلك الأمور المقدمة علينا.

لن نستطيع رؤية أطفالنا وهم يُقتلون!

بل لن نستطيع رؤية نساءنا هكذا!

فالأمر حقاً عظيم علينا!

ولا يرحمنا أحد غيرك!

فارحمنا يا إلهنا ارحمنا!!

فإن البكاء قد أجهد صدورنا!

والدموع قد أحرقت خدودنا!

فكن على أعدائنا يا ربنا!

ولا تكن علينا نحن الضعفاء!

الذين نؤمن بك جميعاً ونتوكل عليك».

كانت الدموع حقاً تتساقط من أعينهم كأنها الجمر، هذا لشدة حزنهم على حالهم الذي ازداد سوءاً بعد سوء، كلما تذكروا تلك الحرب القادمة لا محالة ورغم أنوفهم، وقتذاك كان "إندو" مستيقظاً فبكى على بكاء هؤلاء بكاءاً شديداً،

وكأن الناس حقاً تنتظر يوماً سيموتون فيه جميعاً، بل الأكثر من ذلك أنهم سيُأكلون ويُشربون كما الطعام والشراب، فاسودت الحياة جميعها في عينيه، وسأل نفسه بعض الأسئلة التي لا يحق له أن يسألها، فكان على شفا الحفرة التي تودي به إلى الشرك والإلحاد بالإله الواحد، إلا أنه تذكر الإله بعد ذلك؛ فقذف في قلبه نوره الذي أنار بصيرته، وتذكر حكمته في خلق الكون بين خير وشر، وتذكر إرادته التي كادت بسوء التفكير فيها توقعه في تلك الحفرة التي أوشك الوقوع فيه، تلك الإرادة الإلهية التي تنقسم إلى قسمين؛ إرادته الكونية التي تشمل كل ما خلق؛ من خير وشر، وحب وكراهية، وليل ونهار، وإنس وجن، وذكر وأنثى، وماء ويابس، ونجوم وكواكب، وأرض وسماء، وجنة ونار، وغير ذلك الكثير، خلافاً للقسم الثاني منها، ذلك القسم الذي يتعلق فقط بما يحبه الإله للخلق أجمعين، إذ هو يحب السلام للناس، ويحب لهم الخير، والمودة فيما بينهم، والإصلاح، وصلة الرحم، والعفو والمغفرة، وقبل كل ذلك أن يعبده الخلق حق عبادته، فلقد خلقهم وأعطاهم العلم والحكمة والمقدرة من أجل ذلك، كل هذا هو ما يريده للعباد، ولكن المقدرة الكونية تشتمل على هذا القسم، فلابد من وجود شر، وظلم، وفساد، وخلل، وحقد، وحسد، وعدوان، من أجل أن تتحقق الإرادة الكونية الكاملة الشاملة، فعلم "إندو" جيداً أنه كان قد أوشك على معارضة الإله في إرادته الكونية تلك، ولكنه رجع إليه مستغفراً إياه ليغفر له، حتى أنه قرر في ذاته أنه إذا التقى الجيشان لا يخرج من دائرة القتال إلا مقتولاً أو منتصراً.

وبزغ الصباح، وما أن ارتفعت الشمس عن مكان بزوغها مقدار رمح حتى

حدث ما لم يكن يتوقعه أحد، في بادئ الأمر كان واحد من الصبية الصغار يلعب، ولم يخشى الصعود فوق الجبل وحده؛ هذا لأن الناس جميعاً ينامون عند سفح الجبل، وكان منهم النائم والمستيقظ، وما أن صعد الصبي الجبل حتى رأى جيشاً عظيماً قد جاء من الناحية الشمالية، قد رآه عندما تسلق جبل "طابان" فظن أنه جيش العدو، لذلك صاح بأعلى صوته قائلاً: «لقد ظهر جيش العدو، حقاً إنه هناك أمام عيني، إنه جيش جرار لا يعد ولا يحصى، يا أهل "قُرّان" لقد ظهر جيش العدو، فقوموا من نومكم عسى يقتلونكم وأنتم حينئذ نائمون».

فقام كل من كان نائماً، وتسلق الجبل كل من كان مستيقظاً وانتشر الذعر فيما بينهم، وكأنهم قد حكم عليهم بالموت الآن لا محالة، وأصبح الناس جميعاً في هياج عظيم استعداداً لذلك الموقف العصيب، وصعد كل من صعد إلى الجبل وبقى من بقى لأجل تنظيم الناس، وكان "إندو" أحد من صعدوا إلى الجبل، وفي صحبته والده وأخوته والحكيم "صهيا"، ولكنهم وللوهلة الأولى فزعوا من العدد، ولكن عندما دققوا النظر رأوا أشخاصاً عاديين من البشر مثلهم تماماً، ولكنهم كانوا جنوداً على حق لارتدائهم ثياب الحرب المخيفة، وحملهم الأسلحة الأشد رعباً وخوفاً من أسلحتهم، إلا أن الحكيم "صهيا" لاحظ شعارهم على أعلامهم الخضراء، ذلك الشعار الذي يحمل سيفين متقابلين في وسطهم درع بني يحمل ثلاثة تيجان في وسطه باللون الذهبي، كما أنه مدبج بنفس اللون حول التيجان وعلى حواف الدرع، وقد كتب من فوقه "صنّاع السلاح"، ومن تحتهم كتب "قبيلة أدماث"، فابتسم الحكيم "صهيا" قائلاً: «هؤلاء هم قبيلة "أدماث"، من الممكن أن

يكون مجيئهم من أجل مد يد العون لنا، وبالفعل نحن نرحب بهذا كثيراً، فهم قوم لا يحبون "جومار" أبداً، بل يبغضونه أكثر مما تبغضونه أنتم».

إلا أن أحدهم لم يوافقه الظن فقال: «وماذا لو أنهم قد أصابهم الضرر من قبل ما فعلناه، وقد جاءوا الآن من أجل إلقاء الضرر بنا؟».

فأجابه "بانديل" قائلاً: «هؤلاء الناس أكبر مما تتحدث عنه، إنهم سعداء جداً لأنهم علموا أن بعض الناس مثلنا قد خرجوا عن طاعة هؤلاء الطواغيت، لذا فأنا أظن ما يظن الحكيم "صهيا"».

في الناحية الأخرى قد وقف الجيش بأمر من الأمير "آثال"، أمير قبيلة "أدمات"، ومن ثم دنى من جبل "طابان" هو واثنان من جنوده، قد أخذهم الطريق إلى هناك، عندما رآه "بانديل" ومن معه نزلوا عن الجبل ليلتقوا به، وما أن نزلوا حتى وصل ذلك الأمير، فألقى عليهم التحية فردوها جميعاً فقال: «أنتم يا أهل قبيلة "قُرّان"، قد لا يعرفني بعضكم ولكن الكثير يعرفون قبيلة "أدمات" كما يعرفون آباءهم، أما أنا فأمير قبيلة "أدمات" الأمير "آثال" بن الملك "ديماس"، جئت من أجل أن أرى ما أنتم عليه والذي حملني على فعل ذلك؛ هو الشيء الذي لم يستطع أحد فعله إلا أنتم، ذلك الموقف العظيم الذي اتخذتموه من قبل توحيد الإله الأعظم، الذي لا يؤمن به "جومار" و"داهور"، ولكننا حقاً نؤمن به مثلكم تماماً، ولذا لما علمت أنكم دون أمير تأتمرون بأمره أو جيش تدَّرعون به، جئت أنا وجيشي العظيم كي نساعدكم ونأخذ بأيديكم ضد "جومار" وجيوشه، ذلك الطاغية الذي لا يرى إلا نفسه في هذا الوجود».

فابتسم الحكيم "صهيا" قائلاً: «قد نكون بلا أمير أو حاكم يحكم قبيلتنا يا أمير "آثال"، ولكن هناك حكمة عظيمة اسمها العلم بالإله الأعظم، هي التي تحكمنا إذ اختلف البعض منا مع البعض الآخر عندما يصبح الاختلاف في قمة ذروته، هكذا هي قبيلتنا».

«أنا سعيد جداً بقولك هذا يا...، ولكن ما اسمك حتى أعرفك؟».

«أنا الحكيم "صهيا" المعلم الأول للقبيلة و...».

فابتسم الأمير "آثال" وقاطعه قائلاً: «عرفتك حقاً، فلقد سمعت عنك كثيراً من طلاب من قبيلتي قد درسوا على يدك الحكمة، وطلاب آخرون قد وفدوا علينا هم من قبائل أخرى، مثلاً أظن أنك تعرف "قبروني" ذلك الشاب العظيم الذي ضحى بنفسه من أجل الحكمة العظيمة التي تعلمها منك».

«"قبروني"! الذي أتي من قبيلة "بوشان" لطلب حكمة واحدة تنفعه في حياته؟!».

«نعم أيها الحكيم "صهيا"».

«ولكنه أخبرني أنه سوف يرجع إلى قبيلته عندما أعطيه تلك الحكمة والتي على إثرها يستطيع أن يعيش تلك الحياة المتعبة!».

«ولكنه لم يفعل، بل ارتحل إلى دويرام "قلعة التنين"، وقد مر علينا أثناء طريقه، فأمددناه بالطعام والشراب وبعضاً من الأسلحة لتعينه على الطريق، ولم نسمع عنه شيئاً بعد ذلك، وأنت بالفعل تعرف ماذا يحدث لمن يذهب إلى هناك».

«لقد أودى بنفسه في سبيل الإله الأعظم، فيا له من شاب عظيم لم أرى طوال حياتي من هو مثله، فلقد فعل فعلة حقاً لو مزجت بماء البحر لمزجته، من منا الآن يستطيع أن يفعل ذلك؟!».

ومن ثم اتجه إلى أهل قبيلته وهو في غاية الحماسة، وقد تناسى الأمير "آثال" قائلاً: «يا قوم "قُرّان" اسمعوا فإنه قد جاءني الخبر اليقين، اسمعوا فإن الأمر أصبح للإله فقط، اسمعوا جيداً كي تنالوا رضا الإله، إنه ذلك الشاب الذي جاء إلينا منذ بضع سنين، ذلك الشاب الذي عاش معنا ما يقارب الشهر، الذي أراد أن يتعلم حكمة واحدة من خلالها يعيش في هذه الدنيا في راحة، ذلك الشاب اليتيم "قبروني" الذي أتي من "بوشان"، تلك القبيلة التي هي نبع نهرنا الحبيب "قبرونيا"، فلقد اتجه الشاب بالحكمة التي هي توحيد الإله الرب إلى "قلعة التنين"، أتعرفون من أجل ماذا؟! من أجل أن يخبر بذلك "جومار" و"داهور" وأعوانهم، لقد أراد أن يرتاح في بادئ الأمر بحكمة طيبة عظيمة، فعلمته حكمة مقدسة حقيقة لا تبديل فيها ولا تعليق، فحملته إلى التضحية بنفسه من أجل الراحة، لما تعلمها ترك الراحة التي في الدنيا وأراد الراحة الأبدية التي عند الإله الأعظم في الحياة الأخرى، فتعلموا منه جميعاً يا قوم "قُرّان" تعلموا منه حق التضحية، لأنه ذهب بنفسه إلى الموت ولم يرغمه أحد على ذلك، إلا أن نفسه أحبت الإله وأحبت توحيده ففعلت ما فعلت، والأمر الآن أمامكم الموت هو الذي يقبل عليكم، ولكن قد يكون سلاماً لكم في الدنيا، فاغتنموا ما ابتلاكم به الإله وقاتلوا من أجله حتى تنالوا رضاه».

ومن ثم بكى بكاء شديداً على ذلك الشاب العظيم، الذي علا في نظره وأصبح عنده في مقام شهداء "كيران"، الذين ضحوا بأنفسهم حق التضحية من أجل الإله الواحد الذي لا ثاني له ولا شريك له في ملكه، وارتفع صوته في البكاء حتى بكى الناس جميعاً على إثر ذلك، كما أن الأمير "آثال" لم يستطيع أن يحبس دموعه التي فرت من عينيه تجري على خدوده كما تجرى مياه النهر، وأصبح الناس أكثر شجاعة وأكثر حماسة من ذي قبل.

«إذاً ماذا تقول في أمر جئتكم من أجله، ألا وهو الانضمام إليكم من أجل محاربة أعداءنا وأعداء الإله؟!».

فابتسم الحكيم "صهيا" بسمة طيبة مليئة بالسعادة والخير، هذا لأنه ظن أنه قد عرض عليه الانتصار وما عليه إلا القبول أو الرفض، فقال: «أنت تزيدنا قوة على قوتنا يا أمير "آثال"، ولكن الأمر ليس بيدي وحدي، فلا بد أن نتشاور في الأمر فهو ...».

إلا أن "बاندِيل" قاطعه قائلاً: «الأمر لا يحتاج مشورة يا "صهيا"، فلقد قبلنا هذا الأمر منك يا أمير "آثال"، لأننا حقاً نحتاج إلى أناس يعرفون جيداً فنون القتال».

«إذاً فليكن الأمر كذلك، ولكن من أنت؟!».

«أنا "باندِيل" رجل مزارع كأي مزارع في القبيلة، وأنا حقا سعيد جداً بهذا الانضمام الذي لم يتوقعه أحد منا؛ نحن قبيلة "قُرّان"!».

فابتسم الأمير "آثال" ابتسامة تعجب، ثم نزل عن جواده الذي لم يكن

نزل عنه من قبل، وتقدم إلى "بانديل" قائلاً: «ولكنك أكبر من ذلك بكثير يا رجل، بل أنت أكبر من أي شيء أعرفه، فإنه من يذكره "داهور" ويجلب عليه المصائب وعلى كل قبيلته، فلابد أن يكون رجلاً شجاعاً مقداماً لا يماثله أحد في هذا الزمان».

لم يكن "بانديل" يحب من يمدحه أبداً، لذلك قال: «اعذرني سيدي الأمير، فأنا لا أحب المديح أحد لأني لست أهلاً لذلك، وأنا حقاً سعيد جداً بقدومك، ونرتجي من الإله أن تكون عوناً لنا حقاً في هذه الحرب الشديدة التي لا نعلم ملمحاً لها».

ثم إنهم تعاهدوا على نصرة الإله الأعظم، وبعث الأمير "آثال" إلى الجيش حتى يتقدم إلى حيث يكون، وأصبح العمل بعد ذلك أسهل بكثير مما كان عليه، إذ أن هؤلاء الناس يعرفون فن الحرب أكثر من قبيلة "قُرّان"، وكانت القبيلة قد دخلت في أمور حربية لم تعرف بها من قبل، فأصبحوا في أوقات شديدة الأهمية في تاريخهم بأكمله، ذلك لأنهم دون القبائل الأخرى حدّثوا "داهور" بما لا يستطع أحد آخر قوله.

وبدأ الأمير "آثال" في تشبيع المكان بخططه المحكمة، وكان يتتبعه "إندو" من أماكن مختلفة دون أن يقترب منه، وكأنه يتلصص عليه دون أن يراه الآخر، إلا أن الأمير رآه وهو يختبأ هنا وهناك أثناء عمله، فكان لازال عمر "إندو" خمسة عشر عاماً إلا قليلاً، وكان الأمير "آثال" بالنسبة له رجل له من الثقل ما ليس لغيره، وهو بالنسبة له طفل صغير لازال يضع إصبعه في فمه،

فابتسم الأمير أثناء عمله ثم إنه لما رأى "إندو" قد اقترب منه؛ أمسك به من منتهى رأسه بيد شديدة بعض الشيء قائلاً: «ماذا تفعل أيها الطفل؟ لماذا تتلصص علي كما اللصوص بفريستها؟!».

لم يكن "إندو" خائفاً من ذلك، حيث تعود على المواقف الصعبة ونسي الخوف إلا من الإله الأعظم، الذي هو الحقيقة الوحيدة التي لابد أن يصدقها العالم بأسره، هكذا اعتقد "إندو" دائماً في كل وقت، ومن ثم أجاب الأمير "آثال" قائلاً: «لست لصاً يا سيدي ولكني فقط أتعلم ما تفعله، فإن هذا كله قد وجدته من قبل، فقلت لنفسي لابد أن أتتبعك حتى أرى ماذا ستكون نهاية عملك، كي أعرف إن كانت النهاية هي ما أعرفها أم لا».

«نهاية ماذا؟!».

«نهاية تلك الخطط التي تضعها، تلك الخطط التي يضعها قائد الجيش عندما لا يكون ملماً بقوة جيش العدو، أو كم عدده».

«وكيف عرفت ذلك وأنت مازلت في هذه السن الصغيرة؟!».

«لست صغيراً كما تظن سيدي الأمير "آثال"، فعندي الكثير مما لا يعرفه الكبار من العلم والمعرفة».

«وما الذي لديك كي تعرف كل تلك الأشياء، وقبيلتك لم تقع في حرب من قبل؟! وما هي تلك المعرفة التي تكتسبها؟!».

«لقد درست كتاب "مئة قائد محترف في فنون القتال"، أراك تعرفه سيدي الأمير، فهو للحكيم العظيم والمؤرخ المعروف "غوران"، ذلك المؤرخ الذي

كتب عن التنين العظيم كتابه المعروف، ولقد أعجبني في هذا الكتاب القائد العظيم "قُراقر" الذي قاد جيش "كرزين"، ضد مدينة "كُساب"».

فابتسم الأمير "آثال" سائلاً: «ما اسمك أيها الفتي؟ وابن من في هذه القبيلة، تكلم فإنك لست صغيراً حقاً!».

فأشار "إندو" بيده ناحية أبيه قائلاً: «أنا ابن ذلك الرجل الواقف هناك، واسمي "إندو"، "إندو بانديل"».

فابتسم الرجل مرة أخرى قائلاً: «رجل حكيم وابن رجل حكيم، أو أنت السبب الثاني لجلب هذه الحرب؟! أو أنت "الفيلسوف الصغير" كما أخبر "داهور"؟!».

«نعم يا سيدي، أنا هو».

«ولكن هل تعرف حقاً فنون القتال كما تقول؟!».

«سيدي الأمير، إنني لست جيداً في فنون القتال كما أنا في حب الحكمة والسلام!».

«ولكن تستطيع أن تحارب، أليس كذلك؟».

«هو كذلك مولاي الأمير، ولكن ...».

فقاطعه الأمير قائلاً: «لا تقل لكن، فأنا أريد أن أرى إن كنت كذلك حقاً أم لا».

«ولكن كيف يا مولاي ولست أملك سيفاً».

وقتذاك سمع "بانديل" آخر ما دار بينهما، ففرح في نفسه واقترب من ولده وأخرج سيفاً عظيماً من غمد نقشت عليه بعض الرسوم الغريبة التي لم يراها "إندو" من قبل، تلك الرسوم التي أبرزت ميزان عظيم على صليب يد السيف، والذي كتب على نصله بعض الكلمات الغريبة التي لم يفهمها، وكله تحلى بالنحاس والذهب واللازورد، حينها أمسك "إندو" السيف الذي تعجب له الأمير "آثال" أكثر منه هو نفسه، ذلك القائد العظيم الذي يحكم أكبر قبيلة عرفت بصنع الأسلحة، فظلا ينظران بعض الوقت على ذلك السيف الجميل، إلا أن الأمير "آثال" قد أخرج سيفه هو الآخر والذي لا يقل جمالاً عن ذلك السيف، ولكن الفرق بين هذا وذاك أن ما كان بيد "إندو" كان معمراً منذ مئات السنين بل آلاف السنين، فهو سيف له تاريخه الذي لا يعرف عنه أحد في هذا الوقت إلا "بانديل"، وهو لا يعرف إلا القليل القليل جداً، ولكن كان معروفاً لدى بعض الناس في جميع النواحي، واجتمع الناس من حولهم ليروا ما الذي سيحدث بينهما، وقبل التقاء السيفان عرض الأمير "آثال" عرضاً عظيماً بسيفه، الذي أصبح انسيابياً في الهواء بمجرد أن أطلق له الأمير سراحه، ولما انتهى اقترب من "إندو" طالباً منه الابتداء، فتقابل السيفان في الهواء ليخرجا شرارة شديدة من أول لمسة من كليهما، تعجب لها الجميع لاسيما الأمير "آثال" الذي لم يرى هذا أبداً من قبل بهذه الدرجة العظيمة، أما "إندو" فقد نظر إلى السيف نظرة دهشة جعلته يبتسم ابتسامة جميلة، وأكمل المنازلة في إقبال رائع عليها من كليهما؛ الأمير "آثال" و"الفيلسوف الصغير" "إندو بانديل"، أصبح الصليل شديداً أكثر من ذي

قبل وقد برع "إندو" في ردع بعض الضربات الشديدة التي ابتدر بها الأمير "آثال"، ولكنه لم يرد أن يكون درعاً يتصدى لكل ضربة آخذة في طريقها إليه، فقد أراد أن يكون رأس الحربة التي تبحث دائماً على هدفها في جسد العدو، لذا هاجم ببعض الضربات القوية نحو الأمير "آثال"؛ حتى جعله بخمس ضربات فقط يرجع أكثر من عشر خطوات إلى الخلف، ورجع هو إلى مكانه منتظراً قدوم الأمير، فابتسم له الأمير ابتسامة إعجاب قائلاً: «إنك قوي حقاً يا "إندو"! ولكن قوتك هذه تحتاج إلى بعض البراعة».

فابتسم له "إندو" أثناء تشجيع الناس له قائلاً: «ولكن البراعة لها وقتها سيدي الأمير».

«إذاً فلترني براعتك يا رجل».

كانت المسافة بينهما أكثر من خمسة عشر ذراعاً، وقتها شق "إندو" الهواء بسيفه ببعض الحركات الانسيابية الجميلة، التي لفتت الأنظار من حوله، ثم إنه ترك قدماه تتواثبان به إلى أعلى في الهواء ليعرض بالسيف عرضاً أجمل وأروع مما قدمه الأمير "آثال" من قبل، وليثبت في آخر الأمر أمام قدم الأمير بطريقة أكثر روعة، حيث قذفته قدماه إلى الهواء طائراً كما لو أنه فراشة لينزل بالسيف متغمداً بطن الأرض من أمام الأخر، حينها أغمد الأمير "آثال" سيفه انبهاراً بما فعله "إندو"، وصفق لينشد على أكف الناس نشيداً عظيماً بالتصفيق

لذلك الفتى الذي لم يرى مثله من قبل، وكان "بانديل" أكثر دهشة من أي أحد آخر بولده الحبيب "إندو"، ذلك الولد الذي لم يتوقع أحد أنه سيفعل هذا الذي لم يفعله أمير قبيلة "أدماث"، صناع السلاح والبارعين في استعماله، حتى أنه بعد ذلك أصبح مقرباً من الأمير"آثال" أكثر من أي أحد آخر، يستشيره في أشياء كثيرة حول ما سيفعلونه أمام جنود "داهور" العظيم.

الفصل العاشر

الحارس العظيم

لم يكن "إندو" متأكداً مما حدث له مع السيف، إذ هو في قرارة نفسه لا يستطيع أن يفعل ما فعله أبداً، ولا أن يفعل حركة واحدة فقط مما فعل، بل ظن أن الأمر كان به شيء من السحر، فقد أحس أن السيف هو الذي أقام العرض به ولم يكن هو من أقام العرض بالسيف، لذلك انفرد بأبيه في مكان بعيد عن الآذان، كي لا يسمع أي شخص ما يدور بينهما، ثم سأله قائلاً: «فقط أريد أن أعرف ما هذا السيف؟! من كان صاحبه؟! وما هذه النقوش التي عليه؟! وما هذه الكلمات التي لا أفهمها تلك المكتوبة على نصله؟!».

فأجابه "بانديل" قائلاً: «ولكن الإجابة تحتاج إلى وقت طويل يا "إندو"، وفي هذا الوقت العصيب لن أستطيع أن أقول لك قصته».

«ولكن أريد أن أعرفه الآن يا أبي، كي لا تتثاقل الأسئلة على عقلي أكثر مما أنا فيه الآن، أرجوك قل لي ما قصته، أرجوك يا أبي فقد حدثت أمور غريبة لم أكن أتوقعها أنا شخصياً، فضلاً عن الجميع لأنني أنا الذي أمسكت السيف، وكنت أعرف تماماً أنه لو سيف عادي غير هذا؛ لما كنت فعلت حركة واحدة مما فعلت، إنني أظن أنه له ارتباط بالسحر!».

فجلس "بانديل" إلى صخرة وطلب من ولده أن يجلس بجواره، ثم تنفس

الصعداء قبل أن يقول: «إنها قصة عظيمة جداً يا ولدي، بدأت بمشوار الحاكم الأول في البحث عن كيفية صنع السلاح الذي من خلاله يستطيع أن يقتل "التنين العظيم"، وحينما قتله وجد هذا السيف قد شق بطن التنين وخرج مضيئاً كأشعة الشمس الذهبية البراقة، فتعجب الناس جميعاً لذلك الأمر الخرافي، وإلى الآن لا أحد يعرف من الذي صنعه، وكيف خرج من بطن التنين بهذه الصورة العجيبة، حتى أن الحاكم الأول نفسه لم يعرف ذلك، فقد بحث كثيراً في الأمر ولكن دون فائدة تذكر، حيث لا يدري كيف خرج من بطنه ولا كيف كان، فضوئه كان شديد جداً مما جعل الناس تضع أيديهم على أعينهم خوفاً من أن تُخطف أبصارهم، ولكنه أخذه معه وأصبح من أشهر السيوف في التاريخ بعد ذلك، فلقد فك بعض الحكماء اللغة الغريبة التي نقشت بعض كلماتها على نصله، تلك التي تسأل عنها، وقد قال لي جدك أن تلك الكلمات تعني "الحارس العظيم"، تلك الجملة التي لم يتوصل أحد إلى غيرها منذ أن عرف».

«وكيف أصبح أشهر سيف بعد ذلك ولم يكن هناك من أحد يعرف قصته؟! وكيف وصل إليك؟!».

«أما عن كيفية وصوله إلي فالإجابة يسيرة بعض الشيء، حيث أن جدك قد وجده أثناء أسفاره يباع في أحد الأسواق، دون معرفة من أحد بأنه هو "السيف العظيم" الذي كان للحاكم الأول، وقد كان هذا بعد "محرقة النهاية" التي حرق فيها "رولينجلاس"، فقد أراد أن يبعد السيف عن يد "جومار" فرماه في مكان وضيع لا يستطيع "جومار" الوصول إليه، وذلك لقمة وضاعته وفقره، ولم تكن

هناك الكثير من الحروب آنذاك فلذا لم يشتهر السيف عند "رولينجلاس"، وهذا كان أمر جميل أحبه ذلك القائد العظيم الذي عاش أياماً شديدة الذل على يد ذلك الطاغية "جومار"، وذلك كي لا يرى "جومار" أن السيف لديه قوة خارقة ليست في أي سيف آخر، فيضمه إليه ويصبح قوة من كثير من قواه، وقد وجده أحد الفقراء في ذلك المكان الذي رماه فيه "رولينجلاس"، فداوله في أسواق الحدادين يباع ويشترى، حتى رآه جدك وكان يعرف الكثير من اللغات، وكان أيضاً رحالة ويملك من المال ما يجعله يشترى الأشياء الثرية الثمينة، وقد عرف حقاً اللغة التي نقشت على نصل السيف، فقد تداولت بين الناس بعض الشيء، والناس يقولون أن من فكها وعرف طلاسمها هو "الفيلسوف المقدس"».

«ولكن ماذا يعني "الحارس العظيم"؟!».

«قلت لك أن تلك هي الجملة التي لم يتوصل أحد إلى غيرها منذ أن عرف السيف فلا أحد يعلم، فكل ما عرفناه أن التنين كان حارس للسيف، ولكن تلك الطلاسم تقول أن السيف حارس لشيء آخر، لا أحد يعلمه حتى أن "الفيلسوف المقدس" نفسه بحث في هذا كثيراً، ولكنه لم يتوصل إلى أي شيء، وتوارث السيف على مدار القرون من حاكم إلى آخر حتى حدث ما حدث من "رولينجلاس"، ووصل السيف إليك الآن يا ولدي آمالاً حقاً بأن تجد حقيقته الضائعة عن الناس، أريدك أن تفعل كل ما تستطيع فعله كي تنجو من يد "داهور" و"جومار"؛ كي تبحث عن حقائق سوف تساعدك بمشيئة الإله بعد ذلك على معرفة الحكم العظيمة يا ولدي، ولاسيما تلك "الحكم المقدسة"، التي حرقها الطاغية والتي

كتبها "الفيلسوف المقدس».

«وليكن الأمر كما يريده الإله يا أبي، ولكن كل ما أريد أن أعرفه الآن، هو كيفية تحكم السيف في بعض الحركات التي يفعلها حامل السيف، فإن هذا شيء لا أظنه إلا سحرا».

«إنه قوة خارقة يتمتع بها هذا السيف فقط دون السيوف الأخرى، وهذا هو الشيء الذي جعل الناس تتعجب من السيف أكثر حتى من تعجبها من كيفية خروجه من بطن التنين».

«وهل تعرف تلك القدرة التي يتمتع بها يا أبي؟، هل جربته من قبل؟».

فابتسم أبيه قائلاً: «لقد رأيت منه الكثير يا "إندو"، في الحقيقة رأيت منه أشياء لم يكن يتوقعها مخلوق أبداً، أشياء أضحكتني كثيراً وأشياء أخرى أبكتني أكثر!».

«وكيف كان هذا يا أبي؟».

«لقد كان الأمر بالنسبة لي كما ظننت بالضبط، فاعتقدت أنه حقاً قد قرأ عليه بعض التعويذات السحرية التي تجعله يفعل ذلك، ولكن جدك اختبره في هذا وكان يعلم بعض الأشياء عن السحر، حيث أنه لم يكن يستخدمه على الإطلاق، ولكنه بعد أن استخدمه لم يجد به شيء من تلك التعويذات السحرية التي اعتقدتها، ولما سألته عن كيفية الأشياء التي يفعلها؛ قال: إن هذا من المكن أن يكون شيء روحانياً اكتسبه السيف من صاحبه الذي صنعه».

«الأمر جد صعب! ولكن ماذا كان يفعل معك؟».

«في بادئ الأمر لم يكن جدك يريد أن يعطيني إياه، ولكني صممت على أن أأخذه، وبالفعل أخذته في آخر الأمر، إلا أن جدك حذرني منه كثيراً وأخبرني أنه ليس كأي سيف، وبالطبع أمرني ألا أخرجه عن السرداب قيد أنملة، ولما أخذته حدث حادث غريب جداً؛ وقفت في منتهى السرداب بعيداً عن المكتبة، ورفعت السيف إلى أعلى قليلاً وحاولت أن أجيئه يمنة ويسرة؛ ولكن السيف أضاء ضياءاً لن أنساه طوال حياتي، فقد أخرج ضوءاً فضياً براق، جعلني أتركه من يدي في نفس الوقت، ولكنه وقف على مقدمته متغمداً الأرض في منظر عجيب لم أراه من قبل».

فابتسم "بانديل" دون أن يكمل، ولكن "إندو" بادر بطلب تكملة ما قاله أبيه، فابتسم "بانديل" أكثر قائلاً: «كانت النهاية هي أنني فقدت الوعي وذلك كان أقل شيء توقعته أن يحدث لي بسبب ما رأيته!».

فابتسم "إندو" هو الآخر قائلاً: «إنها أمور غريبة حقاً يا أبي!».

وساد الصمت بينهما لحظات، إلا أن "إندو" قطع ذاك الصمت بسؤال وجهه لأبيه قائلاً: «هل هناك مؤلفات للحكماء حول هذا السيف، كأن يكون قد كتب فيه قصيدة أو كتاب أو ما شابه ذلك؟».

«نعم هناك الكثير، ولكني لا أتذكر غير قصيدة واحدة فقط، وهي للحكيم "غوران" في كتابه "التنين العظيم"، ذلك الكتاب الذي وقع في يدي مرة قبل أن يموت جدك، ولكنه ذهب لا أدري إلى أين».

«حقاً يا أبي كنت بالفعل أريد أن أقرأ هذا الكتاب، فلما أن سمعت عنه

وعرفت أن من ألفه هو الحكيم "غوران" علمت أنه سيكون جميلاً حقاً، وذلك لأن أسلوبه أجمل بكثير من أي أسلوب وجدته لكاتب آخر!».

«إنه بالفعل هكذا يا "إندو"، ذلك الرجل الذي يعد أحسن حكيم سمعت عنه بعد "الفيلسوف المقدس". فقد كتب قصيدة عن السيف، وقد وصفه وصفاً دقيقاً وقت أن خرج من بطن التنين، يا ليتك حقاً قرأت هذا الكتاب يا "إندو"!».

«ولكن أين أجده يا أبي؟! فأنت تخبرني أنه قد ذهب منك، والحكيم "صهيا" أخبرني أنه قد استعاره منك ولم يكن يملك نسخة منه، فأين سأجده إذاً؟!».

«أما القصيدة فسوف أخبرك بها حالاً، ولكن بالنسبة للكتاب فأنا أتمنى لك أسفاراً جيدة للبحث عن كتب السالفين التي لا أملكها والتي ستأخذك إلى السلام، وأتمنى من الإله أن يحفظك في تلك الحرب العظيمة يا ولدي».

«كما أنني أتمنى ذلك لك ولأخوتي وللقبيلة ولجميع من يحاربون للخير يا أبي، والآن ماذا تقول القصيدة؟».

«إنها لا تحتوي على الكثير من الأشياء الروحانية التي تتعلق بالسيف، فلقد أخبرتك بكل شيء أعرفه، ولكن لا أدري إن كان هذا سيظهر لك أشياء أخرى أم لا؟! ولكني لا أظن ذلك، لأن "الفيلسوف المقدس" ذاته لم يعرف عنه شيء، مع أنه أمسكه كثيراً ووضعه في اختبارات أعدها بنفسه، ولكن لم يكن يحدث شيئاً جديداً في الأمر، وهو بمنزلته ومعاصرته للأمور الجلية بالنسبة للسيف فضلاً عن الحكيم "غوران" لم يأتي بجديد، فكيف للحكيم "غوران" أن يأتي بجديد وهو

حتى لم يمسك بالسيف؟! إلا أنني في نهاية الأمر سأتلو عليك القصيدة ولك أن تبحث فيها كما يحلو لك..

يقول الحكيم غوران:

«الضوء الذهبي الذي أخاف الناس؛

قد خرج من باطن التنين العظيم،

عندما قتله الحاكم الأول،

فأغلق الناس عيونهم جميعاً،

خوفاً من أن تُخطف أبصارهم،

ولاسيما ذلك الحاكم الأول،

الذي كان قريباً من التنين،

قد وضع يداه كاملتان أمام عينيه،

حتى يحجب بهما الضوء الشديد،

الذي انصهر من باطن التنين،

كما النجوم التي تنفجر في السماء!

ولما أن اختفى الضوء الذهبي،

ظهر ذلك الشيء الخرافي،

إنه الحارس العظيم!

السيف الذي أبرق بريقاً لطيفاً،

بعد الضوء الذهبي مباشرة،

ومن ثم اختفى التنين،

وكأن شيئاً لم يكن،

إلا أنه خلّف من وراءه ذلك الشيء،

الشيء الذي لم يُعرف كنهه،

ذلك السيف الجميل!

الذي تعجب له الناس جميعاً!

واقترب منه الحاكم الأول في حظر ،

وأمسك به ليجده عجيباً حقاً،

خفيف الحمل ناعم الملمس!

يحمل بعض الصور الغريبة!

البعض منها نقش على يده،

والبعض الآخر نقش على غمده،

فأما الذي نقش علي صليب يده،

فميزان عظيم دقيق لا مثيل له!

على كلا جانبيه نقشت نقطة فضية،

لتبين مدى دقة ذلك الميزان!

وكأنه يزن حبات الخردل!

أو أنه يزن الذرّة والذرّتين!

قد نقش بالذهب الأحمر،

من فوقه عين خضراء،

كورق شجرة الليمون،

تحث على النماء والخير والبركة،

والمراقبة المستمرة على وجود تلك الأشياء،

من فوقها رجل يرتدي بردة بيضاء كالفضة،

مطموس الوجه دون عيب،

إلا أن من نقشه أراده كذلك،

وقد علت رأسه قلنسوة ذهبية،

ذلك الرجل يضع يديه أمامه،

ممسكاً بسيف عظيم قد انتصب إلى الأرض،

كأنه هو الذي أصفه،

لكنه صغير جداً كعقلتي إصبع،

ذاك الرجل نقش بمنحنى داخلي من كلى الجانبين،

وبرزت كلتا يديه من المرافق،

ليرسم أجمل قبضة ليد سيف،

ومن فوق رأسه برز الجانبان،

ثم دخلا بانحناءتين،

لتظهر فقرة صغيرة قد نقش فيها هلال من فضة ،

وما حوله حلى بالذهب،

ثم تتوج السيف بتاج عجيب من أعلاه ،

فقد خرج ببروز دائري من كلى الجانبين،

ليبرز رأساً للسيف كرأس ملك عظيم،

فينتهي بزاوية بها بعض الاستدارة ،

كأنها رأس الأفعة الضارية!

نقش من طرفيه الجانبيين قوسان،

كأنهم أذني رجل!

بينهم بدر عظيم مضيء بالفضة الخالصة ،

ومن حوله نقشت بعض النجوم الذهبية ،

كأنها الثرية الجميلة التي في السماء!

كل ذلك يدعو إلى أشياء غريبة!

لم يعلم أحد حل تلك الألغاز!

المنقوشة على يد هذا السيف العظيم،

ولكن جملة واحدة كانت هي البداية ،

قد نقشت على نصله العظيم،

الذي صنع من الفولاذ،

تلك هي: الحارس العظيم!

نصله يصل إلى ذراع وثلث الذراع،

تشكل باللون الأسود من كلا جانبيه،

وباللون الأبيض الفضي من أوسطه،

وقد نقش عليه باللون الذهبي،

تلك الجملة العظيمة،

التي لا يعرف كنهها أي أحد،

إنها: الحارس العظيم!

ذلك خلافاً لما نقش على غمده،

تلك النقوش الغير عادية،

التي هي خليط بين كثير من الأشياء،

من النجوم والشهب والزروع!

وأشياء أخرى من الأرض والسماء!

وكأنه الحياة التي نحن فيها!

يضم الكثير من الأشياء المعهودة،

هكذا هو السيف بأكمله!

هكذا كما رأيته تماماً!

ولكنني لم أرى التنين،

إلا أن الأحداث تواترت إلى سمعي،

من ثقات يشهد الناس لهم جميعاً بالعلم والصلاح،

أما السيف فقد رأيته بأم عيني،

لذا وصفته بدقة كما رأيته،

غير أني قد رأيت غرائبه!

فهو عند دخول الليل يضيء كالمصباح!

وفي النهار يلمع ويبرق كأنه نجم في السماء!

وفي السكون ينبض كقلب إنسان!

أحياناً هذا يحدث..

وأحياناً أخرى لا يحدث!

ذلك يختلف بين من يحملونه!

فكأن له إحساس بمن يحمله،

يتعايش معه كأنه إنسان مثله!

لا أكذب عليكم إن قلت أنني أتمنى أن أمسّه!

فضلاً عن أن أحمله!

فضلاً في القرب من الحقيقة عن أن أمتلكه!

ولكن هنيئاً لكل من يصاحبه،

ذلك الحارس العظيم،

الذي من الممكن أن يكون حارس لصاحبه،

أو أنه حارس على كنز عظيم،

أو أنه حارس لأشياء روحانية،

لا يعلم أحد بها شيئاً..

غير الإله الأعظم،

الذي يعلم ما تخفي الصدور،

ذلك لأنه الخالق العالم بكل شيء،

ولكن كل ما أراه في هذا السيف،

أنه مصدر من المصادر التي تساعد على الخير،

لأنه قد شق الصخر نصفين أمام عيني،

لقوته الكامنة في روحانيته،

ولم يقتل إنساناً ظلماً وعدواناً،

مع أن حامله أراد به القتل،

وكأنه هو من يحارب،

ليس من يحمله،

يحارب الظلم وينتصر للخير،

إنه جملة روحانية!

تتمثل في العدالة!

العدالة الإلهية!

الذي هو بين لا وإلا هو؛

تلك الوحدانية التي للإله الأعظم،

لا إله إلا هو!

تلك هي الجملة العظيمة،

التي يحققها السيف،

ذلك السيف .. الحارس العظيم».

فلما سمع "إندو" القصيدة كاملة من والده؛ صمت بعضاً من الوقت ليفكر فيما سمعه كيفما يشاء ثم قال:

«أما السيف فقد رأيته بأم عيني،

لذا وصفته بدقة كما رأيته،

غير أني قد رأيت غرائبه!

فهو عند دخول الليل يضيء كالمصباح!

وفي النهار يلمع ويبرق كأنه نجم في السماء!

وفي السكون ينبض كقلب إنسان!

أحياناً هذا يحدث..

وأحياناً أخرى لا يحدث!

ذلك يختلف بين من يحملونه!

فكأن له إحساس بمن يحمله،

يتعايش معه كأنه إنسان مثله!

لا أكذب عليكم أنني أتمنى أن أمسّه!

فضلاً عن أن أحمله!

فضلاً في القرب من الحقيقة عن أن أمتلكه!

ولكن هنيئاً لكل من يصاحبه،

ذلك الحارس العظيم».

ثم صمت مرة أخرى أكثر قليلاً من ذي قبل ومن ثم قال: «لقد أبدع الحكيم "غوران" فيما ذكرته هذا».

فنظر "بانديل" إليه في ابتسامة عريضة قائلاً: «وما الذي أعجبك في هذه القطعة؟!».

«تلك الغرائب التي رآها، فلقد حدثت معك ومعي، والأغرب من ذلك أنها لا تحدث إلا مع أشخاص معينين، وصفهم الحكيم "غوران" بالاختلاف بين أناس آخرين، يحس بهم السيف فيفعل ذلك، فيتعايش السيف مع من يحمله؛ إذا كان من هؤلاء الذين يحس بهم، وكأنه إنسان مثلهم، لذلك تمنى الحكيم أن يمسه فقط لأنه يعلم أنه من الصعب أن يحمله ومن المستحيل أن يمتلكه، فهذا في حد ذاته شيء جديد علمته عن السيف».

«ولكن هناك شيء أخير لم تتحدث عنه».

«وما هو؟».

«آخر ما ذكرت من كلامه ..

«ولكن هنيئاً لكل من يصاحبه،

ذلك الحارس العظيم».

وأنت الآن الحامل للسيف، وليس هذا فحسب بل أنت صاحبه».

فابتسم "إندو" لما قاله والده، ودعا أن يكون ممن قصدهم الحكيم "غوران" في قصيدته، كي يتعايش السيف معه كما لو كان إنسان حقيقي، وهذا بالفعل ما كان قد حدث معه، عندما أخرج السيف شرراً شديداً مع مقابلته بسيف الأمير "آثال"، وليس هذا فحسب بل أحس أن السيف هو الذي يبارز من دونه، ولكنه أراد أن يكون السيف أكثر ثباتاً معه، وأكثر إحساساً به، فلذا دعا الإله كي يصبح السيف أقرب له بكثير مما رآه منه سابقاً، ثم قال: «وهناك في القصيدة أجمل بكثير مما ذكرنا يا أبي، تلك النهاية العظيمة التي ختم بها القصيدة، ذلك الحكيم الذي أبدع حقاً فيما قال حيث يقول:

«ولكن كل ما أراه في هذا السيف،

أنه مصدر من المصادر التي تساعد على الخير،

لأنه قد شق الصخر نصفين أمام عيني،

لقوته الكامنة في روحانيته،

ولم يقتل إنساناً ظلماً وعدواناً ،

مع أن حامله أراد به القتل،

وكأنه هو من يحارب،

ليس من يحمله،

يحارب الظلم وينتصر للخير،

إنه جملة روحانية!

تتمثل في العدالة!

العدالة الإلهية!

الذي هو بين لا وإلا هو،

تلك الوحدانية التي للإله الأعظم،

لا إله إلا هو!

تلك هي الجملة العظيمة،

التي يحققها السيف،

ذلك السيف .. الحارس العظيم».

ومن ثم أخذته الحماسة بامتلاكه لهذا السيف، لذا تسلل نحو السرداب العظيم الذي يمتلكه والده دون أن يراه أحد، وذلك بعدما تركه والده وذهب من أجل العمل، أول ما فعل أمسك كتابه الخاص بقصة حياته، والذي أنشأه له والده من قبل، والذي قد سطر عليه اسمه في الخارج، ففتحه وكتب كل ما حدث له آنذاك.

الفصل الحادي عشر

كلمة من أجل الإله

اجتمع الناس كافة ليسمعوا التعاليم النهائية من الأمير "آثال"، ذلك الأمير الذي قادهم جميعاً، جيشه والجيش الذي انضم إليه، جيش قبيلة "قُرّان"، الذي تكون من الشيوخ المزارعين والشبان والفتيان الصغار، فخطب فيهم خطبة عظيمة جعلتهم يعرفون جيداً ما عليهم فعله أثناء تلك الحرب، وقسّم الجيشان إلى أقسام، ووضع كل قسم في مكانه الصحيح، فقد جعل فريق النبال في أسفل قمة الجبل بقليل، وعند سفح الجبل على جانبيه فريق السيوف والرماح، وأعلى فريق النبال بقليل فريق الحجارة الذين تعينوا على بعض الصخور الدائرية التي يرمونها من الجبل على جيش العدو، حيث أنه قال فيهم:

«أيها الجنود من بني البشر..

إني لنكم وإنكم لني،

ما يصيبكم هو ما يصيبني،

سواء كنتم من قُرّان أم من أدمات،

فإنكم جميعاً من دمي،

ذلك الدم النقي الذي لا يحب الشر،

ذلك الدم الذي نقاه الإله الأعظم،

فقط أريدكم أن تخوضوا فيما وقع عليكم،

تخوضوا خوض الأسود العظام،

لا رهبة من مخلوق لمخلوق آخر،

لا نخاف غير الإله الأعظم،

فخوضوا معركتكم،

وانتصروا بإذن الإله،

على كل من تعدى عليكم،

بل على كل من تعدى على ما لا يحق له،

فلقد جهزتكم بكل الأسلحة التي تحت يدي،

ولكني أريدكم أن تتجهزوا بالروحانية الإلهية،

أرجوكم جميعاً أن تقاتلوا من أجل الإله،

أرجوكم أن تقاتلوا من أجل الحياة للخير،

لأن الهزيمة لنا جميعاً ضياع عظيم للخير،

بين هؤلاء الوحوش العظيمة،

الذين لا يعرفون غير الدماء واللحوم!

لا يعرفون غير الشرر العظيم!

فإنهم مخلوقات قبيحة المنظر!

سوف تمحي آثار بلادكم،

ذلك إن لم تبيدوهم،

انتصروا عليهم انتصار الملوك،

فإنهم عبيد لجومار وداهور!

عبيد لأشياء دميمة بشعة!

عبيد لأكل لحوم البشر!

هكذا هم أعدائكم!

أعوان الطاغية جومار!

ولكن أرى فيكم الخير،

فانتصروا عليهم حق الانتصار،

واثبتوا للبشرية جمعاء..

أن البشر في استطاعتهم محو جومار ومن معه،

كي ينضموا إليكم جميعاً،

لأن هذه الحرب ستكون بداية عظيمة،

لسلسة من الحروب التي لن تنتهي أبداً!

إلا بالانتصار لأحدنا.

نحن الذين نريد الخير،

وهؤلاء الذين يريدون أن يحكموا العالم،

بشرورهم والتي ليس لها انتهاء،

فبأيديكم أن تجعلوا الخير يسود،

وأيضاً بأيديكم أن تجعلوه غير ذلك،

فاكتبوا في قلوبكم النصر،

حتى تحققوه على أرض المعركة،

انتصروا لنا يا بني البشر!

انتصروا لنا يا بني البشر!

انتصروا حتى نعيش الخير».

صاح الناس جميعاً في صوت واحد يقولون: «النصر لنا يا أمير "آثال"، النصر لنا إن شاء الإله الأعظم .. النصر لنا النصر لنا».

هنا تقدم "إندو" إلى جوار الأمير "آثال" ونظر إلى الناس جميعاً، طالباً منهم أن يسمعوا لكل كلمة هو قائلها، حيث أنه أراد أن يقول لهم كلمة من أجل الإله، كي يقف الإله بجوارهم في مصيبتهم، وينصرهم على كل من أراد الأذى لهم إذ قال:

«يا أيها الناس..

في قُرّان وأدماث..

ليس في كل مكان في دويرام،

ولا في كل قبيلة من قبائلها،

ولا في كل مكان في الأرض،

بيد أني كنت أتمنى أن أقول!

في كل مكان في هذا العالم!

إلا أن الحاضرين ليسوا كما تمنيت،

ولكنكم خير عظيم!

لذا أخاطبكم ولست بأحسنكم،

وما أنا بناصحكم لأني أفضل منكم،

بل البشر جميعاً متعادلون،

لا فضل لكبير عن صغير،

ولا صغير عن كبير،

ولا قريب عن غريب،

إلا بالتقوى.

ولكن الكل سواء أمام الإله الأعظم في الخلق،

إلا أنني أحب لكم الخير،

فأنتم مجتمعون الآن،

من أجل محاربة جومار،

وإن أكثر الأشياء بغضاً إلى قلبي،

هي الحروب حيث الدمار،

بما فيها من موت الكثير والكثير،

منهم الصالح والطالح!

ومنهم القوي والضعيف!

منهم الوالد والابن!

ومنهم الصغير والكبير!

منهم الغني والفقير!

ومنهم المتزوج والأعزب!

والموت قريب من كل هؤلاء،

لكن نصيحتي لكم جميعاً،

أن تكونوا على طريق السلام دائماً،

مهما حدث لكم،

فإن الإله هو السلام ،

فانشروه بينكم،

يعم الحب والمودة،

ولا تكونوا ممن يحبون الحروب،

لأنها تجلب الكثير من الأضرار،

فهي تبيد الأخضر واليابس،

ولكن إذا اضطررتم للحرب،

وقد أصبح هذا بالفعل؛

فحاربوا من أجل الإله،

دفاعاً عن وحدانيته أولاً،

ثم عن أنفسكم وأهليكم،

ثم عن الأرض التي تحيوا بها،

ولكن الحرب من أعظم الفنون،

لا تأخذوها بالقوة ولا بالضعف،

فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة!

تلك فضائل الإله الأعظم،

ولكن الحرب خدعة عقلية،

إذ العقل فيها ينتصر على القوة،

والواثق بالإله خير من الواثق بنفسه،

فاذكروا دائماً الوحدانية للإله،

إنه ربي وربكم ورب كل شيء،

وهو القادر على كل شيء،

يجعل النصر للضعيف على القوي،

يجعل الواثق من نفسه في شر الهزائم،

و الواثق به في نصرة دائمة،

إن خسر الحرب وقتل فهو شهيد في سبيله،

وله الخير العظيم في الآخرة،

وإن انتصر فيها رُفع في الدنيا،

وله في الآخرة خير عظيم،

فلا تحاربوا إلا وأنتم واثقين واثقين،

واثقين واثقين بالإله الأعظم!

واثقين واثقين به ثقة عمياء!

ثقة تجعله تعالى يحبكم،

فإن حبه لكم خيراً وفيراً،

لا خير بعده ولا قبله،

فإن يشأ يورثكم الأرض جميعاً،

وهو القادر فوق عباده،

وهو على كل شيء قدير،

فلا تقربوا الحرب أبداً إلا له،

كي تنالوا الخير بعد الموت،

وإلا فإنكم الخاسرون دائماً،

إني فقط أرجوكم!

أن تنصروه بينكم وبين الناس،

حتى ينصركم باسمه في كل مكان،

وحتى يعم السلام والحب بينكم،

كي تعيشوا في سلام دائم،

في هذه الحياة الدنيا،

وتلك الحياة الآخرة،

التي نتمنى أن نكون فيها على خير،

فانصروا الإله حقاً،

كي ينصركم على جومار وجنوده،

فأنتم تعلمون جنوده جيداً،

إنهم آكلوا لحوم البشر!

الذين لا يخافون شيئاً أبداً،

وتلك السنانير الخطيرة!

التي تنقل أسراركم بعين التجسس،

إلى داهور الساحر الطاغية!

الذي هو ذاته عين جومار العظمى!

التي بها يرى كل شيء عن طريق السنانير،

بسحره العظيم!

الذي اكتسبه بعبادة الشيطان!

عدو الإله في كل مكان!

ولطالما ناديتكم كثيراً بالسلام،

إلا أنه لا محالة من الحرب،

تلك الحرب التي لا يستطيع إنسان منعها،

بل الإله الواحد فقط،

هو القادر على منعها،

لأنها في مشيئته الكونية العظمى،

التي يندرج تحتها كل شيء،

ولطالما أراد الإله أن يكون هناك خير وشر!

وحرب وسلام!

بتلك المشيئة العظمى؛

فإنا نمتثل إلى كليهما،

الخير والشر والحرب والسلام،

ولكن عندما يكتب عليكم أن تقاتلوا؛

فالحرب سبيلكم إلى الانتصار،

والعيش في سلام دائم،

ولطالما ذُكر الخير؛

فلابد من وجود شر،

كي نستلذ الخير عندما نجده،

وإلا فإنه لا خير ولا شر!

لا ظلام ولا نور!

لا ليل ولا نهار!

بل لا أبيض ولا أسود!

فإذا ثبت أحدهم كان الآخر،

وإن لم يثبت لم يكن.

فاعلموا أن الحياة الدنيا هكذا..

كأس من ماء ممزوجة،

مزجت بخير وشر،

فاجعلوا دنياكم هذه ملجأ إلى الإله،

ومعبد تتعبدون فيه له،

وسارعوا إلى الخير دائماً،

حتى تنتصرون به على الشر،

وحاربوا بعقيدتكم الثابتة،

كل من خالف تلك العقيدة،

وسلّوا سيوفكم وامتطوا جيادكم،

وارفعوا فؤوسكم على كل من يعادون الإله،

واضربوهم ضربة لا رحمة فيها،

وصدوا عن أنفسكم ضربهم،

فإنه إذا وقع أحدكم بين أيديهم،

أكلوا عظامه قبل لحمه!

فلا تفترقوا وكونوا يداً واحدة!

حتى تقوى هذه اليد!

فتقسم ظهر من يعاديها!

ولا تفتَتِنوا أبداً،

فإن فتنتهم عظيمة جداً،

لا يسلم منها إلا من كان قلبه معلق بالإله،

فعلقوا قلوبكم به،

لأنه ناصركم عليهم،

وعلى ذلك المتأله جومار،

وإني لكم ناصح أمين،

فليرضي بما أقول من يرضى!

وليسخط عليه من يسخط!

وإني لا أعاتبكم على شيء!

بل كل نفس قائمة على ذاتها!

هي التـي تعاتب نفسها ،

إذ كل نفس ذائقة الموت!

فعاتبوا أنفسكم جميعاً!

بما تجدونه غير لائق بالإله ،

وغير لائق بكم،

قبل أن تأخذكم المنية ،

لأنـي لست بعاتب لكم،

ولكنـي أقول فقط ما يخلصنـي من يوم الحساب ،

والإله شاهد على ذلك بينـي وبينكم،

وهو الفصل في كل شيء ،

يوم نلقاه حيث لا نملك شيء ،

وهو الذي يملك كل شيء».

انتهى "إندو" ليجد مئات من علامات التعجب على وجوه الناس جميعـاً ، وليس هذا فحسب بل رأى كل معاني التعجب على وجه صديقه "سـوِيْبا" الـسنور الصغير، ذلك القط الرائع الذي التحمت بيـنهم صداقة لم تلـتحم بـين اثـنين مـن البشر، وظل الناس ينظرون بعضهم إلى بعض، يتعجبون غاية التعجب لمـا سمعـوه من فتى مهما كانت منزلته فهو لازال ابن الخامسة عـشر مـن عمـره، وقـد يكـون أصغر من ذلك بل أصغر من أصغر محارب في الجيشين، لقد فـاق إعجـاب الجميـع

وقد آمن به الأمير "آثال" حق الإيمان، وقد أصبح بالنسبة إليه أنضج من أنضج رجل في الجيش، بل أنضج حكيم رآه على الإطلاق، وهو لازال في هذا السن الصغير، ذلك لأن ما قاله ليس بالكلام السهل الذي يستطيع أن يقوله أي إنسان عادي، بل لا يستطيع أن يقوله أي حكيم عادي، لكن الوحيد الذي لم يتعجب منه هو أبوه "بانديل"؛ لأنه يعرف تمام المعرفة أن ولده قد اعتمد في قوله على الإله الواحد الذي لا إله غيره ولا رب سواه، لذا لم يتعجب على الإطلاق لأن الإله قادر على فعل كل شيء، و"بانديل" يؤمن بهذا حق الإيمان.

طال الصمت بين الناس كثيراً فقد أخذت تلك المدة من الوقت ما يضاهي مسيرة الألف ذراع؛ حتى أُشبعت بكل أنواع التعجب، والصمت يرمي بظلاله بين الناس، حتى أنهم ضجوا من السعادة بـ "إندو" ضجة واحدة في صوت واحد اهتز لها جبل "طابان" العظيم، وكأنه انشق عما بداخله وكأن ما بداخله بركان عظيم ثار كله ثورة واحدة.

كل ما استطاع "إندو" فهمه مما سمعه من الجميع؛ هو قولهم: «النصر بيد الإله، النصر بيد الإله»، تلك الجملة التي دوت في آذان الجميع ورددوها عشرات المرات، وكأنها طاقة كامنة في صدورهم جعلتهم يرون النصر الحقيقي قبل رؤية العدو عندما أخرجوها بتلك القوة، وذلك الإيمان النابع عن قلوب صافية، تعمل بجد من أجل الإله ليس من أجل أهوائهم، أو ما تهواه أنفسهم، فمن أجل الإله يستطيعون فعل كل شيء ممكن وغير ممكن، لأن قلوبهم تعلقت به، وما أن يتعلق القلب بالإله حتى يفتح الإله له الكثير من الأبواب المغلقة، والإنسان

بطبعه لا يتعلق قلبه بربه إلا إذا عرفه حق المعرفة وقدّره حق قدره، وهو لا يصل إلى هذا إلا بعد بحث طويل للغاية، فإذا وصل إلى الحقائق فسوف يتغير تماماً، بل من الممكن أن يصبح حكيماً يؤثر في غيره الكثير، وذلك بتجاربه الخاصة في البحث عن الأشياء التي تجعل منه منقاداً بأمر الإله، بل التي تجعل منه عبداً صادقاً للإله الأعظم، وسيكون تأثيره على غيره من الناس سهلاً للغاية، لذلك سلك "إندو" هذا الطريق الوعر الذي به يصل إلى منال البشرية جمعاء، إلا أنه بدأ من حيث انتهى الآخرون، فقد تربى على عبادة الإله الواحد وذلك على يد "بانديل" ذلك الرجل الموحد بالإله، ومن ثم تعلم الحكمة وكل شيء يقربه من الإله الأعظم، وبذلك أثر في الناس جميعاً وهو لازال في الخامسة عشر من عمره.

عند ذلك الحد توقف الأمير "آثال" عن التعجب، وفكر في أمور كثيرة من الممكن أن يقدمها له "إندو"، ذا العقلية الشديدة الذكاء؛ كي ينالوا الانتصار في تلك الآونة الصعبة المليئة بالعواقب الوخيمة، إذ هم على فوهة الحرب وعلى وشك رؤية الدم يتساقط كالأمطار، إنها الحرب التي لا يعرف غواقبها إلا الإله الأعظم.

إن نهاية ما قاله "إندو" في تلك الكلمة العظيمة، قد تركت حقاً باباً مفتوحاً على مسرعيه في كل نفس تجاه ربها، أو كفّين ضارعين للإله في خشية شديدة، من أجل أن ينقذهم الإله الأعظم مما هم مقبلين إليه .. حيث قال "إندو":

«فليرضى بما أقول من يرضى!

وليسخط عليه من يسخط!

وإني لا أعاتبكم على شيء!

بل كل نفس قائمة على ذاتها!

هي التي تعاتب نفسها،

إذ كل نفس ذائقة الموت!

فعاتبوا أنفسكم جميعاً!

بما تجدونه غير لائق بالإله،

وغير لائق بكم،

قبل أن تأخذكم المنية،

لأني لست بعاتب لكم،

ولكني أقول فقط ما يخلصني من يوم الحساب،

والإله شاهد على ذلك بيني وبينكم،

وهو الفاصل في كل شيء،

يوم نلقاه حيث لا نملك شيء،

وهو الذي يملك كل شيء».

هكذا كما حدث من قبل في قبيلة "قاسيون" قبيلة الآثار المقدسة، عندما أراد "عاقريقوف" أن يستولى على آثارها الثمينة، وهو أمير قبيلة "عاقولاء" الواقعة جنوب غابات "كازاران" والتي تقع جنوب شرق قبيلة "قاسيون"، حينها وقف الحكيم "كابُل" أحد حكماء تلك القبيلة خطيباً وقد اجتمع من حوله أناس كثيرون، حينها جمع حروف من النور وجعلها تتشابك في بعضها البعض بلسانه

الفصيح، لينتج كلمات مزدانة بالرحمة في حشد قد ملئ بالأسى قائلاً:

«في بادئ الأمر لا في بادئ القول..

أحب أن ألفت أنظاركم إلى الرضا والسخط،

شيئان ضدان!

ليس بينهما صلة قرابة إلا في مخلوق واحد،

إنه الإنسان!

فليرضى عني سامعي أو ناظري،

أو أنهم عني وعنكم يسخطوا،

فلربما جسد يئن جراحه،

والنفس في كبد تجاهد حتفها،

لكنها حتماً تذوق الموت، فانظر موتها!

واعلم بقلبك ثم عقلك أنه..

لا شيء يبقي غير من خلق الفضا،

غير الإله الحق جل جلاله،

فاسجد له واركع لعلك تُرحم،

واخشاه في يوم شديد حره،

يوم تكون به فقيراً عارياً،

لا تمتلك حباً بنبت الخردل،

فليرضى عني بعضكم أو يسخطوا ،
فلأجلكم سخرت نفسي أبتغي،
خير الإله لكم فللحق اعملوا .
لا أرتجي منكم أجوراً أو كنوزاً من ذهب،
بلْ أرتجي خيراً لكم،
تحمون أنفسكم بها لا تبخلوا ،
فالنفس إن لم تحمى حتى نفسها ؛
تُقتل ولا يُنظر لها!
كل القبائل قد بكت أمجادكم!
وقلوبكم تضحك ولم تبكي دما!
قاسيون تبكي نفسها خجلاً على أمجادها ،
والناس لا تدري بكاءً تبكي أو في موتها تتبسما!
هل ماتت النبضات أم هل ماتت الأحجار؟!
حتى تغرقوا فيما أتى!
من بسمة أو ضحكة أو همسة !
في هذه الدنيا فقد زاد بكم عمى،
الآن جاءتكم عاقولا والأمير لها..
عقاريقوف يُنشأ بالدماء لكم دما ،

وبسيفه ينحت على كل الصخور منية ،

ستصابها نفسي ونفسك إن وقفنا كالدُّمى.

وسيأخذوا تاريخكم ذاك المقدس مجده!

وسيسرقوا أسماءكم وسيحكموا..

قاسيون يوماً فيه تُقتل بالظما!

وسَيُمحى كل مقدس بآثاركم،

في حينها سنذوب كالأمطار ذابت في السما ،

فتناظرت كل العيون نزولها!

وتخطفتها يد تريد الأنجما!

وكأنها لعقت كبائر حلوها!

غير الذين تكبدوا من لعق ذاك العلقم!

أصحاب قاسيون الحبيبة كم لكم

من مسكن في هذه الدنيا خلاف حبيبتي؟!

فلقد تألم كل نبض لي عليكم!

ثم أنتم تحرقوني بالحُمى!

أو أنكم لا تحرقوا إلا حبيبة قلبكم،

قاسيون.

قاسيون يا أبناؤها..

قاسيون تبكي لكم دما.

لا تضلعوا عرش الحبيبة بالسكوت وبالخنا،

واستيقظوا من نومكم فعساكم قتل الظما!

واسعوا على كل الذين تكالبوا في أرضكم،

وابنوا عليهم بالحريق جهنما!

واغزوا قبيلة كل من ينوي إلى..

غزو الحبيبة واحرقوه عسى يخاف ولا يعود لكم كما،

هربت كلاب الحي لما قد رأت،

شبح الهزبر يسير نحو هم بما،

لا تستطيع العين أن تبصر له،

شيئاً عظيماً فيه ما لو تنظر الأبصار يخطفها العمى!

وانشر بأيد البأس يا ابن حبيبتي،

كل الرسائل بالقتال لدى العدو وكن له متجهما،

بل كن من الأحياء قبل منية..

تلهو بنفسك ثم تذهب مرغما!

حلوا الوثاق لدى الفؤاد الميْت حتى تنبضوا،

نبضاً يحرك عزة الأموات والأحياء في أرض تنادت بالقتال تضرما».

حينها صاح الناس في كل ناحية كما لو أنهم أموات وعادوا من قبورهم إلى

الحياة مرة أخرى، ذلك لأن كلام ذاك الرجل خرق أجسادهم كالسيوف البراقة ليرشق في قلوبهم معنىً عظيماً جداً لا يعرفه إلا من له قلب سليم، وبالطبع كان لهذه الكلمات فضل كبير بعد الإله في الانتصار لقبيلة "قاسيون" على "عقاريقوف" وجيشه، كل هذا قد تذكّره "سبراك" عندما جلس مع أخيه "إندو" بعض الوقت حيث قال الأول: «ما أشبه اليوم بالبارحة يا أخي، فعندما انتهيت من كلمتك التي أحييت قلبي تذكرت خطاب الحكيم "كابُل" لأهل "قاسيون" عندما أراد "عقاريقوف" أن يجهل عليهم».

فابتسم "إندو" لشقيقه قائلاً: «وأين أنا من فصاحته يا أخي؟! ألا تعلم أنه كان أفصح أهل زمانه لساناً وأبلغهم مقصداً وأرفعهم شأناً؟ .. يا "سبراك" إنه "كابُل" الحكيم الذي نصر "قاسيون" بخطاب واحد بفضل الإله العظيم، فأين أنا منه؟!».

«أنت الفتى الذي لم أرى ولم أسمع له مثيلاً يا أخي!».

«هذا كثير جداً على من هو مثلي يا "سبراك"، وأنا في الحقيقة لا أستحق بعضاً مما تتحدث به».

«لا تقلل من شأنك يا أخي، فلقد اختارك الإله لأجل تحقيق السلام بين الناس، والدليل على ذلك حكمتك البالغة أقصى حدود المعرفة لدى البشر، يا أخي إنني في حقيقة الأمر لم أؤمن بما أتاك الإله حقاً إلا بعد أن سمعتك تخاطب الناس من أجل الإله بكل ذلك الصدق والحكمة، فعندما كنا صغاراً كنت أقول أن ما تفعله شيء عادي، فكنت تحفظ دروسي قبلي وتحفظ دروس "ساجوم" أيضاً قبلها، بل

كنت تفوقنا عقلاً وحكمة، ولا أنسى يوم أن أتيت بفكرة مخزن الماء يوم أن علمنا بأن القربة قد ثقبت منكم، لقد حس بك كل الناس إلا أنا، لأني ظللت أقول أن ما هو لديك يستطيع أن يكتسبه أي شخص آخر، ولكن كنت مخطئاً حقاً وما عرفت الحقيقة إلا الآن، ولعل كلمتك تثبت قلوبنا على الانتصار كما حدث حقاً مع "كابُل" الحكيم الذي انتقى حكمته من النور والرحمة!».

«إذاً فلتدعو الإله دائماً بالنصر يا أخي، حتى ينصرنا على هؤلاء الوحوش لأننا حقاً لا بد وأن نتضرع له بالدعاء الخالص، عسى أن يتقبل منا جميعاً أو من أحدنا فينصرنا عليهم».

الفصل الثاني عشر

الأمـــر الحـــاســـم

لقد أصبح "إندو" حقاً أكثر اضطلاعاً من ذي قبل على كل ثغرة في عقل الأمير "آثال" تجاه الحرب، حيث أن الأمير قد استشاره في بعض الأمور التي تتعلق بالخطة التي وضعها كي تناسب المكان العام للقبيلة، حيث أن الأمير أكمل الترتيب الذي قد فكر به "بانديل" والحكيم "صهيا" من قبل، وذلك لأنه لم يجد مخرجاً أفضل من ذلك، فلقد انتهى من بناء الأسوار حول القبيلة من الناحية الشرقية، وذلك من عند نه "قبرونيا" إلى جبل "طابان"، وترك فقط طريق واحد لا يؤدي إلا إلى ذلك الجبل العظيم، وبدأ خطته من حيث توقف كلاً من "بانديل" والحكيم "صهيا"، حيث الخطة الحربية التي دائماً ما تأتي بعد التحصين الكلي لدى إحدى طرفي المعركة، ولكنه قد استشار "إندو" في ذلك ليعرف رأيه الخاص بتلك الخطة المقلقة في وقت قد اصطحب فيه "إندو" في الناحية الجنوبية للجبل .. حين ذلك أجابه "إندو" قائلاً: «في حقيقة الأمر سيدي الأمير "آثال"، لا أستطيع أن أنكر أنه هناك رأي خاص بي وحدي، ولكن قبل أن أخوض فيه اتركني أولاً أتحدث عن بعض العواقب التي من الممكن أن نقع في شركها إن بقينا على حالنا الذي نحن عليه الآن، كان قد مر خمسة أيام من حادثة الصواعق الصوتية التي

أرسلها إلينا "داهور" بصوته السحري عندما وصلت أنت وجيشك إلى هنا، والآن هذا هو اليوم السادس بالنسبة لك ولجيشك، أي أنه قد مر أحد عشر يوماً على تلك الحادثة، والذي أعلمه عن المسافة بين "قلعة التنين" وقبيلتنا مسيرة حوالي أربعون يوماً، ولكن هذا لمن هم مثلنا نحن البشر سيراً على الأقدام، أما بالنسبة لأكلة لحوم البشر فإن الأمر يختلف كل الاختلاف، لأنهم يقطعون تلك المسافة في مسيرة عشرين يوماً فقط وهذا يصعب الأمر علينا كثيراً، لأنه فقط لم يتبقى إلا تسعة أيام على وصولهم، عفواً سيدي الأمير لأني لم أخوض في الموضوع كما أشرت مسبقاً، هذا لأن الأمر رهيب جداً، فمن خلال هذا الكلام أستطيع أن أشير إلى أن تلك العواقب ستكون وخيمة جداً إذا دافعنا عن أنفسنا هنا عند سفح هذا الجبل فقط، لأننا لابد وأن ننتصر بمشيئة الإله أولاً ثم بإرادتنا، وإن لم نفعل فسوف نُقتل جميعاً؛ رجالنا ونساؤنا وأطفالنا، ولا أحجب عنك ظني بتلك الخطة التي اعتمدنا عليها، فهي قد تنجح وقد لا تنجح، لأنه عندما قاد الأمير "قُراقر" جيش مدينة "كرزين" ضد الأمير "نارود" أمير مدينة "كُساب"، والذي كان جيش الأخير يفوق الأول عدداً وقوة، ساعتها فكر الأول في اعتلاء الجبل أولاً حتى يسيطر على الحرب، ولكنه كان يفهم جيداً أن ما فعله كان من أشد التضحيات التي رآها على وجه الإطلاق، لأن عدد جيشه كان يقل عن عدد جيش الأمير "نارود" بعشرين ألف محارب، وأسلحته كانت أقل بكثير من أسلحة الآخر، فحاله كحالنا الآن وما أشبه اليوم بالبارحة، ولكن الفرق بيننا وبينه أننا لا نترك في قبيلتنا غير النساء والأطفال فقط، ولكنه وقتذاك كان يترك في مدينته درعاً

يحتوي على أكثر من خمسة عشر ألف محارباً يحمون المدينة إذا ما هُزم، لقد ترك درعاً عظيماً للمدينة خلف ظهره، ولكننا ماذا تركنا؟! نحن ماذا تركنا؟! لم نترك إلا النساء والأطفال! ، ثم إن هناك اختلاف كبير أيضاً بيننا وبينه، فهو كان يحارب بشر مثله، ولكن بالنسبة لنا من سنحارب؟! إننا سنحارب أكلة لحوم البشر! هو لم يكن واثق بالانتصار عليهم ولكنه انتصر، ونحن هكذا أيضاً لسنا واثقين بالانتصار على أعدائنا، ولكن لابد لنا من خطة تحسم الأمر قبل أن يبدأ».

«كيف ذلك يا "إندو"؟!».

قالها الأمير "آثال" في انفعال شديد جعل "إندو" يكمل ما بدأه في حماسة شديدة قائلاً: «أنت تعرف جيداً أن هذه الخطة التي نحن عليها هي نفسها خطة الأمير "قُراقر" في تلك الحرب التي تكلمت عنها، وهي الخطة التي قد طرحتها على أبي في بادئ الأمر، ووافق عليها لتوه ومن ثم عرضها على الحكيم "صهيا" فوافق هو الآخر، ولكن بالنسبة للأمير "قُراقر" فكانت مدينته محصنة بسلسلة جبال "كريون"، وهذا ما كان صعب علينا ولكن وبفضل الإله قد تجاوزناه ببناء الأسوار، ولكنا الآن لا نستطيع أن نعتمد كثيراً على تلك الحصون أو الأسوار العالية؛ لأنها لازالت جديدة وحتى أن الملاط الجيري لم يتم تحضيره كما يتم دائماً في الأيام الثمانية التي يستحقها، وبهذا وذاك يكون من السهل أن تُهدم على أيدي هؤلاء الوحوش، ولكن هناك حل عظيم نستطيع أن نتخذه حصناً وقت الحرب بجوار تلك الحصون، وهو الرأي الخاص بي الذي أشرت إليه من قبل،

وأنا أرى أننا من خلاله نستطيع أن نصنع انتصاراً عظيماً بإذن الإله الرب الواحد الأحد».

فابتسم الأمير "آثال" قائلاً: «وما هو يا "إندو"؟! فلقد قطعت قلبي بسكين بارد طوال هذا الطريق بكل ما ذكرت!».

«في بادئ الأمر قد اعتمدنا على ثماني ألف مقاتل على بناء تلك الحصون، ولما قدمت أنت وجيشك أصبحنا ثمانية عشر ألف، وبهذا العدد قد استطعنا الانتهاء من بناء الأسوار في خلال عشرة أيام، وبهذا العدد أيضاً نستطيع أن نحفر بجوار الأسوار وبطولها خندقاً في خلال عشرة أيام إلا قليل، و أستميحك عذراً فبدون أن تقاطعني بـ "لماذا، ولم" سوف أخبرك عن كل شيء بدقة».

فأومأ الأمير "آثال" في ابتسامة خفيفة، ليكمل "إندو" حديثه دون مقاطعة منه، فابتسم "إندو" بدوره مستأنفاً الحديث: «هذا الخندق سيكون عرضه ثمانية أذرع ونصف أو ثمانية أذرع على الأرجح، وسيكون بطول الأسوار كلها، والفرق الذي سنتركه بينه وبين الأسوار هو قيمة ذراع واحد، أما قيمة العمق لدى الخندق فسوف يبلغ ثمانية أذرع أو عشرة، وحينما يتم ذلك سوف تتغير الخطة الأساسية قليلاً، فسوف نترك بعض الرجال داخل الأسوار وعلى طولها، حاملين شعل النار التي من خلالها سنحرق الخندق، أما كيفية حريق الخندق فهذا شيء سهل جداً، أولاً سوف نضع الكثير من أخشاب الزان في كل منطقة ننتهي من حفرها لدى الخندق، وسوف نُشرب تلك الأخشاب من المادة الزيتية المحترقة، وفي آخر الأمر سوف نغطي الخندق بمادة سميكة بعض الشيء، ومن ثم نخفيها

بالرمال حتى تأخذ لون الأرض، وهذه المادة متوفرة بكثرة لدينا هنا في قبيلة "قران"، فهي مادة نستخدمها في صنع الورق ونستخرجها من شجر أنت تعرفه عنا كثيراً، إنه شجر "الثبراء"، وهذا بإذن الإله لن يأخذ وقتاً منا، بهذا أكون قد انتهيت من الخندق، ولكن لازال هناك مفتاح عمله؛ وهم الرجال الذين سنتركهم خلف الأسوار منهم بشعل النار زمنهم بالأقواس، إنهم في ذلك الوقت سيشغلون العدو بسهامهم وبالطبع سينجذب العدو لهم لا محالة، وعندما يذهبون ناحية السور يكون هنا الأمر الحاسم، ففي بادئ الأمر سيقتربون ببطء نظراً لارتفاع الأسوار شيئاً قليلاً، ولكنهم سيقتربون أكثر وأكثر بعد ذلك عندما يغتاظوا من رجالنا، وشيء لا إرادي منهم سوف ينتشرون أمام السور وهذا يجعل أعداد من سيقعون بالخندق أكثر وأكثر مما نتخيل، وحينما يقعون بأعدادهم الغفيرة في شراكنا يبدأ الرجال برمي الشعل النارية، حيث أنه في ذلك الوقت يكون مادة ورق "الثبراء" قد اخترقت تحت أقدامهم وتكون قد ظهرت الأخشاب، وفي حينها تندلع النيران عليهم بشراسة يستحقونها، ومن ثم سينتشر بينهم الذعر وهنا وفي الوقت نفسه سوف نكبح غمار غيظهم عندما يظهر لهم جزء من جيشنا يقودهم إلى سفح هذا الجبل، حينها نستطيع أن نكمل على البقية الباقية لدى جيشهم بالخطة الأساسية لدينا، وبهذا سوف نستنفع كثيراً من جانب آخر .. فإننا بتلك الأسوار العالية نحن قاطنين قبيلة "قران" قد أصبحنا في حصن حصين، ولكني قلت سابقاً أن تلك الأسوار من السهل أن تهدم على أيدي العدو لأنها مازالت جديدة، ولم يأخذ الملاط الجيري حقه بعد، ولكن بعد اندلاع النار من جانبها

وخاصة أن خشب الزان يظل وقتاً طويلاً محتفظاً بناره؛ تكون الأسوار قد أخذت أكثر من حقها بكثير لأن النار تؤثر كثيراً في الملاط الجيري، وبذلك لا يستطيع أحد بسهولة أن يهدم حجر واحد من بناياتها، وكل ذلك كان من المستحيل أن يحدث لولا أمر واحد فقط..!».

انتظر "إندو" بعضاً من الوقت حتى يستفسر الأمير "آثال" عن ذلك الأمر، ولكن دون جدوى لأن الأمير كان عند وعده بأنه لن يقاطعه، وغير ذلك أنه قد انشغل كثيراً فيما قاله "إندو"، ولكنه عندما انتبه للأمر نظر إلى "إندو" نظرة تعجب قائلاً: «وما هذا الأمر يا "إندو"؟!».

فابتسم "إندو" قائلاً: «عدم وجود الجواسيس الحقيرة التي تعمل من أجل "داهور" و"جومار"، فأنا أظن أن "داهور" قد استدعى كل تلك السنانير التي كانت تعيش هنا في قبيلتنا، وذلك غير السنانير الطبيعية التي لا تدري عن ذلك شيء».

فابتسم الأمير "آثال" بدوره فرحاً بما سمعه، ثم قال: «هذا صحيح بالفعل، فكيف انتبهت إلى هذا؟!».

«لأني دائماً ما كنت أراهم، وبعد أن حدث ما حدث لم أرى منهم سنّور واحد، مع أني بحثت عنهم في كل مكان بالقبيلة لكن دون فائدة تذكر».

كانت بالفعل قد ذهبت كل السنانير التابعة لـ "داهور" والتي كانت تعيش في قبيلة "قرّان"، ولكن الذي لفت أنظار "إندو" إلى ذلك هو صديقه العزيز "سويْبا" السنور الصغير، حيث أنه راقبهم جميعاً بعد الحادثة بوقت قليل يتجاوز اليومان، ولكنه لم يدري ما كان سبب هذا الرحيل، إلا أنه ظن أن

"داهور" قد أمرهم بالذهاب إليه هناك في "قلعة التنين"، حيث مقر حكم قبائل "دويرام"، أياً ما يكن السبب لتركهم القبيلة فقد أسدوا خدمة عظيمة لهؤلاء البشر في أن يضعوا خططهم كما يحلو لهم، بعيدين كل البعد عن عين التجسس، ذلك الحوض العظيم الذي يستقر في غرفة السحر العظيمة لدى "داهور".

تجمع الناس بأمر من الأمير "آثال" حيث أنه أراد أن يخبرهم بالخطة الجديدة التي أبدعها "إندو" ذلك الفتى الذي ليس له نظير، وما أن تجمعوا أمامه اعتلى هو و"إندو" منطقة مرتفعة من الجبل حتى يراه الأقصى ويسمعه كما الداني، ثم إنه قال: «أيها الرجال إنكم حقاً رجال، كلكم تريدون الانتصار وقد جاءكم الانتصار على طبق من ذهب فهل تقبلوه؟».

فنظر الناس جميعاً بعضهم إلى بعض متعجبين لما يقول، حتى أن "بانديل" والحكيم "صهيا" نظرا لبعضهما نظرة تعجب، ومن ثم قالا في صوت واحد: «وهل نرفض مثل هذا يا أمير "آثال"؟!».

«إذاً فلتسمعوا ما سيتلوه عليكم فيلسوفكم الصغر، وما هو بصغير وأشهد الإله على ذلك ولكنه كبير لم أرى وصفاً له إلا أن أقول أنه "الفيلسوف المقدس" في ثوب "إندو بانديل"».

ثم إنه قدم "إندو" خطوة إلى الأمام، حيث كان الناس في تعجب شديد كلما نظروا إلى ذلك الفتى الصغير، وكأنهم ينظرون حقاً إلى شخصية تاريخية لها قدرها، فأول ما تكلم "إندو" طلب قائلاً: «أعيروني أذهانكم جيداً، إنها خطة حربية تامة بإذن الإله ولكن إن أتممناها نحن على الوجه اللائق بها، إنني أعلم

جيداً كم تعبنا كثيراً في بناء الأسوار التي أحاطت بالقبيلة من ناحية الشمال الشرقي، ولكن أريدكم أن تتعبوا أقل من ذلك في حفر خندق ... ».

ثم إنه استرسل في كلامه وشرح لهم كيفية ذلك كما فعل مسبقاً مع الأمير "آثال" .. ولم يترك شيئاً حتى شرحه شرحاً وافياً، وبالفعل كانت الأذهان صافية ومتقبلة ما يقول، حيث كانت الوجوه تنظر بعضها إلى بعض أمامه في ابتسامة وفرحة مما يقوله، وكان بالفعل يرسم لهم خريطة للنصر ليس إلا، وقد أنهى حديثه قائلاً: «إنني بكل ما قلته هذا أرى لكم النصر مرسوماً على ورق الصبر، فإن صبرنا قليلاً فسوف ننتصر على كل عدو يريد بنا الشر، ولا أخجل من أحدٍ منكم إن قلت أنني أرى أن هذا هو الأمر الحاسم لتلك الحرب، والإله ينصرنا بفضل من عنده، ولكن لابد علينا من أن نعمل في الحال حتى تتم الخطة بالفعل كما رسمت لها، وأنا والأمير "آثال" سوف نضرب في الأرض أول فأسين حتى تعرفوا أننا بالفعل لا ننظر إلا إلى الانتصار الذي سيبهر العالم كله إن شاء الإله ذلك، وإن انتصرنا نستطيع أن نجمع البشر جميعاً لأجل محاربة "جومار" وكل أتباعه، فالخوف قد وجد في قلوب هؤلاء البشر مكاناً عظيماً من "جومار" و"داهور" وأكلة لحوم البشر، وإن شاء الإله سوف نقطع هذا الخوف من جذوره تماماً، ومن ثم نؤمّن قلوبهم بخشية الإله الواحد لا بخشية أحد غيره».

ثم إنه نزل وأخذ بيد الأمير "آثال" وسارا بين الناس وضجيجهم، تلك العادة التي أخذوا عليها كلما تدخل "إندو" في شيء وتحدث بأسلوبه الباهر الذي يأخذهم من فكر إلى فكر آخر، أو بلد إلى بلد آخر، أو حتى من عالم إلى عالم آخر

متغير تماماً عن حياتهم تلك التي يعيشونها، والتي لا تؤدي إلا إلى الرتابة الشديدة، وما أن وجد الفؤوس أخذ واحداً وأعطى للأمير "آثال" واحداً هو الآخر، وخطى بعض الخطوات في المنطقة الشمالية الشرقية عند سفح الجبل بالضبط، وضرب بالفأس ضربتين قويتين أخرجت الشيء الكثير من الرمال قائلاً: «من هنا سوف نبدأ الأمر».

حينها اقترب منه والده "بانديل" وأوقفه ونظر إليه قليلاً، ثم ضمه إليه بشدة قائلاً: «لقد طرح فيك الإله بركة لو عشت طوال حياتي أعبده ما وفيته الحمد والشكر على ما أنعم به علي، إذ أنعم علي بك يا "إندو" يا ولدي!».

وقد وجدت دموع الرجل طريقها إلى خديه فرحاً بولده سعيداً بما يقوله وبما قاله وبما سيقوله، هنا اجتمع الأخوة الثلاثة حول أبيهم وشقيقهم الصغير، ليس هذا وحسب بل كان معهم الحكيم "صهيا" ذلك الرجل الذي عرف قدر "إندو" بحق، ومن ثم التف الناس من حولهم في مشهد مبدع أحبه الأمير "آثال" كثيراً .. حيث أن الناس عملوا بجد كما يجب أن يعملوا بل أزادوا بكثير عما يسمى بالواجب، هذا لأنهم جميعاً يتمنون الانتصار على هؤلاء الوحوش ومن يتحكمون فيهم، كي يصبحوا أحراراً من قيد هذا الخوف الذي ملك قلوبهم.

قام الأمير "آثال" بتقسيم الناس كما يجب أن يكون، فالكثير منهم كانوا يحفرون والبعض كانوا يُحضرون خشب الزان، وآخرون يحضرون المادة الورقية من شجر "الثبراء"، وآخرون يُحضرون الزيت القابل للاشتعال، كل فرد عرف ما يتوجب عليه فعله ففعل أكثر ما هو موجب عليه، وكان "بانديل" والحكيم

"صهيا" والأمير "آثال" وبعضاً من الناس يشرفون على العمل جيداً حتى يخرج كما خطط له "إندو" تماماً، وظلوا هكذا ليل نهار كما فعلوا مسبقاً عند بناء الأسوار، ولكنهم أصبحوا أكثر اهتماماً بالأمر لأن الأمر بالفعل يتطلب كل جهد حتى ينتهي في وقت قليل، كي يرتاحوا بعض الوقت قبل أن يخوضوا في التعب الأكبر والمنتظر، تلك الحرب المليئة بالمتاعب الثقيلة والتي لا يستطيع أن يتحملها أي إنسان عادي.

لقد بدؤوا الحفر بالفعل من تلك المنطقة التي ضرب فيها "إندو" أول فأس بيده، ثم تلاه الأمير "آثال" بالضربة الثانية، حيث أن الرغبة في الانتصار جرت في عروقهم مجرى الدماء، لذا عملوا بحفر الخندق كما عملوا من قبل في بناء السور .. بل إنهم زادوا اشتعالاً للطاقة الكامنة في أنفسهم أكثر من ذي قبل؛ لأن الوقت لم يعد يحسب بالأيام ولكنه أصبح يعد بالساعات بل بدقات القلوب، ولما قد زاد عدد الجنود أصبحت النساء لا تعمل إلا في إحضار الطعام ليل نهار، وكان العمل شاقاً عليهم جميعاً رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفال، ولكن كانت النفوس ترتاح لسماع قصص عن أساطير الأولين، تلك الأساطير التي تبعث للقلوب الحياة مرة بعد مرة، وأكثر الذين أراحوا الناس بذلك هم؛ الحكيم "صهيا" و "بانديل" وولده "إندو"، حيث أن الثلاثة كان لديهم من الحكم ما لا تسعه مجلدات متراكمة بعضها فوق بعض، تلك الأساطير التي تتجدد أمام أعينهم وكأن التاريخ يعيد نفسه من أجل المتأخرين حتى يعيشون ما عاشه السابقون، وما أشبه اليوم بالبارحة حيث الحرب والسلام والخير والشر، وما أشبه الغد باليوم حيث أن ما

سيحدث فيه هو الذي يحدث اليوم .. تلك الأشياء التي تتكرر في حياة البشرية أجمع.

لقد أصر الرجال على أن ينتهوا من الخندق في أقرب وقت ممكن، لذلك ظلوا يعملون بجدية تامة تامة، حتى أن الرجل منهم كان يعمل اليوم كاملاً ليل نهار، ونهارا وليل .. من أجل ذلك قام "بانديل" بتسجيل كل ما يحدث في كتاب حياته، حتى لا ينسى شيئاً قد يكون له أهمية كبرى دون أن يدونه في ذلك الكتاب الذي اتسعت له مجلدات كثيرة، لم يرد في بادئ الأمر أن يخلد اسمه بهذا الكتاب المليء بالأحداث التاريخية العظيمة، ولكنه فقط أراد أن يسرد ويؤرخ كل ما حدث له وكل ما عاشه وكل شيء عاصره، فلعله الوحيد الذي يفعل ذلك، ولكن هناك الحكيم "صهيا" وهو بالفعل يسجل كل ما يحدث من حوله، إلا أن "بانديل" نظر أولاً من ناحية الرؤية فلعله رأى شيئاً لم يره الحكيم "صهيا"، فهذا يكتب ما رآه وذاك يكتب هو الآخر ما رآه، ولا تتشابه الأحداث إلا في الأشياء التي تهم أناس كثيرون، كتلك الحرب الضارية التي هم مقبلون عليها والتي ستغير أشاء كثيرة جداً بعد انتهائها ولكن من يدري؟! إلا أن الحرب دائماً لا تأتي بخير، فكما سجل الحكماء كل شيء عن الحروب السابقة وعن مختلف العلوم، أراد "بانديل" أن يجمع كل ذلك في كتاب واحد هو كتاب حياته الشخصية، ثم من ناحية أخرى وهي الناحية الشخصية، فعلم أنه لن يتفرغ الحكيم "صهيا" خصيصاً كي يكتب قصة حياته، وبالطبع كل شخصية تحتوى على أشياء معينة تختلف عن الشخصيات الأخرى، وهي وحدها تلك الشخصية

التي تستطيع أن تبرز تلك الأشياء الخاصة بها، لذلك كتب "بانديل" بنفسه قصة حياته، حيث أنه يذكر فيها بعض المواقف التي من الممكن أن يأخذ منها الآخرون حكمة تنفعهم وتأخذهم إلى طريق الصلاح والخير، غير أنه يذكر فيها تلك المذكرات اليومية التي لا تخلوا من فوائد مؤكدة للآخرين، وخلاف هذا وذاك يذكر التاريخ بشكل أكثر دقة من الآخرين، فقد وضع قواعد وأسس لذلك الكتاب العظيم الذي بدأ كتاباه وهو ابن العاشرة من عمره، حيث أنه جمع بين التاريخ والفلسفة والآثار والفلك والهندسة والرياضة والطب وغير ذلك الكثير .. حتى أصبح الكتاب موسوعة لا يحصيها إلا من كان قلبه مغرماً بالقراءة، وتماشياً لتلك الأحداث الرهيبة أمسك الرجل المجلد رقم خمس وثلاثين كي يسجل كل ما يحدث من حوله .. وكان يفعل ذلك عندما لا يكون أحد بجوار سردابه، فيأخذ شعلة من أجل الإضاءة ويفتح الباب ثم يغلقه من خلفه ويأخذ الكتاب ويكتب ما شاء أن يكتب، وفي إحدى المرات وكالعادة دخل السرداب دون أن يراه أحد ومن ثم جلس وأمسك المجلد وأتى بالريشة والمحبرة كاتباً:

«أصبحت نبضاتنا أسرع بكثير مما كانت عليه سابقاً،

تلك النبضات الأخيرة للكثيرين من قُرّان و أدمات،

هاتان القبيلتان اللتان رفضتا الظلم الواقع عليهما،

من هؤلاء المخلوقات التي تسكن جبل الدم،

إنها الإرادة العظيمة لدى كل إنسان!

تلك التي تكمن في الحرية والسلام!

فمن أجل ذلك عملنا بجد،

واستهلكنا الكثير من طاقات الرجال والنساء!

بل الشيوخ والأطفال!

وطال العمل ليل نهار!

كي نصنع ما أملاه علينا ولدي إندو،

أو الفيلسوف الصغير!

الذي أتمنى له من الإله مستقبلاً باهراً،

فقد قطعنا أشواطاً كثيرة في الحفر،

حفر الخندق العظيم الذي فكر فيه إندو،

وتعبنا حقاً وكأننا لم نتعب من قبل،

كل ذلك كي نحقق النصر لكل البشرية،

على من ينادون بعبادة الشيطان!

على السحر والسحرة!

على أكلة لحوم البشر!

على كل من لا يؤمنون بالإله الحق!

فقد أموت في تلك الحرب الشديدة!

ولكن عجلة الحياة مازالت تدور،

ولن تتوقف أبداً عند شيء كهذا!

ولكنها تسير تجاه نهايتها العظمى!

فلن تدوم أبداً لمخلوقات فانية!

ولو كانت الدنيا دائمة لدامت لنفسها امرأة!

امرأة حسناء كالحور العين التي وعدنا الإله بها!

أو أنها دامت للصالحين الذين سبقونا بالإيمان!

حتى يعمروها بعبادة الإله الحق!

الخالق الذي خلقها وخلق كل الكائنات الفانية!

وقد لا أموت بسببها،

إلا أنه قد تعددت الأسباب والموت واحد،

ولكن هذه مرحلة عظيمة من مراحل البشرية،

فالبعض حتماً سيعيشها،

والبعض الآخر غارقاً في رهبة ذُرعت في قلبه،

ذرعها الطاغية جومار!

فحصد منهم الطاعة الدائمة،

ونسوا الإله العظيم فنسيهم!

وما كان الإله نسيّا!

ولكن من يترك الإله يتركه الإله،

ومن يذكر الإله يذكره الإله في الملأ الأعلى،

ويمكرون ويمكر وهو خير الماكرين».

بتاريخ /أهون الثالث من شهر خوان في العام خمسمائة وسبع وتسعين بعد الألف الثالثة.

لم يكن "بانديل" متفرغاً فقط لتدوين كل ما يحدث أمامه في القبيلة، ولكنه كان يعمل مثله مثل أي رجل آخر بل كان أكثرهم عملاً، حتى أنه من بداية أن ضرب ابنه "إندو" أول فأس في حفر الخندق إلى الآن لم تغفل عينه قط، ولما انتهى من تدوين ما جال بخاطره لذلك اليوم خرج كالعادة متبنياً الحرص التام على أن لا يراه أحد.

كان الليل قد خيم على المنطقة بأكملها ولم يكن هناك من أحد، لذا أخذ شعلته واتجه إلى الناحية الأخرى للجبل، وظل يمشي بعض الوقت مفرداً حتى بدأت تظهر بعض الشعل القليلة، حيث أن بعض الرجال كانوا يضبطون اللمسات الأخيرة للخندق، وكانوا جميعاً من أهل "قرّان" لأنهم هم الذين يعرفون كيفية صنع المادة اللازمة للخندق من شجر "الثبراء"، فألقى عليهم السلام .. ولكن القليل منهم من أجابه، والآخرون قد رفعوا أيديهم له، وذلك لأنهم كانوا مندمجين في النشيد الذي قد شرعوا في إنشاده، لأجل الفرصة العظيمة التي من الممكن أن تبقيهم على قيد الحياة منتصرين على جنود "جومار"، فجلس إلى جوارهم وأطرق السمع لما ينشدونه حيث قالوا:

«يا أيها الليل الجميل..

سنظل نتحلى بك وبنجومك،

ليس الآن فقط،

ولكن طوال العمر ما حيينا!

فقد كنا نودعك قبل الآن وداعاً صافياً،

من قلوبنا التي تألمت حزناً على القبيلة،

حيث كان قد أمر الظالم بمحوها،

ولكن قد ولد بعد الضعف قوة!

وبعد الظلام نور وهدى!

وبعد الحزن فرح وسرور!

وأصبحنا ذوي عقول تفكر وتدبر!

فلن نودعك بعد الآن أيها الليل،

لأن قلوبنا أصبحت تنبض بنجومك!

نبضات تملأها الرغبة في الحياة!

نبضات ضاحكة مستبشرة!

عالقة بالإله وبالآخرة!

وفي الحرب تصرخ في الوجوه الكافرة!

وكأن تلك الوجوه نخالها مغبّرة!

حمرٌ همُ مستنفرة!

فرت كثيراً من أناس في الحقيقة قسورة!

وبعد أن كنا نبكي أصبحنا الآن نبتسم!

لأن الأحلام لم تعد ضائعة،

بين رغبات الطواغيت،

ولكنها ازدادت بازدياد الرغبة في النصر،

كنا نعمل والبكاء طعامنا وشرابنا!

والحياة سجن عظيم كقبر فيه رفاتنا!

لم يكن لنا مخرجاً منه،

ولكن الحال تغير بأمر من الإله!

لأننا تمسكنا ببعضنا البعض،

من أجل نصرة الإله!

لذلك سهّل لنا الإله طريقنا إلى الانتصار،

فلن تعد تصرخ أرواحنا من ذلك الأمر!

لأننا سنتعود بعد ذلك على الحروب،

تلك التي كتبها الإله علينا،

وسوف نفعل ما بوسعنا دائماً،

ولن نفر من الحرب أبداً ما دمنا بها،

لأجل الإله الخالق!

وسوف ننتصر بإذنه في كل وقت،

لأننا نحارب من أجله،
فسوف ينصرنا أيضاً من أجله،
فلن نودعك أبداً أيها الليل بعد ذلك!
ولن نودع نجومك هي الأخرى!
ولن نودعك أيتها السماء!
حتى أننا لن نودع القمر الجميل!
ولن نودع الشمس التي آلت إلى السطوع!
بل سنودع الخوف ونقبل على الشجاعة..
شجاعة القلوب التي نبضت للإله شكراً وحمداً!
تلك القلوب التي تريد أن تفتك بالسحر والسحرة،
حتى لا يتكبرون من بعد ذلك على الخالق الأحد..
الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد..
ولم يكن له كفواً أحد.
فنحن ننتظر مجيئهم بشغف،
كي نفعل بهم ما هو مكتوب عند الإله العظيم،
فلن نخاف بعد اليوم!
ولن نودع شيئاً قيماً بعد اليوم،
لأن ما عند الإله أجمل مما نرى ونتمنى،

وذلك ليس موجوداً عند أحد غيره،

فقد كتب علينا القتال وهو كره لنا!

وعسى أن نكره شيئاً وهو خير لنا!

وعسى أن نحب شيئاً وهو شر لنا!

والإله يعلم ونحن لم نكن من العالِمين».

هكذا أكملوا المسيرة على هذا الحال، كل في عمله يحرزه على أكمل وجه ممكن، والأمل قد طال لديهم بالإله العدل الذي لا يحب الظلم لعبيده الأخيار، وانتهت ثمانية أيام ليكون الخندق قد كمل حفره وغطاءه كما رسم له "إندو" تماماً، وخلاف ذلك أن الأمير "آثال" قد أمر بعضاً من جنوده المحترفين في صنع الأسلحة ببناء مجانيق ووضع منجنيق واحد على رأس كل خمسين ذراع من داخل السور، ليلفت أيضاً الأنظار حينما يقترب العدو، وأعد كل فرد أسلحته التي سيستخدمها كي يعرف أين سيكون مكانه بالتحديد .. ولم يبقى إلا شيء واحد غير ذلك؛ إنه معرفة الوقت الذي سيظهر فيه العدو، ولكن الأمير قد طلب من بعض الفرسان أن يتفقدوا الطريق حتى يعرفوا إن كان العدو قد قدم أم لا، وارتاح الجميع من العمل الشاق إلا من بعض التعليمات التي يلقيها عليهم الأمير، ليعدوا بأنفاسهم أنفسهم لتلك الحرب التي لا يعرف أضرارها إلا الإله الخالق.

الفصل الثالث عشر

فــرســـــان التجســـــس

أعد الأمير "آثال" سرية مكونـة مـن أربعـة مـن الفرسان الأقوياء الـذين يجيدون امتطاء الخيل كما يجب لهم، وذلك لـضيق الوقـت أمـامهم وإرادة التطلـع على الجيش الآخر في أقرب وقت ممكن، امتطى كل فارس جـواده وحمـل سـلاحه وانطلقوا بأربعتهم طالبين من الإله أن يرجعوا من هذه السَرية على خير، تكونـت المجموع من اثنين من قبيلة "أدماث" واثـنين آخـرين مـن قبيلـة "قُـرّان"، كانـت جيادهم لا يشق لها غبار من تلك السرعة التي انطلقوا بها، وكأنها بـرق لـع أمـام القوم ثم اختفى في لمح البصر، كانوا قد سمعـوا آخـر كلمـات الأمـير "آثـال" لهـم، حيث قال: «اذهبوا في رعاية الإله، ولا تأتوا إلا بكل الأخبار المفيدة إن شـاء الإلـه لكم هذا».

وما كان منهم إلا أنهم أسرعوا من انطلاقهم الشديد، ذلـك الانطـلاق الـذي كان في صباح اليوم التاسع من بدأهم من حفر الخنـدق، والـتي كانـت بـدايتها مـن سفح جبل "طابان" في أقـصى الجهــة الـشرقية، لـذلك اتجهـوا في بدايـة الأمـر إلى الشمال، حيث أنهم بعد مسافة ما سوف يتجهون إلى الشمال الـشرقي، وذلـك لأن حدود قبيلة "قُران" من الناحية الشرقية تأخذ ميلاً من سفح الجبل وهو ما يحـدها

من ناحية الجنـوب الـشرقي، إلى ناحيـة الـشمال الغربـي، وذلـك أيـضاً ليتفـادوا بحيرة "بابرت" التي تقع تجاه جنوب شرق القبيلة، والتي من الممكن أن تـأخرهم كثيراً إن ذهبوا مـن ناحيتهـا، إلا أنهـم سـوف يمـرون علـى حافتهـا مـن ناحيـة الشمال الغربي، حيث حدودها من تلك الناحية وبداية غابات "برام" التي يحدها نهر قبرونيا من ناحية الشمال الغربي، تلك الغابات التي تُعتبر أول الأشياء التي يحدها النهر بعد قبيلة "قُرّان"، والتي من المتوقع أن يتسلل الجـيش الآخـر منهـا بعد مرورهم من نـهر "قبرونيا" إلى الناحية الجنوبية، وذلك مـن مـضيق صـغير في النهر كان سببه جندل عظيم أدى إلى ارتفاع قاع ماء النهر، لذا أصـبح مـن الـسهل المرور منه حتى للأطفال في سنهم الصغير.

لم يكن لهؤلاء الفرسان وقتاً حتى يأكلون فيه، لذا كانوا يخرجـون الطعـام من حقائبهم الـتي علقوهـا معهـم علـى الخيـل، ويـأكلون أسـناء سـيرهم الـذي لم يتوقف للحظة، كان الطريق مـن أمـامهم ممهـد تمامـاً، ذلـك لأن مـا بـين القبيلـة والـبحيرة أرض تكثـر فيهـا الرمـال والأحجـار الـصغيرة وتقـل الـصخور الحـادة العظيمة، لذا لم يكن هناك أي شيء يعوقهم في ذلك الطريق أبداً، لم يكن هناك مـا يشغلهم أثناء الطريق إلا الحديث فيما سيكونون عليه عندما يدخل الجيش الآخـر قبيلة "قُرّان"، كان أحدهم من قبيلة "أدماث" يدعى "دَبيل"، وكان هو أكثرهم قوة وأهيبهم منظراً وأعظمهم جسداً وبنياناً وبـالطبع أكـبرهم سـناً، وكـان هـو المتقـدم عليهم دائماً بجواده القاني العظيم، حيث أن الأمير "آثال" قد ولاه قائـداً علـيهم، فقد قال لهم أثناء ذلك الحديث في وصفه لأحد هؤلاء الوحوش أكلة لحوم البشر ذو

المناظر البشعة، حيث أنه هو الوحيد من بينهم الذي رأى تلك المخلوقات الرهيبة المخيفة: «كنت في مهمة في إحدى النواحي الشمالية الشرقية، بالقرب من المناطق المحظورة لـ"قلعة التنين"، عبر الأحراش والغابات القريبة منها، كانت تلك المهمة من أجل إحضار بعضاً من نبات "الآس"، الذي ينمو هناك بكثرة شديدة، وذلك عندما مرض الملك "ديماس" والد الأمير "آثال" مرضاً شديداً، ذلك المرض الذي كاد يودي به في بادئ الأمر، إلا أن الإله أراد له الحياة، ولكن ظل المرض به حتى الآن كما تعلمون، ولكنه لم يكن يرتاح إلا بهذا النبات دائماً، فعندما ذهبت في بادئ الأمر عبر تلك المناطق، كان معي واحد من الفرسان الأقوياء والذي يشهد له من رآه بالقوة والشجاعة، ولكن كي أكون منصفاً له كنت أنا تابعاً له، حيث هو الذي كان يشرف على تلك المهمة الصعبة، وذلك لأنه قد ذهب إلى تلك المناطق مرات عديدة، أيضاً من أجل إحضار نفس النبات للملك، حينها اقتربنا كثيراً من تلك المناطق المحظورة، لذا كنا حريصين أشد الحرص على ألا يرانا أحداً من هؤلاء، لأن مجرد رؤيتهم لنا شيء حتماً سيودي بروح كلاً منا، قد أمرني هذا الفارس وقتها أن أترجل عن الجواد من أجل قطف بعض تلك النباتات من جذورها، حيث أراد هو أن يؤمن المنطقة خلال الوقت الذي أجر فيه قطف النبات، ظللت آنذاك اقطف من النبات الكثير وأقوم بتعبئته حتى اكتفيت، ولكن مر بعض الوقت دون أن أراه أو أسمع له صوتاً، فتعجبت كثيراً من ذلك حيث أنني كنت أشتم أنفاسه في المنطقة، ولكنه قد حدث أمر غريب بعد ذلك، فقد وجدت سهم من سهام قبيلتنا قد وقع في تلك المنطقة بجواري، فذهبت تجاه

السهم لأجد به ورقة كُتب فيها "من "سيلان" إلى "دَبيل"، أأمرك أن تتوجه حالاً إلى القبيلة ولا تنظر خلف ظهرك، وأرجو أن تنساني"، ولكن لم أفعل ما أمرني به بشكل دقيق، حيث أنني نظرت إلى الناحية التي ضُرب منها السهم، لأجد فيها أكثر من عشرين من هؤلاء الوحوش وقد التفوا بـ"سيلان" ، ذلك الفارس العظيم الذي لم أرى له مثيل في شجاعته وإقدامه، حقاً كان المنظر رهيب وهو يتقطّع بينهم كما لو أنه قطعة لحم يلعب بها أطفال الأسود ويوزعونها على بعضهم البعض كل له قطعة، حينها احترقت من داخلي وكدت أن أذهب إليهم لأفتك بهم جميعاً، لكن كان هذا ضرب من المستحيل، حيث أن الواحد منهم كان ارتفاعه ما يقارب الذراعين والنصف أو الثلاثة أذرع، ورؤوسهم وحدها بحجم رأسين من رؤوسنا نحن البشر، وعيونهم التي لم تقع عليّ برحمة من الإله، يا لها من عيون حمراء وصفراء فاقعٌ لونها تخيف الناظرين!، وأنوفهم البغيضة المعوجّة الواسعة التي كأنوفِ القرود بل أبغض منها حتى، وآذانهم التي كورق القلقاس المتدلية على أكتافهم المترهلة، وأفواههم التي فتحوها إلى أخرها ليأكلوه، تلك الأفواه التي التهمته في وقت قليل، ومع ذلك لم يستنجد بي خوفاً عليّ، بل إنه لم يتفوه بكلمة آه حتى، وهو بين تلك المخلوقات التي مهما وصفتها ما وصل لكم ذلك الشكل المخيف لدرجة الموت، ثم إن أسنانهم التي لا توصف هي الأخرى تلك الأسنان التي برزت قواطعها الوسطى كما لو أنها أنياب لفك أسد عظيم، غير أنيابها المخيفة وأسنانها الرفيعة التي حقاً يتعجب منها كل من ينظر إليها، كل هذا في كفة وألوانهم المخيفة في كفة أخرى، تلك الألوان الحمراء الداكنة الآخذة

على السواد، وشعرهم الغريب الذي كهشيم المحتضر شيء فظيع حقاً، وثيابهم الجلدي المهلهل المغطى بالدماء شيء لا يتخيله بشر في أي زمان ومكان، عندها تسلل الخوف من كل مكان إلى جوارحي وكياني، فتفككت أعصابي كلها عن أخرها ولم أستطع التفكير، ظللت واقفاً بعض الوقت أنظر إليهم وهم يلتهمونه، ولا أجدني إلا مكتوف الأيدي في مكاني والنار تحرق فؤادي، وعقلي يكاد يشل من رؤية ذلك المنظر الفظيع، كنت قد نسيت الورقة آنذاك ولكن حينما وقع عليها بصري مرة أخري، تذكرته وقلت في نفسي: أنني لابد وأن أحقق آخر رغبة لذلك الفارس العظيم، وامتطيت الجواد الخاص بي وانطلقت بسرعة لم أتخيلها أنا شخصياً، إلا أنني لم أنساه أبداً ولن أنساه طوال حياتي كلها!».

«يا لها من مأساة عظيمة حقاً! ، ويلهم من الإله هؤلاء الوحوش النكرة».

قال ذلك "أثيب" أحد فارسي قبيلة "قُرّان"، ثم تلاه "حصبان" الفارس الثاني من تلك القبيلة أيضاً قائلاً: «فلينصرنا الإله عليهم، هؤلاء البشر الذين تحولوا إلى تلك المناظر البشعة!».

ابتسم الفارس الأخير وهو "أبيناف" ابن قبيلة "أدماث"، قائلاً: «لعل هذه المخلوقات فظيعة كما قال "دَبيل"، لكن سوف نمرح معهم بعضاً من الوقت لعلنا نسعد بذلك بعد الانتصار، ولتكن قلوبكم صامدة وقوية عند سماع ما تكرهونه حتى لا يودي بكم ذلك إلى كراهة أنفسكم، فلم أرى منهم أحداً قط ولكني أتمنى أن أقابلهم اليوم قبل الغد، قد أموت بين أيديهم وقد يأكلني أحدهم، لكن هذا لن يحدث إلا بعدما أفعل بهم ما لم يسمعون عنه مطلقاً، ما

يكرهون حتى سماعه!».

فابتسم "دَبيل" على إثـر مـا قالـه "أبينـاف"، ثـم قـال: «مرحبـاً بهـم يـا صديقي في أي وقت يحبون، بل مرحباً بهم في تلـك الحـرب الـتي سينـصرنا الإلـه فيها بمشيئة منه، تعالى الإله عما يفعلون».

كانت هذه هي الأحاديث الـتي دارت بيـنهم جميعـاً، غـير الحـديث عـن الخطط التي قام بها "إندو" "الفيلسوف الصغير"، ذلك الطفل الذي انبهر بـه حقـاً كل كبير وصغير في قبيلة "قُرّان"، بل أكبر الرؤوس التي حضرت إليها مـن قبيلـة "أدماث" قد تعجبوا له كثيراً، وكفى الأمير "آثال" أن يكون مـن هـؤلاء الـشاهدين بانبهارهم لتلك العقلية العظيمة الـتي رزقهـا الإلـه لـذلك الفتـى الحكـيم "إنـدو بانديل".

ظلوا على هذه الحالة بعضاً من الوقـت، ومـا أن انتهـوا مـن الكـلام حتـى أسرعوا مرة أخرى نحو الأمام، وبعد وقت ما وصلوا إلى حافـة الـبحيرة مـن جهـة الشمال الغربي حيث بداية غابات "برام"، حينهـا قـال "دَبيـل": «هنـا لابـد وأن نحترس جيداً لأنه من الممكن أن يخرج لنا أحدهم من وراء شجرة مـا أو مـا شـابه ذلك، فهم بالتأكيد لديهم من الذكاء ما لدينا، ولكن لهم حاسة شم ليست لـدى أي أحد من البشر مثلنا، ولابد أنهم أيضاً قد بعثوا جواسيس يتحسسوا لهم الطريـق، وهؤلاء من الممكن أن نجدهم على مقربة منا، فكونوا حريصين جيداً علـى أنفـسكم وإلا فستصبحون كما أصبح "سِيلان" بين أيديهم يفعلـون بكـم مـا فعلـوا بـه، ولـن يستطيع أحد أن ينجدكم منهم، حتى ولو كان الجيش كله معنا، لأنهـم مجـرد أن

يمسكوا بأحدنا وكأنه قدح ماء شُرب ما فيه وأُكل».

كانت هذه الكلمات التي تحدث بها "دَبيل" قبل دخولهم الغابة، وذلك ليكونوا حريصين جيداً لكل حركات الغابة وسكناتها، وإلا فسوف يذهبون إلى بطون هؤلاء الوحوش بلا حول منهم ولا قوة، ولكن أحدهم ظل يدور بجواده حول نفسه على مشارف الغابة في تركيز شديد، وكان هو الفارس القُرّاني "حصبان"، حيث أنه بعد وقت ما من ذلك التركيز المتعب للأعصاب والمتلف للعقول قال: «إذاً لابد أن نفترق إلى طرق شتى، وبعد وقت ما نلتقي هنا ثانية، مقدار هذا الوقت هو أن يصير ظل الفرد منا مثله، وكل واحد منا يشهر سلاحه حتى يكون جاهزاً لأية مخاطر يتعرض لها».

«أنا لا أتفق معك على هذا يا "حصبان"، إن الأمر خطير جداً وعدم تواجدنا مع بعضنا البعض سيوقعنا بين مخالبهم الواحد تلو الآخر».

قال ذلك "أُثيب" ثم تحرك بجواده حركة دائرية حول "حصبان"، وما كان من الأخير إلا أنه ترجل عن جواده ووقف أمام" أُثيب" الذي ظل ممتطياً جواده قائلاً: «إن ظللنا على جماعتنا دون أن نفترق فسنصبح فريسة سهلة لهم، حيث أنهم بذلك سيرتاحون من عناء البحث عن أناس آخرين. أما لو تفرقنا فسوف يكون هذا عناء عظيم عليهم، فسيتفرقون هم الآخرون وبذلك من الممكن أن تتوافق قوانا، حيث أننا من سنبحث عليهم وليس هم، لأنهم سيصلون إلينا بأي طريقة إن كانوا موجودين حقاً، وذلك لقوة حاسة الشم لديهم كما أفاد "دَبيل" من قبل، حينها سيكون كل واحد منا في منطقته جاهز لاصطياد أحدهم، وإن وقع

أحدنا بين أيديهم فسوف يقع وحده دون الباقين، ولا بد أن ينجو فرد منا على الأقل إن لم ننجوا جميعاً، وذلك من أجل الذهاب إلى الأمير "آثال" وإخباره بمدة قدوم هؤلاء أكلي لحوم البشر».

«أنا أتوافق معك كثيراً يا "حصبان"».

قالها "دَبيل" ثم ترجل هو الآخر عن جواده، ليترجل كلاً من "أُثيب" و"أبيناف" كما فعل كل من "حصبان" و"دَبيل"، واقتربوا بأربعتهم ليصنعوا دائرة مكونة من أربعة أفراد فقط، حيث مد "دَبيل" يده اليمنى إلى الأمام لتشق نصف الدائرة حتى يفعل مثله الباقون، وعندما فعلوا ذلك تراصت الأيدي فوق بعضها البعض، وانتقلت أنظارهم بينهم جميعاً ومن ثم أصدر "دَبيل" صوتاً يدل على وداع أو بيعة أو مشابه ذلك قائلاً: «عندما يصير خيال كل منا مثله لا بد وأن نكون في هذه المنطقة إن شاء الإله لنا ذلك».

وما كان من الباقين إلا أن أجابوا قائلين: «هذا عهد علينا جميعاً».

بعدها نظروا إلى بعضهم البعض نظرة وداع مليئة بالحزن، ثم امتطى كل منهم جواده وانتشروا بأربعتهم متفرقين في أنحاء الغابة، كل واحد منهم أصاب ناحية، كانت الشمس آنذاك عمودية فوق رؤوسهم، أي أن ظلهم كان تحت أرجلهم وذلك وقت الظهيرة تماماً، كانت الغابة ساكنة حقاً حتى أنه لم يكن هناك هواء شديد يصدر صوتاً من حولهم، إلا أنه كانت هناك بعض الطيور التي كانت تحلق من فوقهم وتصدر أصواتها الرقيقة، فبدت الغابة وكأنها منطقة لمقابر قديمة لا صوت فيها إلا للطيور التي تسكنها أو تحوم من فوقها فقط، لا هواء ولا

أناس ولا حيوانات، كان هذا شيء يطمئن القلوب ولكن تلك الكلمات التي قالها "دَبيل" سابقاً علقت في آذانهم جميعاً وهو من قبلهم، حيث أنها ترددت في عقولهم جميعاً: «هنا لابد وأن نحترس جيداً لأنه من الممكن أن يخرج لنا أحدهم من وراء شجرة ما أو ما شابه ذلك، فهم بالتأكيد لديهم من الذكاء ما لدينا، ولكن لهم حاسة شم ليست لدى أي أحد من البشر مثلنا، ولابد أنهم أيضاً قد بعثوا جواسيس ليتحسسوا لهم الطريق، وهؤلاء من الممكن أن نجدهم على مقربة منا، فكونوا حريصين جيداً على أنفسكم وإلا فستصبحون كما أصبح "سِيلان"».

كانوا لابد أن يأخذوا حرصهم جيداً، وألا يطمئنوا من هذا السكون الذي ساد الغابة كلها، ذلك السكون الذي من الممكن أن يخترقه أي مخلوق من هؤلاء المخلوقات القبيحة الدميمة التي لن ترحم فريستها إن أمسكت بها، فكان عليهم أن يحترسوا جيداً حتى لا يصبح أحدهم فريسة بين يد أحد هؤلاء أكلي لحوم البشر.

كان "دَبيل" له من المعرفة ما يجعله مطمئناً قليلاً، حيث أنه يحس بوجود أية أشخاص في المنطقة التي هو بها من أصوات الطيور التي تحلق من فوقه، وذلك لأن أصوات الطيور تختلف من كونها ترى مخلوقات تسير على الأرض وكونها لا ترى ذلك، وهذا يغير من أصواتهم حيث أنهم يصدحون على طبيعتهم عندما لا يجدون أحد يسير تحتهم على الأرض، وبالطبع تكون أصواتهم تلك رقيقة لا تشوبها أي شائبة، ولكن عندما يرون خلاف ذلك يصدحون بعنف وكأنهم يصرخون كما تصرخ النساء، ولكن هذا كله كان شيء طبيعي من الممكن أن

يتعلمه الكثيرون، بل هذا شيء يعرفه الأطفال حتى، إلا أن ما لدى "دَبيل" أثمن من هذا بكثير حيث أنه يفرق حتى بين صدحهم عندما يرون بشر عاديين وبين المخلوقات الأخرى، سواء كانت أسود أو نمور أو بهائم أو حتى أكلة لحوم البشر، فهذا طمأنه كثيراً لأنه لم يسمع تلك الطيور بذلك الصدح الذي كالصراخ والذي من خلاله يعرف إن كان هناك أحد من هؤلاء أكلة لحوم البشر أم لا.

أما بالنسبة لـ"حصبان" فقد أخرج قوسه ولقمه بسهم قد أخرجه من تلك الجعبة الجلدية التي علقها على ظهره، حيث أنه كان يستخدم هذا السلاح في وقت قصير جداً، ولم يسبقه أحد في مرة ما في سحب السهم وتعليقه بالقوس ثم ضربه حيث الهدف، ما كان عليه طوال طريقه إلا النظر حوله، حيث أنه بذلك يكون ملماً بكل الاتجاهات كي لا يتفاجئ بظهور أحدهم من أي ناحية من تلك النواحي، فينقض عليه ويفعل به ما شاء أن يفعل.

كان وقتها قد شهر "أبيناف" رمحه الأسود، متقدماً في طريقه دون النظر إلى الوراء حتى يجتاز تلك الغابة في وقت قليل، ولكن بشيء من الحرص والاحتراس حتى لا يكون لقمة هينة لأولئك المتوحشين، كان وقتها لازال السكون قابع على المكان إلا من صدح تلك الطيور، وكان هذا حقيقة يرسل الرعب عبر نسمات الهواء الساكنة إلى فؤاد "أبيناف"، لأنه لا يحب الهدوء في مثل تلك اللحظات المخيفة، كما أنه لا يحب الحركة المقلقة أيضاً في تلك الظروف.

كان الحال لدى ثلاثتهم مختلفاً كثيراً عما كان لدى "أُثيب"، حيث أنه كان شاهراً سيفه ولكن كان مترجلاً عن جواده وكأنه يقول لأي شيء يقبع في تلك

الغابة: «أنا هنا ولست خائفاً من أي أحد، فليأتني من يأتني فصدري منشرحاً لمن يريد الاقتراب».

ولكن حالته كانت على العكس من ذلك تماماً، حيث أنه ترجل عن الجواد حتى يستطيع أن يراقب المكان من جميع نواحيه، وحتى يستطيع كذلك أن يقاتل كل من يقترب أو يوجه جواده إلى الناحية التي يريدها من أجل الهروب والملاذ بالفرار.

أحس "حصبان" بحركة غير طبيعية من خلفه، كانت حركة لم يعتادها طوال الوقت الذي قضاه داخل تلك الغابة، حيث أنه لم يعتاد إلا على صوت الطيور وهي تحوم فوق الأشجار، ولكنه بحركة لا إرادية منه اتجه بكامل جسمه الأعلى للخلف وقبل أن يرمي نظره أطلق أسر السهم الذي قد علقه في القوس من بادئ الأمر، وذلك حيث المنطقة التي سمع منها ذلك الصوت الذي لم يعتاده، وما كان من السهم إلا أنه مر من فوق رأس أحدهم ليرشق في الشجرة التي خلفه، ولكنه قبل أن يضرب السهم الثاني الذي التقطه من جعبته بمجرد أن أطلق سراح السهم الأول من القوس، حيث أنه قد فعل ذلك حتى قبل أن يصل السهم الأول إلى الهدف، كان قد رأى القادم حيث مظهره الأنيق الذي لم يدل على أكلي لحوم البشر، بل دل على فارساً ممتطياً جواده الذي هو باللون الأحمر القاني، ذلك الفارس لم يكن إلا "دَبيل" الذي أحنى رأسه حتى يمر السهم الذي أطلقه "حصبان" من فم قوسه بسلام تام، فنظر "دَبيل" إلى الخلف حيث السهم الذي كاد أن يطيح برأسه فوجده قد التصق بشجرة من خلفه، فتنهد تنهيدة أنمت عما

بداخله من حمدٍ للإله على أنه أبقى على حياته، ثم أعاد نظره إلى "حـصبان" مـرة أخرى، حينها اقتربـا الاثنـان مـن بعـضهم وابتـسم كـلاً منهمـا للآخـر، فابتـدر "دَبيل" الحديث قائلاً: «لقد كدت أن تصيبني بسهمك يا رجل، إنك بـارع حقـاً في رمي تلك السهام، ولكن لابـد أن تنظـر إلى هـدفك في المـرة القادمـة حتـى لا تخطـأ وتصيب أحد أصحابك بدلاً من هدفك نفسه».

«إنني في مثل تلك الأوقـات أتـرك الـسهم يـرى بعينـه هـو، وذلـك عـبر الإحساس الذي يتدفق داخل قلبي، لينبض نبضة من خلالها تعمل كل جارحة من جوارحي استعداداً لمن أراد الاقتراب مني، ولكن وقت استعدادي هـو نفـسه وقـت الهجوم».

قال ذلك "حصبان" الذي ابتسم ابتسامة بانت مـن خلالهـا نواجـذه، ذلـك الرجل الذي اعتاد الصيادة بالسهام طوال حياته، لذا كان أول فـارس عنـدما طلـب لتلك الحرب، فابتسم على إثرها "دَبيل" قائلاً: «لم أكن أعلم أنك بمثل هـذه الثقـة الكبيرة بنفسك أبداً يا "حصبـ. .»".

لم يكد يكمل "دَبيل" كلامه حتى رأى من "حصبان" زمجرة لم يراها عليه مـن قبـل، ولم يـتكلم الأخـر لكنـه رفـع القـوس ووجهـه إلى الناحيـة الـتي فيهـا "دَبيل"، وما أن أطلق السهم حتى شق الهواء بجوار أذن صاحبه ليمتـد في طريقـه حيث الهـدف الذي أراده "حصبان"، فقـد أصـاب الـسهم هدفـه كمـا يجـب لـه أن يكون، فما كان ذلك الهدف إلا جبهـة أحد أكلي لحوم البشر الـذي انهـار مرتطمـاً بالأرض جثة هامدة بمقربة من "دَبيل"، وذلك بشكله الذي تزمجر منه "حصبان"

سابقاً، ذلك الشكل الذي انطبق كثيراً مع وصف "دَبيل" لهم، لم ينظر "دَبيل" إلى الخلف حيث ذلك المخلوق الذي سمع ارتطامه بالأرض من خلفه، إلا أنه أخرج رمحاً خاصاً به من الجانب الأيسر لجواده، ثم رفعه إلى أعلى وتحكم به جيداً وتشكل وجهه بملامح المقاتلين الأقوياء، ومن ثم أطلقه هو الآخر في تلك الناحية التي يقف فيها "حصبان"، فمر من جوار أذن "حصبان" هو الآخر ليصيب أحد أكلي لحوم البشر في حنجرته ليقع على الأرض قبل أن ينقل قدمه بخطوة واحدة أخيرة، هنا تحدث "دَبيل" ببعض الكلمات قائلاً: «لقد آن الأوان يا صديقي».

ثم أخرج سيفه ووقف بجوار "حصبان" الذي لقم قوسه بما في جعبته من سهام، حيث أنه بدأ يلقمه بدلاً من سهم واحد ثلاثة سهام مرة واحدة، نبضت الغابة من حولهم نبضة سكون واهن، ثم تلتها نبضة جعلت الطيور التي تحوم من فوقها تصيح وتصرخ بقوة لم تكن عليها سابقاً، حتى عدّل "دَبيل" و"حصبان" كلاً منهما رباطة جأشه واستقر مكانه، كان قد خرج لهم من تلك النواحي ثمانية من أكلي لحوم البشر، كلهم يحملون السيوف إلا واحد كان يحمل قوساً كما يحمل "حصبان"، لذا أطلق سهماً من قوسه الغريب القوي ناحية الاثنين، ولكنهما تفادوه بسهولة، ولكن المخلوق البشع كان أسرع من ذلك بكثير، حيث أنه ضرب السهم الثاني ناحية "حصبان" وذلك لأنه قد رأى أنه أخطر عليهم من الآخر، وهذا من خلال رؤيته لحمله للقوس الذي قد ألقمه سابقاً بثلاث سهام، فتفاداه "حصبان" هذه المرة بصعوبة بالغة، حيث أنه أحنى هامته بقوة إلى الأمام ثم رفعها مرة أخرى بشكل دائري، رفع معها قوسه مطلقاً سراح الثلاث سهام

بضربة طولية ليخترقوا الهواء وليثبتوا في جسد ذلك المخلوق الكريه، كل سهم في منطقة مختلفة عن الآخر في ذلك الجسد الذي يبلغ طوله الثلاثة أذرع، حينها تقابل سيف "دَبيل" مع أحد سيوف هؤلاء المخلوقات البشعة، التي لمعت أعينهم الصفراء والحمراء كما يلمع البرق في كبد السماء، وما كان على "حصبان" إلا أنه لقم القوس مرة أخرى بعدد تلك السهام السابقة، ولكنه هذه المرة قد أطلق سراحهم بضربة عرضية أصابت مخلوقين منهم، أحدهم كان نصيبه سهمين، ولكن الآخر كان نصيبه واحد إلا أن إصابته كانت بالغة عن صاحبه، وذلك لأن السهم قد أصاب جوفه عبر فمه الذي كان قد فتحه ليصرخ به في هذين البشريين، فارتطم بالأرض بعدما رجع إلى الخلف مسافة ذراعين أو أكثر ليصبح جسم بلا روح، وتابع عمله من ناحية ومن ناحية أخرى كان يقاتل "دَبيل" بقوة شديدة، حتى انتفخت عروق وجهه وتسلل العرق من جبينه لينزل على كامل وجهه، ولكنه ببراعة الفرسان الأقوياء استطاع أن يقتل اثنين هو الآخر من هؤلاء أكلة لحوم البشر، قد حرص كلاً منهما أن يتفادى أية ضربة من تجاه أحد تلك المخلوقات أياً كانت، حتى أن بعض الرماح قد ألقاها عليهما أكلي لحوم البشر، ولكنهم تفادوها جميعاً إما بانحناءة أمامية أو جانبية من كليهما، أو بالسيف من خلال "دَبيل"، كان وقتها لم يتبقى إلا ثلاثة من هذه المخلوقات، فقد تكفل "دَبيل" بأحدهم ليتكفل "حصبان" بالآخرين من ناحية أخرى، حيث أنه أخرج سهم واحد ثم لقمه لقوسه وأصاب أحدهم في عينه، فوقف مكانه بعض اللحظات قبل أن ينهار على الأرض، كان وقتها يشق "دَبيل" الهواء بسيفه ناحية رأس

واحد منهم ذلك الذي كان خاصته؛ فشقه نصفين في منظر دميم قبيح كاد يتقيأ منه "دَبيل"، حينها صرخ الأخير الذي كان قد تكفل به "حصبان" من قبل صرخة كادت تنخلع لها الأشجار من جذورها، وتفوه ببعض اللعنات قائلاً: «لعنة "جومار" عليكما أيها اللعينان!».

كانت صورته وقت ذاك مسخاً اشمأز منها الرجلان، وكان قد أسرع تجاههم إلا أن "حصبان" أطلق عليه سهم والثاني ولكن دون أي تأثير يذكر، وكان الأخير يقترب أكثر منهما وهو شاهر سيفه بوحشية مريبة بشكله القبيح، إلا أن "دَبيل" تنهد تنهيدة قوية وهو يرفع سيفه لأعلى، وقبل أن يلقم "حصبان" قوسه كان قد أطلق الآخر سيفه ناحية ذلك المخلوق البشع، ليصيبه في وجهه ويقع على الأرض جثة أخيرة لهؤلاء العشرة من أكلة لحوم البشر.

كانت فترة عصيبة تلك الفترة التي قاتلوا فيها هؤلاء الوحوش، إلا أنهم بعون الإله لهم استطاعوا أن ينتصروا عليهم جميعاً، وقتذاك ترجل كلاً منهما عن جواده بعدما تأكدوا أنه لا يوجد أحد آخر بالمنطقة، وما أن وصل "دَبيل" إلى آخر واحد قتله استل سيفه الذي كان قد رشق في وجهه القبيح، قد استله بنظرة دلت على الرغبة في التقيؤ حقاً، ولكنه بعدما فعل ذلك مسح السيف في ثياب ذلك القبيح وابتعد عنه في ومضة عين، ذلك لأنه إن وقف لحظة أخرى لأدى ذلك إلى تقيأه بالفعل، ثم نظر إلى "حصبان" الذي انحنى إلى الأرض ليلتقط قوس الوحش الذي قتله في بادئ الأمر، وما أن رفع رأسه حتى قال له "دَبيل" سائلاً: «ماذا تفعل هناك؟! هل هناك شيء يستحق أن تنحني من أجله؟!».

فرفع "حصبان" قوس الوحش إلى أعلى قائلاً: «هذا ما انحنيت من أجله يا "دَبيل"».

كان هذا القوس أطول من "حصبان" نفسه بعض الشيء وأثقل من قوسه الشخصي بمرات ثلاثة، وكان مقوساً بعض التقوسات اللطيفة من طرفيه خلاف انحناءته العكسية للرامي، والتي أدت إلى جمال مظهره، وذلك لأنه يصنع في "قلعة التنين" حيث مصنع الأسلحة الذي أنشأه "الحاكم الأول" من قبل، والذي يعمل فيه أبرع صناع الأسلحة على الإطلاق، وهم "الشياطين المنفيون"، هؤلاء الشياطين الذين أقامهم "جومار" على ذلك المصنع العظيم بعدما أحرق "رولينجلاس" في "محرقة النهاية"، ولا شيء من الأسلحة الأخرى التي يمتلكها البشر تستطيع أن تصمد كما تصمد تلك الأسلحة العظيمة، حتى أسلحة قبيلة "أدماث" نفسها لا تستطيع ذلك، لأن هؤلاء الشياطين يستخدمون مواد خاصة بهم، أقوى من المواد التي يستخدمها البشر في صنع أسلحتهم أضعاف أضعافها مرات عديدة.

ثم إنه انحنى مرة أخرى على جسد ذلك المخلوق باشمئزاز ليلتقط منه جعبته المليئة بالسهام، تلك الجعبة القوية التي صنعت من جلد التمساح، ثم استأنف الحديث قائلاً: «إن تلك الأسلحة ثمينة جداً يا "دَبيل"، فإنها من صنع الشياطين إن لم أكن مخطأ، تلك هي الأسلحة الأقوى على الإطلاق، فاحمل سيفاً لعله يفيدك فيما بعد».

ابتسم "دَبيل" قائلاً: «إنها حقاً قوية يا "حصبان" لكن هناك ما هو أقوى

منها، إنها السيوف التي يحملها قواد هؤلاء آكلوا لحوم البشر، فهي نفسها أقوى من هذه مرات ومرات، لذا لا تتعجل كثيراً على ذلك».

فقال "حصبان" متعجباً لأمر "دَبيل": «ولم لا أتعجل بها وأنا أعرف أنها أقوى بكثير مما أملك؟! على الأقل أملك شيئاً من تلك الأسلحة الآن خيراً من ألا أحملها بعد ذلك، وكما يقولون "عصفور في اليد خير من ألف فوق الشجرة"، وفي الحقيقة هذا العصفور خير من كل العصافير التي نمتلكها نحن البشر، إنه سلاح صنع بيد الشياطين وسيفيدني كثيراً!».

«إذاً فلتلتقط ما تريد التقاطه ولتنتهي من ذلك على الفور حتى نبحث عن كلاً من "أُثيب" و"أبيناف"، فلقد مر الوقت حقاً، لقد صار ظل الواحد منا مثله».

تذكر "حصبان" فعلاً أنه هناك موعد للالتقاء مرة أخرى عند أول الغابة، وحينها تذكر صديقيه "أُثيب" و"أبيناف"، فتمنى من الإله أن يكونا بخير وأن لا يصيبهم مكروه من خلال هؤلاء الوحوش أكلة لحوم البشر، وقتها أسرع وامتطى جواده وانطلق مع "دَبيل" ناحية الموضع الذي اتفقوا عليه سابقاً، كانوا حينها قد انخرطوا في نصف الغابة، لذا كان أمامهم من الوقت الكثير حتى يصلوا، ولكنهم أسرعوا بكل ما فيهم من قوة ليصلوا إلى تلك المنطقة، ولكن بعد وقت ما كان ظل الواحد وقتها مثليه، وحينما وصلوا كانوا متأكدين أنهم لن يجدوا صديقيهما "أُثيب" و"أبيناف"، لأن الوقت ساعتها كان قد مر عليهم وفات الموعد، لذا قررا أن يرجعا إلى الغابة مرة أخرى ليبحثا عنهما، وهم في ذلك الوقت لا يدرون إلى أي مكان وصل جيش أكل لحوم البشر، لذا تبادلت النظرات بينهما دون أن يتحدث

أحدهم ببنت شفه، ثم أومأ كل منهما للآخر وكأنهما عرضا على بعضهما خطة بتلك النظرات وقررا أن يقوما بتنفيذها.

انطلق الجوادان بأقصى سرعة لديهما ليخترقا سكون تلك الغابة مرة أخرى، فقد أصر كلاً من "دَبيل" و"حصبان" ألا يرجعا إلى الوراء إلا ومعهم خبر مؤكد عن كل من "أُثيب"، و"أبيناف"، وجيش أكلة لحوم البشر، وظلت انطلاقتهم بتلك السرعة وقتاً طويلاً، ولم تتسلل ذرة خوف واحدة إلى فؤاد أحدهم، بل انطلقوا بكل شجاعة دون خوف، فقد علقوا الخوف على إحدى الشجيرات الصغيرة خارج الغابة حيث أولها عندما ذهبوا إلى هناك ولم يجدوا صديقيهما.

في الناحية الأخرى من النهر وعلى بعد عدة فراسخ، كانت تقبع جنود "جومار" آكلوا لحوم البشر، هؤلاء المخلوقات الشنيعة التي بلغت أعدادها خمسون ألف جندي، كانوا على مشارف غابات "برام" الشمالية، في تلك المنطقة النائية حيث كانوا قد تخطوا جبال "كريون" من ناحيتها الجنوبية الغربية وبين منتهى الحدود الغربية لبلاد "كُساب"، ومن بعدهم قبيلة "أنبيار" والتي كانت قريبة كل القرب من تلك الغابات، حيث أنهم خربوا فيها الكثير من الأشياء، كان المنظر غريب حقاً حيث أن هذا الجيش كله المسلح بأعظم أنواع الأسلحة الحربية، تلك الأسلحة التي صنعها أولئك "الشياطين المنفيون" والتي لا يصمد أمامها أحد من البشر، قد ذهبوا إلى قبيلة صغيرة كقبيلة "قُرّان" والتي لا يسكنها الكثير من الناس، وذلك بمناظرهم المميتة الدامية التي من الممكن أن تنتصر على

الكثيرين من الناس بدون أسلحة إطلاقاً، بل بأشكالهم ومظاهرهم فقط، تلك الأشكال التي هي أقوى من الكثير من أسلحة البشر، حيث أنهم مقززون لا يقبل أي بشري أن ينظر إليهم مجرد نظرة عابرة، كان الواحد فيهم يمشي بسرعة رجلين من رجال البشر، وكانوا كالجراد بكثرتهم وأفعالهم المخربة لكل ما حولهم وكل ما تطوله أيديهم، وذلك من حيث خروجهم من "قلعة التنين" العظيمة إلى ما وصلوا إليه حتى الآن، وقف "باغور" القائد الأعظم لهذا الجيش على مشارف الغابة دون أن يدخل، فكر بعض الوقت ثم استدار بجسده ناحية جنوده قائلاً بصوته الغليظ البغيض: «كان لابد وأن نجد واحداً من فريقا التجسس هنا وذلك منذ وقت ما، ولكن فلننتظر شيئاً قليلاً من الوقت».

حينها رفع بعضهم الأبواق السوداء العظيمة، تلك التي بها بعض الانحناءات البسيطة كأنها ثعبان، ثم تأخذ منحناً عظيماً إلى الوراء بانفراج عظيم من الناحية الأخرى للبوق، وذلك كي لا يصاب النافخ فيها بأذى في سمعه، لأن أصوات تلك الأبواق قوية جداً، حيث أن هؤلاء آكلوا لحوم البشر هم المخلوقات الوحيدة التي تستخدم مثل تلك الأبواق، والتي تسمى بـ"توندير" أو صوت الرعد، حينها وقف الجنود جميعاً لأمر قائدهم، وانتشر الخبر بسرعة كبيرة كما تنتشر النار في الهشيم.

كانت أصوات تلك الأبواق عالية جداً، حتى أن الطيور على بعد عدة فراسخ منها طارت من فوق أشجارها في الغابة، ولكن لم يكن الصوت قوياً كي يسمعه من هو عند نهاية الناحية الجنوبية من الغابة، حيث مجرى نهر

"قبرونيا" العظيم، الذي قد وصل إليه للتو كلاً من "دَبيل" و"حصبان"، اللذان قد بان عليهما الإرهاق والتعب الشديد وكثرة العرق على وجهيهما، حيث ذلك البحث الطويل على كلاً من "أُثيب" و"أبيناف"، ولكن كان هذا دون جدوى .. فنظر "دَبيل" إلى "حصبان" نظرة حزن وأسف قائلاً: «يجب أن نعبر الجندل كي نكمل الطريق بين أشجار غابات "برام" الشمالية، طالما لم نجدهم في الغابات الجنوبية، فقد يكونوا عبروا النهر إلى تلك الغابات الشمالية».

«إذاً فلنكمل الطريق حتى نجدهم، أو نجد الآخرين».

فتابعا المسير بجواديهما مرة أخرى وقاما بعبور الجندل حيث وصل الماء إلى أعلى الركبة للجوادين، وما أن عبرا النهر إلى الجهة الأخرى منه تلك الجهة الشمالية لغابات "برام"؛ حتى وضعوا في نفسيهما خطة للبحث عن صديقيهما من خلال تفقد أقدامهم، أو بمعنى أدق تفقد أقدام جواديهما .. ظلا على حالهما مدة طويلة حتى أنه لم يتبقى الكثير على غياب الشمس في الآفاق، ولكنهم تأكدوا بعد ذلك أن أقدام جوادان قد تركت آثاراً في أرض الغابات الشمالية تدل على وجودهم، لذلك ترجلا عن جواديهما بعضاً من الوقت لتفقد آثار تلك الأقدام كما يجب، ولكن كانت المفاجأة .. تلك التي على إثرها فغر كلاً منهما فيه، حيث أنهما وجدا جواد "أُثيب" على الأرض جثة هامدة إلا أنه كان شبيهاً بلا شيء، حيث كانت آثاره قد تآكلت من إثر أولئك الوحوش أكلة لحوم البشر، ولكن قد عرفوا أنه جواد "أُثيب" من رأسه الأحمر ذا الغرة البيضاء، فهذا الذي ميزه لهم، ولكن كان المنظر بشعاً للغاية، تلك كانت المفاجأة العظيمة التي كادت الدموع تفر من عينيهما لأجلها،

وعلى إثر ما رأوه هنا قد كثرت الظنون لديهما .. وذلك بين خطف صديقيهما، أو قتله، أو هربه، أو ما شابه ذلك، إلا أنهما نظرا إلى بعضهما البعض نظرات حزن قاتلة دون أن يتفوها بكلمة واحدة.

ظلا يبحثان عن أي شيء آخر يخص "أُثيب"، إلا أن القدر لم يرد لهم معرفة شيء آخر عنه، فلم يجدا إلا الجواد جثة هامدة شوهت على إثر ما فعلوه أكلة لحوم البشر به، فكان حقاً لقمة عظيمة لهؤلاء الوحوش، حينها ركب كلاهما جواده مرة أخرى وأكملا البحث.

في ذلك الوقت نفسه كان قد أمر القائد الأعظم لجيش آكلي لحوم البشر بمتابعة التقدم، لذا نفخ حاملوا الأبواق السوداء فيها بعض النفخات ليتقدم الجيش كما وقف، حيث لا أخبار عن فرقتي التجسس، حينها طارت الطيور من فوق الأشجار مرة أخرى لهذا الصوت العظيم، ولكن هذه المرة قد صدحت بأصوات غير أصواتها الحقيقية، استطاع "دَبيل" من خلال تلك الأصوات أن يستنتج وجود أشخاص آخرين في تلك الغابات غيرهم، بل أحس أن الجيش نفسه هو من أصدرت الطيور تلك الأصوات الغريبة من أجله، هذا استنتاجه لما حدث لأنه لم يسمع صوت الأبواق حتى يؤكد ذلك، وهذا لأن الأبواق كانت بعيدة جداً عما وصلوا إليه في تلك الغابات، وقد استطاع وقتذاك أن يضرب الصمت المليء بالحزن والذي كان مخيماً على الغابات كلها، والذي صاحبهم مدة طويلة في بحثهم قائلاً: «ليس لدينا وقتاً طويلاً للبحث عنهما، فلابد وأن نسرع في هذا البحث لأن جيش العدو قد اقترب».

«إذاً فليكن هذا يا سيد "دَبيل"».

قال ذلك "حصبان" وهو يعتريه الحزن العظيم على صديق عمره، ومن ثم حرك بقدميه جنبي جواده لينطلق الأخير كالبرق بين سيقان الأشجار وتحت أغصانها.

لم يتقدموا كثيراً في طريقهم حتى يجدوا في أنفسهم هول مفاجأة ثانية، حيث أنهما قد وجدا خمسة جثث من أكلة لحوم البشر قد قتلوا باختلاف إصاباتهم، حيث أنهما وجدا أحدهم قد شج رأسه، والثاني قد أصابه رمح في صدره، والثالث قد فصلت رأسه عن جسده، والرابع قد فقد بعض أجزائه، أما الخامس فقد كان سانداً على إحدى جذوع الشجر برأسه وقد جُرِّد من أسلحته بعدما طُعن بعض الطعنات العظيمة بالسيف، هنا ارتاح كلاً منهما راحة عظيمة، راحة قد تسللت إلى قلبيهما ليظنا أن صديقيهما لا زالا على قيد الحياة، لذا ابتسم "حصبان" قائلاً: «إنها مفاجأة سارة حقاً، ولكنها مخيفة أيضاً حيث أن أشكالهم وهم أموات أكثر بشاعة من كونهم أحياء».

فابتسم "دَبيل" هو الآخر قائلاً: «إنهم في كلتا الحالتين يصيبوني بالاشمئزاز».

فابتسم مرة أخرى وانطلقا في الطريق ليكملا البحث، حينها كان قرص الشمس قد أفل، ذلك القرص الأرجواني الدامي الذي صبغ تلك الأشجار الخضراء بلونه.

بعد وقت ما من بحثهم الدائم بدأ اللون الأرجواني في الانتهاء، كي تبدأ

خيوط الليل السوداء الداكنة في الزحف على أرجاء الغابة، و كي تكمل ما انتهت إليه الشمس من غروب؛ وتملئ الغابة بل الحياة كلها بظلام الليل الحالك، فقد نسج الظلام خيوطه السوداء، كما ينسج العنكبوت خيوطه البيضاء، لكن هذا على الدنيا بأثرها، وذاك على فريسته فقط، وقتذاك أحس كلاهما بحركة بطيئة في الطريق من أمامهم، تلك الحركة التي كادت تقتلهم في ذلك الظلام المهيمن على المكان بأثره، حيث أن الغابة كانت مخيمة بالصمت آنذاك، ولا ضوء إلا النجوم من فوقهم، فلم يكن للقمر مكان في السماء تلك الليلة، ولم يكن يفكر أحدهم بالجلوس أو بالراحة عموماً، بل ظلا يبحثان ويبحثان دون حتى القليل من الراحة، حتى حدث لهما ما حدث؛ تلك الحركة البطيئة من أمامهم حتى أخرج "حصبان" سهماً من تلك الجعبة التي أخذها من قبل من ذلك الوحش آكل لحوم البشر، ومن ثم لقمه لذلك القوس الذي جرده من نفس الوحش أيضاً، ومن ثم رفع القوس ناحية تلك الحركة البطيئة وبدون أن يرى شيء ترك سراح السهم، وبدون أي مقدمات صدر صوت صياح من تلك المنطقة، ولكنه صياح مألوف لكليهما، فلم يكن ينم عن حيوان ما أو حتى عن أكلة لحوم البشر، ولكنه كان ينم عن مخلوق آخر أكثر ألفة من هذا وذاك، فقد يكون حقاً صوت بشري حقيقي، حينها خرج "أُثيب" و"أبيناف" ومن خلفهم جواد الأخير يسحبانه، وقد شهر كلاهما سلاحه استعداداً للقتال، لم يصب السهم أحدهم لكن مجرد انطلاقه بجوارهم في هذا الوقت من الليل كفيل بأن يصيبهم بسكتة قلبية تودي بحياتهما، ولكن قد صرخ "أُثيب" من إثر ذلك وهذا أقل شيء يفعله، ولما أن رفعا سلاحهم للقتال كانت

المفاجأة العظمى للجميع، قد انتابهم جميعاً إحساس مضاد، حيث أنهم أرادوا أن يبتسموا لرؤية بعضهم بعضاً مرة أخرى، وفي نفس الوقت كان البكاء أقرب من ذلك، فأسرعوا جميعاً إلى بعضهم ليتعانقوا عناقاً شديداً، قال "حصبان" وقتها: «كدنا نموت قلقاً عليكما، فقد انتابني إحساس بموت أحدكما حقاً، فقد حزنت كثيراً عندما رأيت جواد "أُثيب" قد مات تلك الموتة الشنيعة، إلا أنني فرحت أكثر عندما وجدت خمسة من جنود أكلة لحوم البشر قد ماتوا هم الآخرون، فلقد أخذ البحث عنكما وقتاً طويلاً حقاً، ولكن هذه المقابلة لن أستطيع أن أصف سعادتي بها ما حييت».

حينها ابتسم "أبيناف" قائلاً: «لقد كان القتال معهم عظيم حقاً! فلقد ولد هذا القتال ضدهم شيئاً قريباً جداً من المرح!».

«وليكن هذا كما قلت يا "أبيناف"، إلا أننا نريد أن نعرف موضع جيشهم حتى نرجع إلى القبيلة في أقرب وقت».

قال ذلك "دَبيل" ثم امتطى جواده الذي قد ترجل عنه سابقاً، فأجابه "أُثيب" قائلاً: «الجيش الآخر في بداية الغابات شمالاً فلقد رأيناهم رأى العين بأعدادهم المخيفة، ويجب علينا أن نتوجه إلى القبيلة في الحال، وذلك حتى نستطيع أن نصل وقت بزوغ شمس الغد».

فامتطى كلاً منهم جواد، وابتسم "حصبان" لصديقه "أُثيب" وأومأ برأسه مشيراً إلى ظهر جواده حتى يمتطيه معه، فابتسم الأخير بنظرة فيها بعض السعادة قائلاً: «هذا جيد حقاً، حتى أعرف منك على الأقل كل حدث لكما».

فابتسم "حصبان" قائلاً: «ليكن هذا فيما بعد، بعد أن أعرف منك أولاً ما الذي حدث لكما».

«إنها قصة طريفة حقاً».

قالها "أُثيب" في ابتسامة عرضية ثم انطلقوا جميعاً بجيادهم الثلاثة، فاستأنف "أُثيب" حديثه قائلاً: «كنت قد وصلت إلى الطرف الأخير من الغابات الجنوبية، كان هناك فسحة من الوقت حتى يصير ظل أحدنا مثله، فتقابلت هناك بـ"أبيناف" واتفقنا أن نعبر النهر عبر الجندل، إلى الغابات الشمالية وفعلناها حقاً، ومر بعض الوقت حتى سمعنا أصواتاً لهؤلاء آكلوا لحوم البشر .. كانوا يتكلمون عن فريقين للتجسس، ومن خلال كلامهم استطعنا أن نعرف أن قائد الجيش لديهم قد أمر فريقين للتجسس عبر تلك الغابات لمعرفة الأخبار داخلها قبل أن يدخلوها، كان أحد الفريقين مكون من عشرة جنود، والفريق الآخر كان مكون من خمسة فقط، هؤلاء الذين سمعناهم كانوا هم الفريق الثاني، حينذاك صدر من أحدنا حركة وبالطبع أحسوا بها، وعلموا أن هناك من يتجول في المنطقة، فرآنا أحدهم فرمى علي رمح عظيم فشب جوادي بقدميه الأماميتين ولكن كانت نهايته، خفنا حقاً مما حدث ومن شكله ووحشته ذلك الوحش، فكان الموت أقرب لي من نفسي التي بين جنبي وقتذاك، إلا أن "أبيناف" اقترب مني وأخذ بيدي فامتطيت معه جواده، وانطلقنا هاربين إلى منأى للبعد عنهم، ولكنهم أصروا على أن يقتلونا فتحسسوا الطريق خلفنا، ولكن كنا قد أخذنا أنفاسنا وارتاح كلاً منا مما رآه، وما أن علمنا من اقترابهم منا قمنا نحن بالهجوم، فقد دفعني قتل جوادي

إلى النيل بهم جميعاً، ولما لم يبقى إلا من قتل الجواد فعلت به ما رأيتماه عليه، حيث هو من كان مستنداً على إحدى جذوع الشجر برأسه، فقد جردته من جميع أسلحته بعدما طعنته بالسيف طعنات عديدة، حتى أني لقنته درساً لن ينساه حتى في تلك الدار الآخرة، وبمشيئة من الإله قد انتصرنا عليهم جميعاً، إلا أننا لم نجد أثراً لذلك الفريق الثاني، فكم أتمنى معرفة أماكنهم، فقد يكونوا في طريق حيث القبيلة، أتمنى عدم حدوث ذلك أبداً».

فابتسم "حصبان" قائلاً: «ولكن قد تجدهم أموات هم الآخرون».

ثم ابتسم فابتسم على إثره "أُثيب" الذي قال: «لقد فعلتماها حقاً يا رجال الحرب، يا فرسان التجسس».

فابتسموا جميعاً على إثر ذلك.

الفصل الرابع عشر

اجتماع ربما يكون الأخير

تجمع آل "بانديل" في نفس اليوم عصراً وذلك بطلب من "كونـدليرا"، تلـك الزوجة العظيمة التي لم تفرط في شيء واحد يخص أياً من أولادها أو زوجهـا قـط، والتي نظمت من وقتها حتى توافق بين الزوج والأولاد وعمـل البيـت ومـا إلى ذلـك من أمور الدنيا، ولكن كل هذا لم ينسيها ربها الذي خلقها، فكانت تضع كـل تلـك الأشياء في كفة وعبادتها لربها في كفة أخرى، فذلك لـه طعـم وذاك لـه طعـم آخـر تماماً، حتى أنها أمرت كلاً من "أكيار" و"ساتيدما" أن يحضرا زوجتيهمـا، وذلـك في الكوخ القديم الذي يعيشون فيه، جلست "فرتاج" بجـوار "طابـث" وهـم زوجتـا "أكيار" و"ساتيدما"، كانت "فرتاج" طويلة بعض الشيء عـن "طابـث"، ولكـن كـلاً منهما لها عينان سوداوان واسعتان كعين المها، ولم تكن الثيـاب تختلـف كـثيراً، فمعظم نساء القبيلة ترتدين الثياب نفسها، وقد جلـستا علـى فـراء الأغنـام الـبني الجميل، وقد جلس "بانديل" يمين "طابث" بعيداً عنها شيئاً ما ثم تجـاورت إيـاه "كوندليرا" ثم "ساجوم" تلك الفتاة الرقيقة التي تبلغ من السن تـسعة عـشر عامـاً، والتي امتلأت كلها عن أخرها بالحنان الزائد، والرقة البالغة، والحياء المتكامـل، والمشاعر الجياشـة لـدى عبوديتهـا للإلـه الـذي خلقهـا بهـذا الحـسن، ومـن ثـم

"سبراك" و"ساتيدما" و"أكيار" الذين كست لحياهم وجوههم عن أخرها، ولكن لازالت وجوههم تشع بالنور، وذلك لقلوبهم الخاشعة بذكر الإله دائماً في كل وقت وحين، كلهم قد جلسوا على جلد خاوٍ من الفراء، وذلك لزهدهم الزائد في تلك الحياة، تلك العائلة التي لم تتمسك بشيء من الدنيا قط، إلا بعض الأشياء الأثرية التي حافظ عليها "بانديل" لأغراض تهم الحكمة والمعرفة، ذلك الرجل الذي أصبحت معظم لحيته من الشعر الأبيض المهيب، وذلك لسنه الكبير الذي فيه يشتاق الناس إلى الصغر، أما "إندو" فلكثرة عمله مع الأمير "آثال" قد أخره عن تلك الجلسة العظيمة التي أرادتها "كوندليرا" بعضاً من الوقت، لذا اصطبروا جميعاً حتى يحضر، ولم يطل بهم الانتظار أكثر من ذلك حتى فتح "إندو" عليهم الباب بعدما استأذن منهم جميعاً، كان وقتها يرتدي تلك العباءة البيضاء الفضفاضة، ذات الأكمام الطويلة والبنيقة الضيقة التي تستر الرقبة كلها، وغطاء الرأس الذي ينزل إلى المنكبين ومن الخلف إلى نصف الظهر، وكان بهذا الثوب أشبه إلى الفلاسفة والحكماء القدامة منهم وقتذاك، ولما دخل اشتبكت أصابعه بعضها البعض ثم اعتذر منهم قائلاً: «فليعذرني الجميع على هذا التأخير، لأنه قد جد شيء ما سأبلغكم به فيما بعد».

إن جملته "قد جد شيء ما" لم ترح والده كثيراً، حيث ارتفعت حواجبه عندما ذكرها سبباً لتأخره، ولطالما قد جد شيء ما فلا شيء سيتجدد في هذا الجو المليء بالخوف والرعب إلا من أجل الخطة الحربية، وهذا شيء مؤسف جداً لأن الرجال قد قدّموا كل ما بوسعهم من أجل ردع الجيش الآخر عن دخوله القبيلة من

ناحية الشمال الشرقي، فارتعب الرجل في نفسه شيء ما ولكنه لم يفصح بشيء من هذا القبيل حتى لا تخفن النساء الجالسات، ومن ثم فكر أنه سوف يتحدث مع "إندو" على انفراد فيما بعد، ولكن "إندو" أحس بقلقه هذا إلا أنه قرر ألا يخبره بالأمر إلا في نهاية الجلسة، كي يريحه ويريح حتى كل الجالسين.

قالت "كوندليرا": «لقد تأخرت حقاً يا "إندو" ولكن لا يهم ذلك الآن، بل الأهم من ذلك هو وجودنا جميعاً هنا نحن آل "بانديل"».

ثم إنها طلبت من "ساجوم" أن تحضر شراب الورد، فأعدت الفتاة تسعة أقداح لجميع الحاضرين ووضعت بهم الشراب وقدمته لهم، كان وقتها قد جلس "إندو" بجوار "سبراك" في المكان الذي اتخذته "ساجوم" من قبل مجلساً لها، ولكنه لم يستحوذ على المكان كله فقد ترك لها جزء منه كي تجلس هي الأخرى، جلست الفتاة بجوار شقيقها الصغير وقد نظرت إليه في ابتسامة يشوبها بعضاً من الحزن ثم أسرّت في أذنه قائلة: «لم أراك منذ زمن ما، مع أنني أرى أخوتك جميعاً كل يوم مرة واحدة على الأقل، ألم يكن لي حق عليك كي أراك كما أراهم؟!».

فاتجه بنظره إليها فجأة، وكادت الدموع تخنق عينيه كي تنزل نتيجة ما سمعه منها، تلك التي سمته باسمه ووافق الجميع على اختيارها الجميل لذلك الاسم "إندو"، ولكنه حبس تلك الدموع في عينيه يتألم بها وحده وأسرّ في أذنها هو الآخر قائلاً: «أنا أعلم جيداً أنني أخطأت في حقك كثيراً، ولكن اعذريني أختاه لأن الأمر لم يكن بيدي حقاً، فالأمر يخص الناس جميعاً في "قُرّان" و"أدماث"

وغيرهم، ولكن لعل الأيام القادمة خير بكثير مما نعيشه الآن».

كادت "ساجوم" تبكي من تلك الكلمات التي أحرقت فؤادها فور دخولها إلى مسامعها، ولكن عند هذا الحد صمت الجميع لأن "كونداليرا" قد بدأت تتكلم قائلة: «لقد أردت أن نجتمع هذا اليوم في كوخنا القديم هذا الذي يتجدد كل يوم عن اليوم الذي قبله، هذا الكوخ الذي أصبحت فيه زوجة لـ "بانديل" الرجل المثالي الجميل، الذي لم أعهد منه غير الحب دائماً».

ثم إنها تركت يدها تتسلل بين يديه في ابتسامة حزينة مستأنفة حديثها قائلة: «ذلك الرجل الذي لم ينهرني قط، ولم ينادني بلفظة تكرهها مسامعي، بل كان يناديني بأجمل الألفاظ التي تطرب لها أذني بل تطرب لها كل جوارحي وكياني، هنا عشت معه في حب دائم حتى أنجبنا "أكيار"، مع أن الناس كانوا وقت ذاك يخافون الإنجاب ولا يزالون؛ وذلك لأجل ما كان وما هو كائن وما سيكون بعد ذلك في كنف الظلم المحيط بنا من كل اتجاه، من جانب ذلك المتأله "جومار" ومساعده "داهور"، ولكننا أنجبنا "أكيار" الذي ملئ علينا الدنيا بما فيها، ولم نخف قط لأننا دائماً لم نكن ننظر إلا للإله الخالق الذي يملك كل شيء بيده، فبيده ملكوت السماوات والأرض يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير، ومن ثم أنجبنا من بعده "ساتيدما" ذلك الذي فرح به "أكيار" كثيراً، ولذلك هو الذي اختار له هذا الاسم الجميل، ولم نتوقف أبداً عن الإنجاب لذلك جاء من بعدهم "سبراك" صاحب الظل الخفيف، والولد الذي ملئ الدنيا فرح ومرح وضحك وابتسام، ومن خلفه جاءت ابنتنا الوحيدة "ساجوم"، تلك التي امتلأت بالحنان

والتي عاشت عمرها بعد ذلك من أجل أخيها الصغير "إنـدو"، الـذي أصبح سـراج هـذا الكـوخ، بـل سـراج القبيلـة كلـها بعلمـه الغزيـر وحكمتـه الـسليمة وذكائـه الخارق، ولما كبروا جميعاً تزوج كلاً من "أكيار" و"ساتيدما" تزوجـا مـن "فرتـاج" و"طابث"، وأصبح لكل واحد منهم كوخاً ككوخ أبيهم، ذلك لأن "بانديل" هو الذي صنع تلك الأكواخ، تلك هي العائلة بأكملها وهي التي أراها أمامي الآن، والحـرب قادمة لا محالة من ذلك والرجال جميعاً سوف يحاربون، وقد يموت أحدهم وهـذا في علم الإله لا علم لي به، إلا أن الإنسان لا يدري ما سيحدث إن وقـع تحـت إثـر حرب عظيمة مثل التي ستقبل علينا خلال ساعات قلائل، إن الأمر جد عظـيم فقـد نفترق جميعاً وقد لا نلتقي مرة أخرى».

وبدأت الدموع تنزل تباعـاً مـن عيـونهم جميعـاً، وقـد حـاول "بانـديل أن يواري تلك الدموع إلا أنه لم يستطيع ذلك، ولكن كل ما استطاع فعله هو أن يمـسح دموعـه بمجـرد أن نزلـت مـن عينيـه قبـل أن يـراه أحـد الجالـسين، وقـد دفنـت "ساجوم" رأسها في صدر أمها وقد علا بكاؤها، إلا أنـه عنـدما ربـت "إنـدو" علـى ظهرها بحنانه الذي تربى عليه من خلالها؛ أخرجـت رأسـها بـبطء لتنظـر إليـه عسى يهدئها بكلمة أو ما شابه ذلك، ولكنها وجدته دون ذلك، فقد وجدته يبكـي والدموع تنزل على خديه لتحرقها وتعذبها بدلاً منه، ذلك لأنهـا لأول مـرة تـراه يبكي منذ أن كان طفلاً رضيعاً، وليست هي وحدها بل كل عائلته، فهـذه أول مـرة يُرى فيها وهو يبكي؛ لأنه منذ صغره وهو متغير عن الأطفال الذين كـانوا في مثـل سنه، إلا أن الأمر كان بالنسبة لشقيقته مختلف كثيراً عن الآخرين، لـذا أسـندت

رأسه إلى صدرها وغطته بيديها وبكت على بكائه بحرارة شديدة، فقد خيم الحزن على المكان بأكمله واشتد الموقف عليهم جميعاً، لأن الكلمات التي قالتها "كونديرا" لم تكن بسيطة أبداً، فلقد حركت مشاعر الجميع، بل ظن البعض أن تلك الكلمات لو سمعها جبل "طابان" نفسه لاهتز هزة عظيمة يهتم لها كل الجبال التي على الأرض ومن قبلهم "جبل الدم".

قامت "كونديرا" بمسح دموعها وأعادت من رباط جأشها ثم استطردت الحديث مرة أخرى قائلة: «قد ننتصر بإذن من الإله وقد لا ننتصر بمشيئة منه أيضاً، ولكن إن حدث هذا أو ذاك فمن الممكن أن يحدث ما نوّهت عنه سابقاً، فقد أفقد أحدكم أو أكثر من واحد سواء بالموت أو بالفراق، ولكن لو أن شيئاً ما حدث للقبيلة..».

فقاطعتها "فرتاج" قائلة: «أرجوك يا أماه لا تكلمي».

وقد وافقتها "طابث" على ذلك ثم قالت هي الأخرى: «هذا صحيح يا أمي فلماذا تقولين مثل هذا الكلام الذي يقتلنا جميعاً؟!».

إلا أن "كونديرا" صدت كلاهما بكلمات ثلاثة قائلة: «لا يقاطعني أحد».

ثم إنها استأنفت الحديث مرة أخرى قائلة: «لو أن شيئاً ما حدث للقبيلة مهما كان نوع هذا الشيء، وخرج الناس هاربين وبقي أحدكم على الحياة فليذهب إلى "شاجان" بلاد الأميرات الجميلات، حيث موطني الأصلي وليسأل عن "آل زُبْدان" فهم أهلي جميعاً، وإن بقيت على الحياة أنا الأخرى وقد حدث سوء للقبيلة فسوف أذهب إلى هناك، لم أكن أحب أن أقول لكم مثل هذا الكلام، لكن

من الممكن أن يحدث أي شيء لا نتوقعه نحن بني البشر، لذا لم أرد أن يقاطعني أحد في بادئ الأمر».

تنفس "بانديل" الصعداء ثم قال: «الأمر جد عظيم، حقاً كما قالت "كوندليرا"، لأن ما تعيشه "قُرّان" الآن هي الفترة الأولى من نوعها في حياة من سكنوها، تلك الفترة البشعة التي لم نتوقعها أبداً، وكم هي سيئة علينا نحن "آل بانديل" وأشد سوءاً من الآخرين؛ ذلك لأننا سبب في هذا البلاء العظيم الذي أتى إلى القبيلة رغماً عن أنوف من يسكنوها، سواء كنت أنا السبب أو حتى ولدي الصغير "إندو"، والذي لا أدري ما الشيء الذي فعله ليكون سبباً فيما يحدث! ولكن دون أن أعرف السبب؛ الأمر قد حدث ولا ندري كيف سينتهي، ولكن كل ما يرديه الإله سيحدث سواء كان خير أم شر، ونحن جميعاً لا نطلب من الإله إلا كل خير، ونتمنى أن نكون صادقين في ذلك حقاً، والحرب قادمة لا محالة كما قالت "كوندليرا" من قبل، ولذا فأنا أعزز رأيها في أن يذهب كل من يبقى على الحياة إلى "شاجان"، حيث النجاة والتدعيم من "آل زُبْدان" هناك، وبالأخص أنت يا "إندو"».

حينها نظر الجميع إلى "إندو" متعجباً لأن والده أخصه بالذات بأن يفعل ذلك، ولكن لم يطل العجب كثيراً لدى الجميع حتى أستأنف "بانديل" حديثه قائلاً: «لأنك الوحيد الذي سيكمل المسيرة ضد "جومار"، كما دلت حكمتك على ذلك من قبل ولازالت يا ولدي، وإن نجى أحد آخر منا جميعاً رجالاً أو نساء فيوجب عليه أن يساندك في كل ما تطلبه منه، سواء كنت أنا أو أمك أو أحد من

إخوتك، ولكن إن نجت واحدة من زوجتا أخواك "أكيار" و"ساتيدما" دون زوجها فلتحافظ عليها ولتزوجها من رجل خيّر إن أرادت الزواج، أما أختك إن نجت وقابلتها هناك أو سافرت معها من هنا، فسوف تقوم على خدمتك حتى ولو ماتت في سبيل ذلك، لأن هذا وعد علي من يوم أن لاحظت حكمتك التي رزقك بها الإله، ولكن وقتها لم يكن يتم زواج أخواك، لذا فالعهد مني خاص فقط بإخوتك..».

ولم يكمل "بانديل" حتى عاد البكاء من جديد ليخيم على عيون الجميع، والحزن يدفع البكاء إلى الخروج رغم أنوفهم جميعاً، وما استطاع أحد منهم أن يواري دموعه هذه المرة، فقد تغلب عليهم الحزن أكثر من أي وقت سابق، وأصبحت حياة "إندو" مقدسة لديهم جميعاً، إلا أن "إندو" لم يكن يريد من أبيه أن يقول مثل هذا الكلام المؤلم، ذلك الكلام الذي جرحه في صميم ذاته، ليتساءل في نفسه عن سبب ذلك: «لماذا أنا يا أبي؟! لماذا حياتي أنا التي تريد أن تبقى أكثر من الآخرين؟! فالذي خلقني ورزقني الحكمة يستطيع أن يخلق من هم مثلي أعداداً لا تحصى، فيا ليتني لم أكن صاحب حكمة أبداً، يا ليتني لم أكن "إندو بانديل"، يا ليتني لم أكن بشرياً، بل يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيّا».

لما سمع الأشقاء الثلاثة الذكور لـ"إندو" ما قاله والدهم عن حياة أخيهم الغالية؛ زاد ذلك من تقوية عزيمتهم على أن يفعلوا كل ما يستطيعون فعله لأجل أن لا يصاب "إندو" أبداً، وأن لا يدعو مجالاً واحداً وثغرة واحدة لأكلة لحوم البشر في أن يقتربوا قطرة دم واحدة من دمه الغالي، الذي أصبحت كل قطرة فيه بمثابة قبيلة مكتظة بالناس، أو بمثابة نهر عظيم يسقي كثير من القبائل التي

يطل عليه كنهر "قبرونيا" مثلاً.

لم تكن محبة "بانديل" لابنه "إندو" أكثر من أي ابن آخر له، فهو لم يفرق بين أحدهم في شيء من قبل، ولكنه أصبح أهم منه هو شخصياً بل يكاد يكون أهم شخص في القبيلة كلها، ذلك لأنه هو الوحيد الذي يستطيع أن يقف ضد "جومار" فيما بعد، لأنه لم يرث شيئاً من أبيه ولا من جده كما ورث من "الفيلسوف المقدس"، فقد ورث منه حكمته العظيمة في كل أمور الدنيا، تلك الوراثة العظيمة التي ملّكها له الإله العظيم، وهذا جدير بأن يجند من يحافظون على حياة "إندو" بعد حفظ الإله له .. لذا نظر "أكيار" إلى زوجته ومن ثم إلى "إندو" قائلاً: «إن حياة "إندو" أصبحت بالنسبة لي ولزوجتي هي الشيء الوحيد الذي نعيش من أجله بعد عبادتنا للإله الخالق، فإن مت فمن أجل الإله ثم من أجله، وإن ماتت زوجتي فللسبب نفسه، فهو الفتى الذي اختاره الإله وأودعه تلك الحكمة العظيمة كي يكون سبباً في هداية الناس إلى عبودية الإله الواحد الذي لا إله غيره، في ظل هذا الجو المعتم بالجهل تباعاً لـ" جومار" الذي هو أقل بكثير من أن يقال عليه أنه إنسان مثلنا، فليحفظ الإله أخي "إندو" دائماً للخير».

ولم تمر برهة بعد أن انتهى حتى قال "ساتيدما" هو الآخر: «والحال لدينا أنا وزوجتي لا يختلف إطلاقاً عن الذي قاله "أكيار"، فأنا وهي وما نستطيع من قوة فداؤه حتى يحقق ما تمناه المؤمنون العقلاء كثيراً، فإن حياة أخي حقاً أصبحت بالغة الأهمية لدى الكثير من الناس».

ثم وضع "سبراك" يده على كتف "إندو" قائلاً: «وأنا لن أتركه أبداً بعد

ذلك، فسوف أكون ظله الظليل، درعه المانع لكل شيء سيء .. هذا لأني لم أعترف بحكمته حقاً إلا في الأيام القلائل السابقة، تلك الحكمة التي توصلنا بها إلى بناء السور وحفر الخندق وصنع بعض الأسلحة، فحقاً لا يُعرف الإنسان إلا في الشدائد، ونحن الآن في أشد الشدائد التي ارتقت فيها حكمة أخي إلى السماء، ولسوف ترتقي أكثر فأكثر حينما ينصرنا الإله حقاً على هؤلاء الوحوش المفترسة، فليكن الإله معنا بقوته ومشيئته وليفعل بنا ما يشاء، فلا رجاء إلا له، ولا خضوع إلا له، ولا سمع ولا طاعة إلا له، هو وحده الذي نعبده ولا نشرك به أحدا، هو وحده ذا الجبروت القادر على كل شيء، هو وحده الخالق لكل شيء، هو وحده الذي لا ندعوا إلا هو، هو وحده الإله، لا شيء يعلو عليه، وهو العلي العظيم، هو القادر المقتدر ذي الجلال والإكرام، هو المقدم المؤخر الظاهر الباطن، وهو بكل شيء عليم، هو القاضي الحكيم، هو العدل الرحيم، هو السميع البصير، هو الغفور الشكور، هو البر التواب، وبه فقط نستعيذ من الشيطان الرجيم».

«الله لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» [1].

كانت هذه الكلمات التي تكتب بماء العيون الخاشعة على صفحة السماء، تلك الكلمات العظيمة التي شهد الإله بها لنفسه من فوق سبع سماوات، حيث

---

[1] القرآن الكريم .. (سورة البقرة، آية 225).

أنها هي الكلمات التي قالتها "ساجوم" حينما حان دورها للكلام، ذلك الدور الذي لم يحدده أحد، ولكنها تلك الصدفة الغربية التي جعلت الكلام يدور على ألسنة الإخوة من الكبير حتى الصغير، فقد أحست "ساجوم" بأن هذا دورها ولابد لها من أن تتكلم، لذا قالت تلك الكلمات العظيمة ثم استأنفت مرة أخرى ذلك الكلام العظيم الذي شهد الإله به لنفسه من فوق سبع سماوات قائلة: «*هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم*[2] .. *هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ*[3] .. شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[4] .. فلا عزيز ولا حكيم *سواه وهو وحده القادر على حفظ أخي "إندو"، لذا فأخي وديعة لنا جميعاً عند الإله الحق الذي لا تضيع ودائعه!*».

وإن لم تكن الصدفة مخطأة في تكملة الدور، ليصبح "إندو" هو المتكلم فسيكون هذا أمر جميل حقاً، وكان الدور عليه هو أن يتكلم إلا أنه ترك المجال لزوجتا أخواه، لأنه رأى في عينيهما ذلك، فقالت "فرتاج": «إن هذا الإيمان الذي أجده لدى كل واحد في هذه العائلة الكريمة، يجعلني أرتبك حقاً عندما أريد

[2] القرآن الكريم.. (سورة آل عمران، آية 6)
[3] القرآن الكريم .. (سورة الحشر، الآيات24:22)
[4] القرآن الكريم .. (سورة آل عمران، آية18)

الكلام، ولكن شيئاً ما جعلني أركب كلمات بعضها على بعض حتى أجمع كلاماً جميلاً أستطيع أن أقوله بعد الذي قيل، لقد تكلم "أكيار" بالنيابة عني سابقاً، ولكنه لم يذكر كل ما أريده أن يذكر، فإن واحداً مثل "إندو" فعل كل ما فعله في القبيلة وهو لازال في مثل هذا السن؛ لابد على من هي مثلي أن تفعل له كل ما تستطيع أن تفعل، بل وتزيد على تلك الاستطاعة حتى الموت، فهو مثل ابن لي بالنسبة للسن لم يأتي بعد، ولكنه أباً لي وللكثير من الناس في الحكمة العظيمة التي ملّكها له الإله، فإن استطعت أن أعيش له حتى ولو خادمة فسوف أفعل، ليس من أجل أنه شقيق زوجي، بل لأنه ذا حكمة من الممكن أن تكون سبباً في ردع تلك الأمواج المكثفة من الدماء إلى شاطئ آخر بعيد كل البعد عن حدود قبيلتنا، بل إلى شاطئ بعيد كل البعد عن البشرية جمعاء».

وما أن انتهت من كلامها حتى ابتدأت "طابث" بالكلام هي الأخرى، فلم يتبقى إلا هي حتى يخلو المقام لصاحب المقام "إندو بانديل"، تنهدت تنهيدة خفيفة ثم قالت: «أنا لا أستطيع أن أقول مثل هذا الكلام الجميل، ولكن سأترك المجال لقلبي حتى ينبض بكل المشاعر التي احتبسها منذ ذلك الحين، عندما سمعنا جميعاً صوت ذلك الساحر "داهور"، الذي أصابني بالخوف من الغد، كل يوم أخاف من اليوم الذي بعده، وعندما يمر ويأتي ما خلفه يزيد خوفي أكثر من ذي قبل، وأقول أن العمر لم يعد فيه إلا القليل، ولكن ذلك الغد القادم ماذا سيحدث لو كان هو اليوم المنتظر؟! يوم الحرب التي هدمت كل جوارحي وكياني!! هل سيأكلني أحدهم؟! أم سيمزقني قطعة بعد قطعة؟! أم سيعلقني من

رأسي ويعذبني؟! بت أخاف من الغد القادم، ولكن عندما علمت أن "إندو" بحكمته البالغة فعل كل هذا من أجل الانتصار، والحفاظ على دماء الأبرياء، إذ كانوا سيساوموننا سوء العذاب يذبحون أبناءنا ويستحيوننا نحن نساؤكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم؛ اطمأن قلبي ولم يعد ينتابني الخوف أبداً، فتوكلت على الإله العظيم وطلبت منه الانتصار؛ حتى لا نصبح سبايا بين أيدٍ قذرة، إذ الله لا إله هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون .. الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات، ذلكم الله ربكم، فتبارك الله رب العالمين، هو الحي الذي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين، الحمد لله رب العالمين .. هذا ما كان يجيش في نفسي حقاً، ولكن لا أعلم إن كنت أخطأت أم أصبت، والله عليم بما في الصدور».

لم تكن "طابث" حقاً من الذين يتفننون في الكلام، إلا أن ما قالته جعلهم جميعاً يتوضؤون من جديد بدموعهم الحارة، فقد خرج كلامها من فؤاد ينبض بالإيمان ليدخل أفئدة تنبض جميعها بالإيمان، وما قالته لم يكن إلا شعور احتبسه فؤادها أيام مريرة، لذا ارتاح ذلك الفؤاد كثيراً عندما أخرج ما بحوزته إلى الآخرين.

ولما آن الأوان لـ "إندو" كي يتكلم، نظر إليهم جميعاً وقد وجدهم قد فاقوا بتعبيراتهم كل ما لا يتخيله إنسان، لذا تذكر قول الإله فقال: « بَلَى، إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ

اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ[1] .. إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ[2] .. وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ[3] .. وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ[4] .. إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كفرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ، الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ[5] .. وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ[1]».

فتوقف قليلاً ثم قال أيضاً:

«وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ، مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى

---

[1] القرآن الكريم .. (سورة آل عمران، الآيات 126:125)
[2] القرآن الكريم .. (سورة آل عمران، آية 120)
[3] القرآن الكريم .. (سورة البقرة، آية 177)
[4] القرآن الكريم .. (سورة البقرة، آية 186)
[5] القرآن الكريم .. (سورة الأنفال، الآيات 66:65)
[1] القرآن الكريم .. (سورة آل عمران، آية 169)

اللَّهِ بعَزِيزٍ، وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللَّـهُ لَهَـدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَـا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ، قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْـرُ إِنَّ اللَّـهَ وَعَـدَكُمْ وَعْـدَ الْحَـقِّ وَوَعَـدتُّكُمْ فَـأَخْلَفْتُكُمْ وَمَـا كَـانَ لِـيَ عَلَـيْكُم مِّـن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَـوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّـي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِـيمٌ، وَأُدْخِـلَ الَّـذِينَ آمَنُـواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِـن تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا بِـإِذْنِ رَبِّهِـمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَـةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِـإِذْنِ رَبِّهَـا وَيَـضْرِبُ اللَّـهُ الأَمْثَـالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَـوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ، يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّـذِينَ آمَنُـواْ بِـالْقَوْلِ الثَّابِـتِ فِـي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَفِـي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء، أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللَّـهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ، وَجَعَلُـواْ لِلَّـهِ أَنـدَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ، قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَـةً مِّـن قَبْـلِ أَن يَـأْتِيَ يَـوْمٌ لاَّ بَيْـعٌ فِيـهِ وَلاَ خِلاَلٌ، اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِـنَ الـسَّمَاء مَـاء فَـأَخْرَجَ بِـهِ مِـنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُـمُ الأَنْهَـارَ، وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُـمُ اللَّيْـلَ وَالنَّهَـارَ، وَآتَـاكُم مِّـن كُـلِّ مَـا

سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ [1]».

ثم توقف مرة أخرى قبل أن يقول: «وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ، مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء، وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ، وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ، وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ، فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ، سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ، لِيَجْزِي اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ، هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ [1]».

وتوقف مرة ثالثة، لا لكي يكمل من جديد تلك الكلمات العظيمة التي لا يستطيع أن يقولها إنسان من تلقاء نفسه، بل هي قول الإله العظيم من فوق تلك السماوات السبع يعجز بها الخلق أجمعين، ولكن لأنه سمع قصف المطر الشديد من حول الكوخ، حيث أن قطرات المطر كانت ترتطم بالأرض كما لو أنها لم تنزل منذ زمن بعيد، وكأن السماء تبكي لما قاله "إندو"، حيث أن ما قاله يهز الجبال،

---

[1] القرآن الكريم .. (سورة إبراهيم، الآيات 34:15)

[1] القرآن الكريم .. (سورة إبراهيم، الآيات 52:42)

ويزلزل الأرض، ويُبكي السماء مطراً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

على إثر ذلك قال "إندو" قول الإله: «اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ، لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ، هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ، وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ، لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ، وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ، قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ، لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ

لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ [1]».

ما أن انتهى "إندو" حتى خيم الصمت على المكان، وكأنه لا يوجد فيه تسعة من البشر ولا حتى واحد فقط، وظل الصمت يعزف ألحان الحزن بينهم جميعاً، تخللت إلى نفوسهم السكينة بعد هذا الصمت الطويل ،حيث أنهم جميعاً قد تنفسوا الصعداء وكأن شيء قد كبس على أنفاسهم، ولكنه انزاح بعدما نفس عنهم "إندو" بما قاله، حيث أنه قال كلاماً حقاً تبكي له السماوات السبع والأراضين السبع وما بينهما.

لقد اختنقت الدنيا حقاً لهذا الاجتماع الذي ربما يكون الأخير، ولكنها قد نفثت عن نفسها بذلك المطر الذي قد نزل من السماء على شاكلة البكاء، ولقد انغمست الأرض بذلك الماء البارد ليطفئ نارها التي اشتعلت في قشرتها وقتما بدأ الاجتماع، وفي آخر الأمر أنصت كل شيء لحديث ذلك الرجل الحكيم "بانديل" الذي هم بالحديث مع "إندو" قائلاً: «لا أدري ماذا أقول لك يا بني، فلقد انتهى الكلام بما قلت، لأنه أفضل الكلام على الإطلاق لأنه كلام الإله المعجز الذي لا ينافيه كلام آخر، ولقد علمت ما هو مقصدك منه، ولكن لابد أن نحافظ عليك بأي شكل من الأشكال، فيجب الحث على التوكل على الإله الخالق، وعدم التواكل لأنه يأخذ الإنسان مأخذ الكسل والتقاعس، وهذا ما لا يرضى به الإله، حقيقة قد بنينا السور وحفرنا الخندق، ولكن لا يجب أن نتواكل عليهم ونظن أن الانتصار سيكون بسببهم، ومن يدري من سينتصر ولكن إلى الله ترجع الأمور، فيا ولدي أنا

---

[1] القرآن الكريم .. (سورة الرعد، الآيات 18:8)

أعرف جيداً أن كل شيء بيد الإله وحده، ولكن لابد وأن يكون هناك توكل حقيقي، وسعي وراء الخير، وحنكة في كل شيء نفعله، وأنت حقاً تمتلك كل تلك الأشياء، لذلك لابد أن نحافظ عليك بعد حفظ الإله لك، وعلى الله فليتوكل المؤمنون».

فابتسم "إندو" ابتسامة حزن عابرة، ثم قال: «إذاً فلنترك كل شيء يسير كما يريد الإله يا أبي، وسوف أفعل ما قام هذا الاجتماع من أجله، إذا ما حدث شيء يجعلنا مضطرين إلى فعل ذلك، وليوفقنا الإله إلى ما يحبه ويرضاه».

ثم نظر إليهم جميعاً وبالأخص والده قبل أن يقول: «أما بالنسبة للأمر الذي قد جعلني أتأخر كل هذا الوقت، فلا ينتابكم خوف منه أبداً لأنه أمر سيحدد فقط الأماكن العامة لكل جند من جنودنا، وهو خاص بالخريطة الحربية، تلك الخريطة التي من خلالها سنعرف إلى أي منطقة سيصل الجيش الآخر، من خلال الطريق الذي يسيرون فيه».

فتنهد "بانديل" تنهيدة أنمت على راحة كبيرة قد حصل عليها، ثم هم قائلاً: «لم أكن أظن ذلك، فلقد ظننت أنه شيء مخيف من أجله اضطررتم إلى تغيير الخطة أو ما شابه ذلك».

فابتسم "إندو" قائلاً: «لا يا أبي الخطة قد ثبتت على ما هي عليه، ولن تتغير إلا أن يشاء الإله ذلك».

فابتسمت "كونديرا" لما أفصح به ولدها قائلة: «إنني أحمد الإله أن جعلك ولدي يا "إندو"، فلا أدري ماذا كان حالي لو لم تكن أنت ولدي؟! ولكن ربك يرزق

من يشاء ما يشاء».

«بل أنا يا أمي الذي أحمد الإله ليل نهار لأني ولدك من أبي، هذا الرجل الذي أقدر له كل الاحترام والحب، فأنت من قمتي بتربيتي وهو من قام بتعليمي، وهذا أحب إلي من نفسي؛ أن أجد تربية حسنة من أمي وتعليم عظيم من أبي!».

ثم إنه نظر إلى "ساجوم" أخته التي بثت بروحه الحنان والطيبة عندما كان صغيراً، ثم استأنف قائلا: «و"ساجوم" التي علمتني الحب وربتني عليه وأعطتني ما لم تعطه أي أخت لأخيها، تلك لها مني جزيل الشكر والحب والعطف والمودة الخالصة، بل لها كل نفسي وما أملك».

ومن ثم نظر إلى الباقين من أخوته وزوجتا أخواه الكبار نظرة عامة شاملة قبل أن يقول: «ولإخوتي مثل ذلك ولزوجتا أخواي السيدة "فرتاج"، والسيدة "طابث"، فشكراً لكم جميعاً على تلك المشاعر الحارة الطيبة المليئة بالخير».

ولما انتهى "إندو" من حديثه قالت الأم: «والآن هيا نأكل فقد جاء وقت الطعام».

ثم إنها قامت هي وابنتها "ساجوم" وكلاً من "فرتاج" و"طابث"، كي يحضرن الطعام لهم جميعاً .. ولم يمر من الوقت الكثير حتى أصبحت المائدة مليئة بأنواع كثيرة من الطعام، وأكلوا جميعاً على تلك المائدة الواحدة بصحبة إحساسهم بالفراق، فلعلهم لا يرون بعضهم البعض مرة أخرى، ويكون ذلك الاجتماع هو الأخير لهم، فتكون هذا المائدة هي الأخرى آخر مائدة يجتمعون من

حولها، وآخر طعام يأكلونه سوياً.

وبعد أن انتهوا جميعاً وانتهى اللقاء؛ سلمت الأم على جميع أولادها الذكور، ثم اتجهت إلى زوجها قائلة: «كن حريصاً على نفسك ثم على أولادك كثيراً يا عزيزي "بانديل"، لعله نصراً مؤزراً إن شاء الإله».

«لعله هكذا يا عزيزتي، فقط أريد أن يكون دعاؤك دائماً معنا، وهكذا نحن نريد دعاء كل نساء القبيلة، لعل الإله ينصرنا بدعائهن».

ثم إنها دعته إلى حجرة أخرى في الكوخ واختفيا فيها، وكما حدث معهما قبل دخول الحجرة حدث أيضاً مع كلاً من "أكيار" و"فرتاج" هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى "ساتيدما" و"طابث".

وبعد قليل من الوقت خرجت الأم والدموع تنزل تباعاً من عينيها، والأب يحوطها بذراعه في حزن شديد، مما جعل الأولاد جميعاً يتعجبون لما قد حدث بينهما بالداخل .. حيث أنه من الممكن أن يكون "بانديل" قال لها شيئاً عن الحرب جعلها تبكي هذا البكاء، ولكن لم يمر الوقت الكثير على ذلك حتى تركت الأم زوجها وحضنت أولادها جميعاً، وقبلت كل واحد منهم على جبينه قبلة دافئة لا تكون إلا من أم خلص قلبها لأولادها كثيراً، ولكن عندما أقدمت لكي تودع نجيبها الصغير "إندو"، تعالت ضربات قلبها وعلى إثر ذلك نزلت الدموع على خديها تباعاً كما لو أن شلال من الماء نزل فجأة، وكانت دموعها وقت ذاك أكثر من دموعها عندما خرجت مع زوجها من الحجرة، فاحتضنته بكل ما فيها من حنان أم وضعف امرأة، وقبلته في كل مكان في وجهه، وضمته إلى صدرها

قائلة: «ليكن الإله معكم يا نجيبي العزيز، فهو الحارس لكم جميعاً من كل شيء سيء».

نزلت دمعة ساخنة من دموعها على خد ولدها، حيث كان "إندو" قصيراً عنها بعض الشيء، فأحرقت فؤاده وزلزلت كيانه فانفجرت الدموع من عينيه على إثر تلك الدمعة المحرقة، وثارت مشاعره وكأنه بركان مليء بالحمم، فاحتضن أمه بشدة قائلاً:

«أماه لا تبكي بكاءً يشعل النارا!

أماه إن دموع عينيكِ يحرق الدارا!

أماه إن القلب يحزن عندما..

يجد البكاء على خديك أمطارا!

أماه لا تبكي فإني قد أموت،

على إثر البكاء وقلبي يعزف الآهات أنهارا.

أماه أرجو حدقتا العينين فيك أن تزول دموعها!

كل تزول دموعها أو تُنشئي للحدقتا الأسوارا.

أماه سوف نخوض حرباً ضارية،

وسننتصر إن شاء ربي لنا انتصارا.

أماه لا خوف علي ولا على،

كل الرجال إذ الدم بهم استثارا.

أماه أرجو لك السرور من الإله،

وأرجه أن ينتشر فينا انتشارا.

أماه إن النصر أقرب من دموعك،

ودموعك الحَرى سلاح زاد في القلب استِعاراً فاستعارا.

أماه ضميني إليك فإنني،

أشتاق دوماً للحنان إذا استدار.

إذ ولّـى لي دبراً ولامس مئزري،

اشتقت شوقاً يستغيث له الإزار.

أشتاق يا أمي لقلبك ثم أنبض باشتياق!

ثم يهفو القلب نحو ضياء طيفك!

ثم يمشي ثم ينظر ثم ينسى كل شيء!

ثم أذكر أنك الشمس التي فيها المدار».

ما أن سمعت الأم تلك الكلمات الجميلة من فم ولدها الصغير، حتى واصلت ضمه إليها بتلك الشدة التي بدرت منه سابقاً، وكأنها لأول مرة تراه منذ سنوات عديدة من الفراق، ومن يدري لعل هذا الفراق فعلاً يأتي في الأيام المقبلة، تلك الأيام التي دائماً لا تبشر بخير؛ إنها أيام الحرب التي دائماً وأبداً تكون مصدراً رئيسياً في الخراب والدمار، تلك الحرب التي تُتعب العقول وتقتل القلوب، بل تُعدم فيها النفوس إلى الأبد حيث الحياة الثانية التي فيها سيحاسب

كل عبد حيث الثواب والعقاب أمام الإله الأعظم، الذي خلق الأرض ثم السماء ثم دحى الأرض فأنبتت من كل زوج بهيج، ثم خلق الإنسان وسواه ليعمرها ويكون خليفة الإله فيها، ولكن ما رأت الأرض من البشر إلا كل ما يراه البشر، تلك الأفعال التي في أكثر الأحيان تخالف شريعة الإله الذي خلق كل شيء، وهو على كل شيء قدير، وكأن الإنسانية لو عرفت تلك القدرة التي للإله الخالق، بل لو عرفت كلها أنها لها رب وهو الإله الذي في السماء؛ لما كانت أحوالهم هكذا، ولما كانت نفوسهم هكذا، ولما كان تمسكهم بالحياة هكذا، ولكن تلك هي الحياة بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، تلك هي الحياة التي لابد أن نعيشها، ولكن بأيدينا نستطيع أن نعيشها كما يجب أن تُعاش، ولكن من يفكر في هذا غير الباحثين عن الحقائق التي تدل على وحدانية الإله؟!

الفصل الخامس عشر

الخـريطــة الحــربيـــة

جذبت "ساجوم" يـد شـقيقها "إنـدو" واتجهـت بـه إلى الناحيـة الغربيـة للكوخ بعدما انتهى اللقاء، وسارت به حتى اختفيا عـن الأنظـار، حينهـا جلـست الفتاة على صخرة صغيرة بحجم مقعـد، وجلـس "إنـدو" قبالتهـا هـو الآخـر علـى صخرة أخرى مثيلة لها، ثم فرك في أصابع يديه بعضاً من الوقت، كانت "سـاجوم" آن ذاك تنظر إليه بتؤدة، وكأنها تحفر في ذهنها كل ملمح من ملامح "إندو"، ذلـك الصبي الصغير الذي أثر أثراً كبيراً في الجميع، كي تتذكره دائماً بتلـك الملامح إذا ما حدث له شيء سيء أدى إلى فراقه عنها، ظلت تتطلع له بـشغف دون أن تتفـوه ببنت شفه، ولكنه عندما وجد منها ذلك ابتدر هو بالكلام قـائلاً: «هـل سـتنظرين إلى هكـذا دائمـاً دون أن تتفـوهين بكلمــة؟! وكأننـا لأول مـرة نتقابـل بعـد غيبـة عظيمة، هذا صحيح ولكن كل غيبتي عنك ما هي إلا بعـض الأيـام القلائـل الـتي لا تؤثر على الإطلاق، ولكنني أعلم جيداً أن ما غبته مـن أيـام قـد مـرت عليـك وكأنـه أعوام عديدة».

فابتسمت "ساجوم" بسمة رقيقة، ظهر من إثرها نجمتان أو ثلاث من تلك النجوم الشفافة التي تقبع في فمها، ثم قالت: «لأول مرة أدقـق في تفاصيل وجهـك

يا "إندو"، لا أدري ما الذي جعلني أفعل ذلك! قد يكون إحساس غير عادي أحسست به تجاهك، حيث أن نبضات قلبي تحدثيني بأحاديث تقتلني كلما تذكرت تلك الحرب ونظرت إليك، ولكن عندما نظرت إليك هذه المرة أحسست إحساس آخر، أحسست أن روحك تهيم في تلك الحرب وتلتهم الكثير من هؤلاء الوحوش الضارية، تلك الوحوش التي لم نراها حتى يا "إندو"، والتي لم نسمع عنها إلا في الكتب أو في الحكايات التي كنا نسمعها من الحكيم "صهيا" سابقاً، أتتذكرها؟!».

فابتسم "إندو" هو الآخر قائلاً: «بالطبع أتذكرها جيداً، ومن الذي لا يتذكر تلك القصص الرائعة؛ المخيفة أحياناً والمضحكة أحياناً أخرى، كم أن هذا شيء كريه حقاً، ولكن لم نكن نكرهه أليس كذلك».

«نعم عندك حق، ولذلك يجب ألا نخاف منهم كما لم نخف سابقاً عندما كنا نسمع عنهم في تلك القصص المثيرة، أريدك أن ترجع حي يا "إندو"، أريدك أن تنتصر عليهم كما يجب لك ذلك، فليوفقك الإله يا أخي وليوفق الجميع إلى ما يحبه ويرضاه».

«شكراً لك على تلك المشاعر الطيبة "ساجوم"، ولا تخافي فإن شاء الإله بأن أعود فسوف أعود رغماً عن أنوف الكافرين، حتى ولو كان يطاردني الجيش الآخر برمته، واعلمي أنك في مخيلتي دائماً ولن أنساك أبداً، لأنك أختي، بل أنت من أطلقت على اسمي "إندو" الذي لطالما أحببته كثيراً لأجلك، بل لأنك من قمتي بتربيتي، لأنك "ساجوم" الغالية!».

تنفست "ساجوم" الصعداء، ثم ابتلعت ريقها وتنهدت تنهيدة تنم على سعادة داخلية ثم قالت في رقتها المتناهية: «أتمنى وأن أقضي عمري كله من أجل خدمتك يا أخي، كم أتمنى هذا حقاً، كم أتمناه يا "إندو"».

«بل لو استطعت أنا خدمتك طوال حياتي، ما تقاعست عن ذلك أبداً يا "ساجوم"».

«يا لك من أخ نجيب حقاً يا "إندو"!».

«ويا لك أنت الأخرى من أخت نجيبة يا "ساجوم"!».

تمنت "ساجوم" لو أنها تقضي ما تبقى من عمرها بجواره في تلك المنطقة الجميلة، ولكن ليس كل ما يتمناه البشر يتحقق، وليس كل ما يبغضه ينزاح عنه .. إنما هي الأقدار التي لا محالة من وقوعها، والتي دائماً ما تحدث للإنسان الذي إن أعمل عقله؛ خرج منها كما تخرج الشعرة السوداء من الدقيق الأبيض، إلا أنه دائماً يسخط على ما كتبه الإله له؛ لذلك يقع في شر أعماله العقيمة التي لا تنفعه في شيء.

ودع "إندو" شقيقته الكبرى "ساجوم" وداعاً حاراً، بكت على إثره تلك الفتاة التي كانت دموعها أقرب إلي خدودها من صورة واحدة تلتقطها تلك العين عندما تقع على شيء، ولكنه قبل رأسها قائلاً: «أريدك أن تتركي كل شيء للإله الخالق "ساجوم"، وبيده أمرنا وكل الأمور بيده تسير كما يشاء، ولن نغير شيئاً من أقدارنا إلا بالتضرع إليه دائماً بالدعاء، فإن نفعل ذلك بإخلاص حينها أستطيع أن أقول أن أقدارنا من الممكن أن تتغير».

«إذاً لن أتخلى عن الدعاء أبداً يا أخي، فأنا حقاً أريدك أن تكون بخير، ولا أتمنى ذلك إلا من الإله الخالق».

تركها "إندو" واتجه مع والده وأخوته "أكيار" و"ساتيدما" و"سبراك"، نحو الأمير "آثال"، الذي ضُربت له خيمة عظيمة تليق بمقامه، حيث كانت تلك الخيمة تتوسط جموع الجنود الذين قد انتهوا من حفر الخندق تماماً، وبدؤوا فقط يتلقوا التعليمات التي يلقيها عليهم الأمير، كي تُنفذ الخطة كاملة كما يجب لها أن تُنفذ، قد شق الأب وأولاده الطريق في وقت ليس بالقليل كانت الشمس قد غربت حين ذاك، ولكن عندما وصلوا إلى تلك الخيمة التي للأمير "آثال"؛ استأذنوا في الدخول عليه فأذن لهم، حينها قابلهم الأمير بكل ود، حيث هم من أهل القبيلة وهو ما هو إلا ضيف كريم جاء لغرض كريم، إلا أنهم اعتبروه من أهل القبيلة كما لو أنه أحد أبرز أهلها حقاً، رحب بهم كما يجب أن يكون الترحيب، إلا أنه شد على يد "إندو" بالذات، وذلك تقديراً منه لهذا الفتى ولفرط حبه لعقله العظيم.

لم يمضى كثيراً من الوقت إلا وكان الحكيم "صهيا" قد وصل، كانوا قد تكلموا في مواضيع شتى، لم يعمقوا فيها كثيراً، حيث أن تلك المواضيع كانت تخص السور، والخندق، وموضع المجانيق، وما على ذلك من المواضيع التي تخص الحرب، ولكن عندما دخل الرجل قاموا جميعاً ليس تعظيماً له لأنه لا يحب مثل تلك الأشياء، ولكن ليسلموا عليه كما يجب له كحكيم ومعلم له قدره في القبيلة والقبائل الأخرى المجاورة .. وتجاذبوا أطراف الأحاديث كلما انتهوا من حديث

انتقلوا إلى آخر، وهكذا حتى تنهد "إنـدو" تنهيـدة تـدل علـى رغبتـه في الكـلام، ولذلك انتبهوا له جميعاً، فهم بالحديث قائلاً: «سيدي الأمـير "آثـال"، والحكـيم "صهيا"، أود أن أقول أنه قد انطلق فرسان التجسس صباح هـذا اليـوم، وذلـك كـي يعرفوا أخبار قدوم الجيش الآخر، وإلى الآن لم يأتي منهم أحد، وهذا في مصلحتنا كي نقوم بإنشاء الخريطة الحربية كما يجب أن تكون، والـتي مـن خلالهـا سـوف يعرف كل فارس وكل جندي مكانه بدقة حتى تكون الخطـة كملـت بحـذافيرها، وإلا ما عرفنا تلك الخسائر التي ستحدث إن لم نعـرف بالتحديـد المنطقـة المعينـة التي سيصل فيها الجيش الآخر عند السور، لذا وكما أخبرتـك سـابقاً أأنـي أنتظـر فقط قدوم الفرسان حتى نبدأ في صنع الخريطة، ومن الغد سوف نقوم ببعض النظـر من حول السور، حتى أتم لك الخريطة كما يجب لها أن تكون، فقط سيكون معـي "ساتيدما" أخي لأنه أعرف مني بدقة المناطق الجغرافية للقبيلة».

ابتسم الأمير"آثال" ابتسامة تدل على سعادته الخالصة بذلك الفتـى الـذي كل يوم يأتي بشيء جديد عن اليوم الذي كان قبلـه، وبفكـرة جديـدة مختلفـة عـن أفكاره التي كان عليها قبـل ذلـك، حيـث أن ذهنـه متجـدد دائمـاً ولا يفكـر إلا في الأشياء التي لا يأتي من ورائها إلا الخير كل الخير .. وعلـى إثـر تلـك الابتـسامة ابتسم الحكيم "صهيا" قائلاً: «إنك حقاً حكيم نجيب يا "إندو"، فلقد احتار عقلـي في تكوين عقلك البديع، ذلك العقل الذي يعمل كما لو أنـه ألـف ألـف عقـل ولـيس عقل واحد، لذلك سوف أعينك على تلك الخريطة التي تتحدث عنها، وذلك لأنـي اعرف كل صغيرة وكبيرة في القبيلة، بل كـل صـغيرة وكـبيرة مـن حولهـا، واعلـم

أنني قد قمت بتخطيط خريطة للقبيلة من قبل، ومع أنها ليست موجودة معي الآن حيث كان ذلك من أعوام عديدة، إلا أنني أتذكر كل خط خطته ريشتي، وذلك توفيق من الإله الذي يدبر كل شيء بأمره، وإليه تُرجع الأمور».

حينها ابتسم "إندو" بسمة غريبة، لم تُرى على وجهه من قبل، نمت عن التفكير في عدم مشاركته للحكيم "صهيا" في تلك الأشياء التي قدمها لهم في صلب الخطة الحربية من قبل، وكأنه يعاتب نفسه بذلك حيث أن الحكيم "صهيا" من أبرز المفكرين في القبيلة، وهو الرجل الأول فيها وهو الأولى بوضع تلك الخطط كلها عن أخرها، لذا قام من مقامه في انحناءة لا تكاد ترى عليه، ومن ثم نظر إلى الحكيم "صهيا" الجالس بجوار والده "بانديل" واقترب منه قليلاً ثم قال: «إنني أعتذر منك حقاً يا سيدي الحكيم، فلا أدري كيف غابت عني بصيرتي حيث لم ينتابني التفكير فيك؟! ، وذلك في البحث عن الخطط التي بسببها نستطيع حقاً أن نهزم أولئك الملاعين!».

فابتسم الرجل هو الآخر، ولكن بسمته نمت عن السعادة بأحد تلاميذه النجباء قائلاً: «ليس من المهم أن نشترك جميعاً في عمل ما نعمله، ولكن الأهم من ذلك بكثير أن نُوفق فيه، سواء أنا من قدمه أو أنت أو أحد آخر، وأنا أرى أنك قد وفقت في تلك الخطط العظيمة التي وضعتها يا "إندو"، لذا أنا سعيد بك جداً!».

«لا أعرف ماذا أقول لك سيدي الحكيم "صهيا"، ولكن كل ما أستطيع أن أقوله لك أنك حقاً قد عشت من أجل الحكمة، لذا أعتبرك أهم الشخصيات التي أثرت في نفسي على وجه الإطلاق، وكم أتمنى حقاً أن نكون سوياً في رسم تلك

الخريطة الحربية، التي بالتأكيد سيكون لها شكل آخر عندما تأخذ ملمس يديك الحكيمتين!».

فابتسم الرجل وربت على كتفيه مرة أخرى قائلاً: «ليكن ما أراده الإله لنا يا ولدي، فعندما يرجع لنا فرسان التجسس سنبدأ على الفور وضع الخريطة».

«إذاً فلنتناول طعام العشاء سوياً، فإن الطعام لم يتبقى عليه إلا القليل حتى يأتي، وأنا حقيقة قد اشتقت إلى تناول الطعام معكم، فمنذ يومين أو أكثر ولم نتناول لقمة واحدة سوياً».

قالها الأمير "آثال" ثم نظر إلى أحد وزرائه كي يعجل حضور العشاء، ولم يستطيع أحد منهم أن يفلت من ذلك العشاء مع الأمير حيث أنه شدد عليهم عندما اعترضوا، وكان "شابران" قد ذهب من أجل حضوره، ولم يمر إلا القليل من الوقت حتى حضر الوزير "شابران" ومن خلفه طعام العشاء، فوضع الطعام على مائدة طويلة قريبة من الأرض، حيث جلس كلاً منهم على فرو النعاج البني الجميل، وقد جلس الأمير "آثال" على رأس المائدة وعلى يمينه الفيلسوف الصغير "إندو بانديل"، وقد جلس عن يساره "بانديل" نفسه، وجلس قابلته الحكيم "صهيا" وانتشر الأخوة الثلاثة لـ "إندو" بجواره وبجوار والدهم، وكان هناك ثلاثة آخرون غيرهم، وهم وزراء الأمير "آثال" وكان من بينهم "شابران"، كانت المائدة حقاً مليئة عن أخرها من رزق الإله عليهم، فأكلوا كما يجب استعداداً لوقت فيه لن يفكروا أبداً في مثل هذا الطعام، استعداداً لتلك الساعة الحاسمة التي من الممكن أن تجعل أحدهم لا يرى مثل هذا الطعام مرة أخرى في هذه الدنيا، ولكن لم تكن

نيتهم أن يلتهموا هذا الطعام لذلك، بل كانوا يأكلون حقاً وكل واحد فيهم يرى قطعة اللحم التي يأكلها كأنها أحد هؤلاء الوحوش الذين سيقفون أمامهم خلال وقت قصير جداً، وقت قد يكون أقرب إليهم من تلك المائدة التي يجلسون أمامها، لذا كان يلتهم كل واحد منهم اللقمة بشراسة ولكن في أدب عظيم للطعام الذي يجلسون أمامه.

وما أن انتهوا جميعاً من تناولهم لهذا الطعام؛ جاءهم أحد خدم الأمير "آثال" بشراب الورد، فشربوا جميعاً وما أن انتهى الحكيم "صهيا" من شرابه قال: «أرجو من الإله أن تدوم نعمة وأن يحفظها من الزوال».

فابتسم "بانديل" لما سمعه من الحكيم "صهيا" ثم قال: «اللهم أطعم من أطعمنا واسقي من سقانا».

فابتسم الأمير "آثال" لهم قائلاً: «حفظكم الإله لنا حقاً، فما رأيت رجالاً أوفياء صادقين في عبادتهم للإله مثلكم».

«هذه حياتنا يا أمير "آثال"، فلقد تربينا على ذلك وربينا أبناءنا أيضاً على ذلك».

قالها "بانديل" ثم أكمل الحكيم "صهيا" قائلاً: «إنها كلمات قليلة ولكنها كبيرة جداً عند الإله العظيم، ومجرد قولها والاعتقاد فيها يقربنا كثيراً من الإله، والتقرب منه مفازة عظيمة لا أجد أحداً من الخلق يعطي مثلها».

«يا ليتني طلبت الحكمة من صغري، ولكن كان هذا صعب جداً حيث أنني توليت الإمارة من صغري، فلم يكن هناك وقت لطلبها، إلا أنني أفتخر كثيراً

عندما أجد من هم مثلكم».

قالها الأمير "آثال" ثم نظر إلى "إنـدو" حيـث أنـه شـهق شـهقة مكتومـة وتبعها بتنهيدة دلت على تهيئته للكلام، فقال: «لكل عمل رجاله سيدي الأمـير "آثال"، وأنا أراك عظيماً في عملك كأمير تدير تلك القبيلة الرائعة؛ قبيلة "أدماث" وتباشر صناعة الأسلحة فيها، وما إلى ذلك من فنون القتـال الـتي تمتلكهـا، وهـذا هو عدل الإله لنا نحن البشر، أن نجد الكثير من الناس في أماكنهم الصحيحة!».

«لقد أصبت في ذلك حقاً يا "إندو"!».

قالها "أكيار" ومن ثم نظر إلى شقيقه "إندو" في ابتسامة دلت على سـعادته به، ثم استأنف الحديث قائلاً: «حيث أن الأمير "آثال" لا يستطيع مثلاً أن يكـون مكان الحكيم "صهيا"، وهكذا الحكيم "صهيا" لا يـستطيع أن يكـون مكـان الأمـير "آثال"، تلك هي النسبة والتناسب بين الناس بعضهم البعض، وبالفعل هذه عدالة إلهية ظاهرة حقاً، لا يشك فيها من يؤمن بالإله أبـداً، فـلا يـستطيع أي إنـسان أن يجمع كل نواحي الحياة في نفسه، كما أنه لا يستطيع أن يعمل شيئاً صـحيحاً هـو ليس عمله، إلا أن يشاء الإله ذلك وتلك حكمة عظيمـة حقـاً دلـت علـى أن الخـالق عدل في خلقـه، وفي حكمـه، وفي رزقـه، وسـعت حكمتـه كـل شـيء وهـو الواسـع العليم، فالإنسان في مجاله يفعل أشياء لا يفعلها مـن دخـل نفـس المجـال دون أن يعرف به شيئاً، تلـك هـي الحكمـة الإلهيـة بعينهـا، فالنجـار رجـل عـارف في صنعته فاهم لجميع مزاياها، والمزارع هكذا فاهم لصنعته، والمعلم فـاهم لـصنعته، والأمير فاهم لصنعته، والوزير فاهم لصنعته، والخفير فـاهم لـصنعته، والفـارس

فاهم لصنعته، والحارس فاهم لصنعته أيضاً، فلكل عمله الذي يتفوق فيه، ولكن عندما تختلط الأمور ويصبح الخفير بدلاً من الوزير، والنجار بدلاً من الأمير، ويصبح المزارع بدلاً من الحارس، والمعلم بدلاً من الفارس؛ تصبح الدنيا مليئة بالجهل وتنقلب كل تلك الأعمال على أصحابها وعلى غيرهم الكثيرين، وبذلك لا يستطيعون التقدم ولو مقدار خطوة واحدة، هكذا هي الدنيا وهكذا هي حكمة الإله فيها!».

«صدق ما قلت يا ولدي! ، فلقد صدقت حقاً يا "أكيار"!».

قال ذلك الحكيم "صهيا" وهو يبتسم ابتسامة دلت على رجل ذا عقل فطن، حكيم في كل كلمة يخرجها من فمه، ثم استأنف الحديث مرة أخرى قائلاً: «لطالما كنتم جميعاً أولاد هذا الرجل».

فأشار على "بانديل" متابعاً: «لطالما تمتعتم بالحكمة، إنني حقاً سعيد جداً بأسرة كأسرة "بانديل"».

فابتسم "بانديل" ابتسامة خفيفة قائلاً: «هذا من فضل الإله علينا يا صديقي، إنني حقاً مهما شكرت الإله على ما رزقني من علم أنا وأبنائي فلن أوفي مقدار أنملة مما رزقني إياه».

«هذا لأن الإله لم يحمده أحد كما يجب، لذا حمد نفسه بنفسه فالحمد لله رب العالمين».

قال ذلك "إندو" قبل أن يحتاج الأمير "آثال" إلى النوم، حينها نام الجنود جميعاً للراحة، حتى أن "بانديل" أراد هو الآخر أن ينام بعدما ظل مستيقظاً أكثر

مـن يـومين، ولم يتبقـى إلى ثلاثـة فقـط علـى يقظـتهم "إنـدو" والحكـيم "صـهيا" و"ساتيدما"، فقد انتقلوا بثلاثتهم إلى خيمة أخرى وأشعلوا شـعلة بجـوارهم كـي تنير لهم المكان، توسط الجلسة الحكيم "صهيا" وجلس على يمينـه "إنـدو" وعلـى يساره "ساتيدما"، كان الحكيم "صهيا" في تلك الجلسة يغلب عليه هيئته القديمـة حيث مجلسه في مدرسته الأخلاق، حيث تربية الأطفال وتعليمهم الحكمة، ذلـك الحكيم الذي سترت لحيته الكثة عنقه الطويل، وتسلسلت خيوط شعره متدلية إلى منكبيه، وثيابه الفضفاضة الفضية من العباءات والتي هي أحب الثيـاب إلى قلبـه، كما كانت القبيلة كلها تفعل ذلك، ولكن ثياب الحكمـاء مثلـه كانـت تختلـف عـن الثياب الباقية بأشياء أخـرى، تجعلـهم حكمـاء حقـاً مثـل هـذا الحكـيم العظـيم "صهيا"، حكيم قبيلة "قُرّان" والمعلم الأول لها.

أمسك الحكيم "صـهيا" بالريـشة ووضـع رقعـة الـورق الـتي أمـسك بكلـى طرفيها "إندو" من اليمين وأخيه "ساتيدما" من اليسار، غمس الريشة في المحـبرة وبدأ يخط خريطة للقبيلة مـن الناحيـة الـشرقية وذلـك بانحناءتهـا مـن الجنـوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وظل يشرح لكلاهما ما يرسمه وكان "ساتيدما" بالطبع يعرف كل ما يخطه الحكيم "صهيا" حقاً، وذلك لأنه تنقـل كـثيراً في أنحـاء شتى من القبيلة حيث أنه كان يحب التعرف كثيراً على كل شبر وذراع في فيهـا، ظلـوا على هذا الحال طويلاً وكان "إندو" قد فهم كل ما قالـه الحكـيم "صـهيا"، وابتـسم ابتسامة فرح عندما انتهى الحكيم مـن رسـم الخريطـة، وقتهـا قـال "إنـدو": «لم يتبقى أمامنا إلا رجوع "فرسان التطلـع"، حيـث أنهـم مـن سنعرف مـنهم إلى أي

منطقة في القبيلة سيصل الجيش الآخر!».

لم يرد "إندو" أن يقل ينعتهم بـ"فرسان التجسس"، حيث أنه ينتقى الكلام عندما يتحدث عن أناس لهم قيمة كبيرة مثل هؤلاء العظماء، الذين يضحون بحياتهم من أجل الباقين لمعرفة الأخبار عن الأعداء.

تبددت خيوط الليل السوداء حينما بزغت الشمس ليبدأ من عمرها يوم جديد، وقتذاك كان الحكيم "صهيا" وكلاً من "إندو" و"ساتيدما" لازالوا مستيقظين، لذا كانوا أول من قابلوا "فرسان التجسس، الذين حضروا مع بزوغ الشمس، فقابلهم الحكيم "صهيا" مهللاً في سرور وذلك بصحبة "إندو" و"ساتيدما"، حيث أن "فرسان التجسس" قد رجعوا بأربعتهم، إلا أن الحكيم قد انتابه الشك في بادئ الأمر، عندما رأى ثلاثة فقط من الخيول على مدى الطريق، ولكنه عندما وجد الفرسان كاملين دون نقصان هلل بسعادة وسرور، لذا كان هذا أول ما فكر فيه هم الفرسان أولاً، صاح البعض هنا وهناك ممن كان لديهم نوبة المراقبة، فاستيقظ الجميع وكان أول من استيقظ هو الأمير "آثال"، انحنوا بأربعتهم أمام الأمير عندما قدم، فابتسم لهم قائلا: «أتمنى أن تكونوا بخير، فكم قلقنا عليكم».

فانحنى "دَبيل" أمامه مرة أخرى قائلة: «لقد اطّلعنا عليهم يا مولاي الأمير "آثال"، حيث أنهم كانوا في الليلة الماضية في بداية دخولهم غابات "برام" الشمالية، ولم نرد الراحة كي نستطيع أن نأتي قبلهم بوقت فسيح، هذا كي نستطيع أن نفعل شيئاً قبل وصلوهم».

«إن أعدادهم رهيبة حقاً يا مولاي الأمير، لكن بمشيئة الإله سوف ننتصر عليهم كما انتصرنا على فريقا التجسس الخاص بهم».

قال ذلك "أُثيب" بعدما انحنى للأمير، ثم قص ما حدث له هو و"أبيناف" مع الفريق الثاني، وما حدث مع كلاً من "دَبيل" و"حصبان" مع الفريق الأول، فانبهر الأمير بما قاله، ثم ربت على كتفه قائلاً: «حقاً لقد بعثت رجالاً عظماء لتلك المهمة!».

«نحن في طاعة الأمير "آثال"».

قالها "أُثيب" ثم انحنى للأمير مرة أخرى، وهنا كان السؤال الذي انتظره الجميع، حيث تقدم "إندو" خطوة إلى الأمام قائلاً: «نحن نريد أن نعرف إلى أي منطقة في القبيلة على مدى الأسوار سيصلون لو أنهم سلكوا طريقكم؟!».

«لو أنهم سلكوا نفس الطريق فسوف يصلون إلى نصف الأسوار، أو أنهم سينحازون إلى الناحية الجنوبية بعض الشيء».

قال ذلك "دَبيل"، ولكنه انتظر وقتاً كي يتكلم أحداً، ولكن كان هذا دون فائدة، لذلك قال: «لكن ستحتاجون بعض الحسابات لتعرفوا جدياً إلى أي منطقة سيصلون، حيث أنهم سوف يمرون من الجندل في نهر "قبرونيا" إلى الغابات الجنوبية، وسيستمرون فيها إلى أن يصلوا إلى الشواطئ الشمالية الغربية لبحيرة "بابرت"، وهذا ما سيجعلهم يصلون إلى ما بعد نصف القبيلة من ناحية الجنوب».

«إذاً لابد وأن نعمل الآن».

قال ذلك "إندو" ثم نظر إلى الأمير "آثال" مستأنفاً: «يجب أن تنظم الجيش سيدي الأمير، لأنه لم يعد أمامنا من الوقت الكثير، فجيش العدو سوف يبدأ هجماته في صباح الغد».

«عندك حق يا "إندو" عندك حق يا ولدي، لابد وأن نكمل ما بدأناه في تلك الخريطة الحربية، حيث نخوض الحرب بكل دقة وإتقان».

كان هذا كلام الحكيم "صهيا" الذي جعل "إندو" يستأذن من الأمير "آثال" ليتم عمله، فأذن له الأمير بذلك فأحضر ثلاثة من الخيل، له ولأخيه "ساتيدما" وللحكيم "صهيا"، أما بالنسبة لـ"بانديل" فقد صاحب الأمير "آثال" حيث ضبط الجنود ليعرف كل واحد منهم مكانه بدقة شديدة، وذلك كي لا تضيع منهم تلك الحرب العظيمة التي لو ضاعت لضاع كل شيء.

انطلق الثلاثة بالخيل نحو الشمال حيث الأسوار الشمالية الشرقية من القبيلة، حيث بداية العمل لتلك الخريطة الحربية التي من خلالها سوف يعلمون في أي منطقة سيصل الجيش الآخر، لذا زادوا جميعاً من سرعتهم حتى يفعلوا ذلك في وقت وجيز، وقام الأمير "آثال" بتقسيم أعداد الجيش حيث المجموعات الثلاث، التي من خلالها سوف يقوموا بصد الهجوم الخطير من الجيش الآخر، حيث أن المجموعة الأولى سوف تكون خلف الأسوار، وهي سوف تلعب عدة أدوار مهمة جداً، فمنهم من سيشعلون النار في الخندق، ومنهم من سيقوم بحمل سلاح النبال والأقواس، كي يرموا عليهم السهام والأحجار، وهم سيكونون علامة على جذب أولئك الوحوش إلى الأسوار حيث حتفهم، ومنهم من سيقوموا على

المجانيق لرمي الحجارة الكبيرة عليهم أيضاً، وهذا سيكون أول تلك العلامات التي ستجذبهم إلى السور، وحينما ينجذب منهم الكثيرون إلى الأسوار يكون هنا دور من يحملون الشعل النارية لدلع الحريق بالخندق، أما بالنسبة للمجموعة الثانية فهي من ستخرج لجيش أكلة لحوم البشر من الناحية الجنوبية الشرقية كي يجذبونهم إلى جبل "طابان"، حيث بقية الحرب والتي ستدور من خلال المجموعتين الثانية والثالثة، فستكون الثالثة وهي المجموعة الأكبر لدى الجيش كله، وستنقسم إلى عدة مجموعات، حيث أن بعضهم سيحملون الأقواس والنبال كي يضربونهم من فوق الجبل، أما المجموعة الثانية فستكون مجموعة الأحجار، تلك الأحجار التي سيرمونها من فوق الجبل لتنهال على جنود الجيش الآخر، وسيقفون أعلى المجموعة الأولى قليلاً، وأما المجموعة الثالثة سيكونون هم من يحاربون بالسيوف والرماح، وهم من سينضم إليهم المجموعة الثانية الكبرى.

كان هذا هو العمل الذي خاض فيه الأمير "آثال" بعدما ذهب "إندو" بصحبة الحكيم "صهيا" و"ساتيدما" أخيه، أما بالنسبة لـ"إندو" ومن معه فقد وصلوا إلى المكان الذي أشار إليه "دَبيل" من قبل، واستطاعوا أن يحسبوا مكان وصول الآخرين بدقة شديدة، وذلك بعد خوض بعض عمليات الحساب الهندسي للمساحات، حينها بدأ "إندو" برسم أول خطوط "الخريطة الحربية"، التي من خلالها سيعرفون أماكن الجنود، وذلك كي لا يتفرق جنودهم على طول الأسوار مخافة أن يأتي الجيش الثاني من الناحية الشمالية أو ما شابه.

وفي خلال ساعات كان "إندو" قد انتهى من رسم خريطته الحربية من تلك

المنطقـة، وذلـك بمـساعدة الحكـيم "صـهيا" الـذي جاهـد كـثيراً معـه هـو وأخيـه "ساتيدما"، وعندما انتهـوا بثلاثـتهم منهـا انطلقـوا مـرة أخـرى راجعـين حيـث الجهة الجنوبية، كي يتموا ما بدؤوه في تلك الخريطة.

ولما أن وصلوا استطاعوا معرفة قياس المنطقة كلها من حيث جبـل "طابـان" إلى تلك المنطقة التي وصلوا إليها، ومن خـلال تلـك الخريطـة استطاعوا أن يـضعوا المجانيق بدقة في أماكنها، حيث أنها بدأت من ذلك الموضع إلى الناحية الجنوبيـة ليضعوا على رأس كل خمسين ذراع منجنيق واحد.

وما أن اتخذ كل شيء موضعه حتى كان غروب الشمس، تلك الشمس الـتي غربت عليهم وقد أتموا خريطتهم الحربية الـتي قـدمها "إنـدو" للأمـير "آثـال"، والتي من خلالها وضع الأمير "آثال" كل شيء في موضعه، منتظرين رؤية الجـيش الآخر .. ذلك والكثير منهم ينشدون مع بعضهم البعض ذلك النشيد العظيم:

«الحرب قد قدمت والنار تشتعل،

وقلوبنا أصبحت بالنبض تشتغل.

والشمس قد فارقت يوماً به سكن،

كي تأتي في الغد نحو الحرب تقتتل.

كنا بدنيا بها نلهو ونرتمي،

فوق السرائر بَسماتُنا تعلو،

لسنا ضعافاً ولكنَّ قلوب العدى،

تنبض نيراناً وتحرق إن غدا عقل.

إلى الحياة أراد الحق منتصراً ،
وبنصره نجد الأيام قد تحلو.
وقد تكون سروراً أو ملاذاً لنا ،
في ذلك الوقت فيه الشر يتصل.
بالشر والخير لا نجد الحياة له ،
أبداً فإن الخير ملاذه العمل.
عمل بنور الإله له يكون له ،
سكن بجنته ليس بها خلل.
كل الجروح تقلصت بناصية ،
بها الجروح التي تكاد تندمل..
تصرخ بصوت الرعود فوق جلجلة!
مع احتقان دماء الوجد في البشر.
ترنو العيون إلى النفس التي تبكي،
من هؤلاء الوحوش فهي تشتعل..
ناراً ونار الحروب تظل قائمة ،
حتى يموت الشيوخ ومثلهم طفل.
إن السلاح ليبكي كلما رُفع،
والأرض تصرخ من سفك الدماء بها!
والطفل يبكي ويبكي له الطفل!

لسنا نعاهد إلا الإله بما ،

أقبلنا فيه وأصبح صبرنا ثمل!

يهوى إلى الخوف لكنّا نبادره ،

بشجاعة القلب حيث ينبض البطل.

إن الدروع التي تحمي مواقعنا ،

نحمي بها كل ما قد كان لا يعلو.

نحمي بها الطفل في حضن الحياة له ،

نحميه من كل شر يقتفي الأثر ،

من هؤلاء وهؤلاء إن فعلوا ،

إن دمروه بما يقتل عقائده ،

فإننا نبدأ من فورنا القتل».

الفصل السادس عشر

رؤيـة بيـن أوقـات عصيبـة

أظلم الليل ظلاماً دامساً واشتد البرد وقتئذ واحتمى سنا برقه، حيث كان السديم يملئ السماء فاختفت على إثره نجومها، وقد طال انتظار من في قبيلة "قُرّان" لاستقبال جيش العدو ولكن دون فائدة، حيث أن الأمير "آثال" هو والباقين ومجموعة عظيمة من الجيش؛ كانوا ينتظرون هناك عند المنطقة التي علموا أن الجيش الآخر سيصل إليها، والوقت يبطئ والخوف يملئ قلوبهم، ولكن الخوف كل الخوف أن ينزل المطر، فينهي الجزء الأكبر من خطتهم، فينتهي الأمر بهزيمة ساحقة يُلحقونها بهم آكلي لحوم البشر، لذا كانت أكثر نظراتهم إلى السماء، وصدورهم تعلو وتهبط في سرعة شديدة من إثر نبضات القلوب التي تتمنى من الإله ألا يُهدم بالمطر ما صنعوه، ولكن كانت هناك حكمة كبيرة مظللة بالإيمان الكلي بالقضاء والقدر لدى الحكيم الكبير "صهيا"، حيث أنه حطم خوفهم وشيد لهم بناءً عظيماً من اطمئنان بتلك الكلمات العظيمة، تلك الكلمات التي ينشرح لها القلوب، تلك الكلمات الصادقة التي تهدئ العقول، تلك الكلمات النابعة من الحق والعدل حيث أنه قال: «ألم تروا أن الإله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه في مكان تجمعه ثم يجعله ركاماً؟! فتروا الودق يخرج من خلاله! وينزل من

السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء! يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار».

انتبه كلاً من "بانديل" وابنه "أكيار" و"إندو" وبعضاً من الواقفين لذلك الكلام العظيم، ولكن الأمير "آثال" والكثير من جنوده لقربهم من العمل في الجيش وصنع السلاح، وبعدهم عن الحكمة جعلهم غير مندهشين لما قاله الحكيم "صهيا"، وهذا ما جعل الأمير نفسه يندهش لانتباه الآخرين بما قال ذلك الحكيم العظيم الذي يؤمن بالإله حق الإيمان، فحرك رأسه بعض الحركات غير المقصودة في ابتسامة خفيفة متعجباً لذلك قائلاً: «ماذا قلت أيها الحكيم "صهيا"؟! إنني حقاً لم أفهم مقصدك هذا!».

فابتسم الأخير ابتسامة رجل حكيم حقاً، وأحد أكبر المعلمين والحكماء في قبائل "دويرام" جميعاً، ثم قال: «إن ما قصدته أيها الأمير "آثال" أن الإله العظيم القادر على كل شيء يسوق سحاباً كالقزع أي قطعاً متفرقة، ثم يؤلف بين هذا السحاب في مكان يجمعه فيه، ثم يجعله ركاماً أي بعضه فوق بعض، فترى المطر يخرج من خلاله، وينزل من السماء من جبال؛ تلك السحب التي يتراكم بعضها فوق بعض فتصبح على هيئة جبال، تلك الجبال فيها من برد عظيم لا يتحمله أحد، فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار؛ أي لمعان ذلك البرق العظيم الذي ترونه في السماء، والذي ينتج عن البرد الشديد الذي يتكون داخل تلك الجبال السماوية التي تجمعت بإرادة الإله من إثر سياقه للسحب المتفرقة، المتراكمة بإذنه، فيكاد يذهب بالأبصار».

أخذ الأمير "آثال" على إثر ما قاله ذلك الحكيم نفساً عميقاً كاد يملئ صدره بالبرودة الشديدة المنتشرة في الهواء الطلق؛ فينعدم الدفء الذي جمعه بداخله كل هذا الوقت الذي انتظر فيه مجيء الجيش الآخر، وذلك في نظرة جعلت الدهشة على وجهه أكثر من ذي قبل قائلاً: «إن هذا لشيء عجاب».

«وكيف لا يكون عجيباً يا سيدي وهو أمر خلقه رب العجب العجاب!».

قال ذلك "إندو" الذي كان قد ولى للأمير ظهره منذ وقت ما، ولكنه رجع وولى له وجهه مرة أخرى مستأنفاً: «عذراً أنني تحدثت بدون أن يأذن لي أحدكم، ولكن الأمر يا أبي، الأمر يا سيدي الحكيم "صهيا"، الأمر أيها الأمير "آثال"، الأمر لطالما يختص بقدرة الإله؛ فالنفس تشتاق إلى الحديث في ذلك كثيراً .. حيث أن الإله بقدرة منه قد رفع السماء بغير عمد ترونها، تلك السماء الشامخة المليئة بالنجوم والكواكب والشهب، الذي أقل نجم فيها يكبر عن تلك الأرض التي نعيش عليها بآلاف آلاف المرات، فسبحانه يخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير».

ربت الحكيم "صهيا" على منكبي "إندو" في ابتسامته التي تدل دائماً على حكمته العظيمة قائلاً: «ويحك يا بني! أتعتذر عن الحديث وهو عن ملك الملوك؟! إنما الإله خلقك لتوحده وتعبده وتعظمه وتحمده وتقدره حق قدره في كل وقت وحين، لذا فعظم الإله وقتما تشاء وأمام أي أحد».

«ولكني سيدي الحكيم "صهيا" قدمت اعتذاري لأنكم حقاً أولى مني بالكلام، وأنت بالخصوص أعرف مني بذلك».

قال ذلك "إندو" وطأطأ رأسه إلى الأرض، ولكن الحكيم "صهيا" أمسك بذقنه ورفع بها رأسه في عطف شديد قائلاً: «لا يا ولدي، لا يا "إندو"، بل لابد أن تتكلم في حضرتي دائماً، فإذا أصبت أجزتك، وإذا أخطأت عدلت لك خطأك إلى الصواب، وأنت لم تخطأ، أنت لم تخطأ يا "إندو"، بل بالعكس تماماً! فكل ما قلته صدق في صدق يا بني، فلقد وقفت أمام حكمتك من قبل ملجماً، تلك الظاهرة التي لم أستطع تفسيرها، فيحق لك يا ولدي أن تتكلم أنّا شئت؛ لأنك ذا حكمة عظيمة سوف تفوق بها أهل زمانك يا "إندو"».

حين ذلك نظر الجميع نظرة عطف له، ليس لنقص فيه ولكن لأمل عظيم يختفي وراء عينيه، تلك العين التي ظلت ناظرة إلى الأرض كي لا يرى أحدهم الحزن بداخلها، في وسط ضوء الشعل التي يحملها الجنود من حولهم، ولكن العين في وقت البكاء تبكي مهما وقف أمامها من العوائق ما وقف، إلا أن دموعه لم يراها أحد تنزل إلى الأرض لأنها اختلطت بماء المطر الذي نزل لتوه من السماء بأمر الإله.

ضُرب للأمير ومن معه خيمة عظيمة بجوار التلة الصغيرة التي كانوا يقفون عليها منتظرين أكلة لحوم البشر، وذلك ليتفادوا ماء المطر أياً كانت شدته، ولكن البعض منهم أبوا أن يدخلوها إلا بعد وقت ما، كان "بانديل" أحد الذين فعلوا ذلك، وكان في ذلك الوقت قد غاص وحده في منأى عن الجميع، حينها رفع يديه إلى السماء والبرق من خلفه يكاد يحرقه، والرعد يكاد يسرق سمعه، والرياح تكاد تحمله من فوق الأرض، والمطر يكاد يغرقه قائلاً:

«أرجوك إلهي..

ألا تقتلنا بغضبك،

ولا تهلكنا بعذابك،

وعافنا قبل ذلك..

إلهي إني أسألك خير تلك الرياح،

وخير ما فيها،

وخير ما أرسلت بها،

وأعوذ بك من شرها،

وشر ما فيها،

وشر ما أرسلت بها..

اللهم صيّباً نافعاً..

اللهم حوالينا ولا علينا،

اللهم على الآكام والظراب،

وبطون الأودية ومنابت الشجر،

اللهم على كل أعداءك أعداء التوحيد،

فسبحانك يا إلهي

يسبح الرعد بحمدك والملائكة من خيفتك،

ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

بعدما انتهى وقبل أن تنزل يديه؛ نزلت بعض قطرات الدموع التي جرفت مقلتيه منحدرة على خديه، ولكن قبل أن تسقط على الأرض لحقها بكفيه، لتختلط بماء المطر الذي تكون في يديه فور انتظارها لاستقبال دموعه، فنظر إلى كفيه جيداً وكأنه أراد أن يفرق ماء المطر عن تلك القطرات الساخنة، ولكن اختلط الساخن بالبارد فوضّأ بهما وجهه وفي قلبه أمل عظيم بنصر الإله.

أقبل "بانديل" إلى الخيمة، ولكن تفاجئ بسؤال الأمير "آثال" عن الباقين قائلاً: «السيد "بانديل"! أين الحكيم "صهيا"؟! أين حكيمنا الصغير "إندو"؟! أين "أكيار" ولدك، أين رجالكم؟!».

كانت عين "بانديل" لازالت رطبة على إثر البكاء، لذا تنحنح قليلاً حتى يعدل من صوته الذي قد يكون اختلف بعض الشيء عما كان، ثم خرجت تنهيدة حارة من صدره أخذ بعدها يتنفس الصعداء قائلاً: «ربما ذهب كلاً منهم إلى وجهة لدعاء الإله أن يفك هذا القرب العظيم».

فابتسم الأمير ابتسامة رقيقة شديدة الرقة قائلاً: «ألا إنكم قوم تحبون الإله كثيراً، ألا إنكم إن شاء الإله منتصرين».

«إذاً فأينما تولوا وجوهكم فثمَّ وجه الإله العظيم، فادعوه واطلبوا منه ما تريدون عسى أن يستجيب لأحد منّا! فينصرنا بإذنه وبقدرته على القوم الظالمين».

كان الدعاء هو حال الجميع، لذا كان الحكيم "صهيا" قد تنحى هو الآخر إلى منأى عن الباقين، ومن ثم وجث على ركبتيه اللتان غرقتا في ماء المطر رافعاً يديه إلى خالقه قائلاً:

«إلهي..

إنه لولاك ما اهتدينا،

ولا عَلِمْنا ولا عَلَّمْنا،

ولا تصدقنا ولا صلينا،

فأنزل سكينة علينا،

وثبت أقدامنا إنْ الأعداء لاقينا،

إنهم قد بغوا علينا،

إذ أرادوا فتنة أبينا».

وفي نفس ذلك المشهد كان "أكيار" ولكن في منأى هو الآخر عن الآخرين، الذي أصبحت دموعه كقطرات المطر التي تنزل من أمامه بشدة كأنها أحجار صغيرة تنزل من السماء، لم تكن دموعه تختلف كثيراً، إلا أن الاختلاف الشديد بينهما هو أن قطرات المطر كانت تنزل باردة شديدة البرودة، وقطرات دموعه كانت حارة جداً تحمل معها كل دفئ قلبه وصدره وجميع جوارحه، ذلك ويداه مرفوعتان إلى السماء، وقد جلس في ذلك الفضاء دون شيء من عناء، وكأن وقت الفصل صيف لا شتاء، وشفتيه ترتل كلمات الدعاء:

«إلهي..

يا خالقي من تراب،

إلهي..

يا مجري السحاب،

إلهي..

يا هازم الأحزاب؛

اهزمهم وانصرنا عليهم،

فإننا يا إلهي ما تمنينا لقاءهم،

وإنا نسألك العافية،

والصبر غذاءنا وقت ملاقاتهم،

فاجعل سيوفنا فوق ظلال الجنة..

إن متنا وكنا في تلك الحرب شهداء».

تلك هي أحوالهم، إذ هي أحوال المجاهدين دائماً في سبيل التوحيد، تلك الأحوال التي لابد لهم منها، حيث هي غذائهم الروحي، أن يناجوا الإله على انفراد تام، فلا يراهم إلا هو، ولا يجيبهم إلا هو، فتارة أحدهم يقف رافعاً يده إلى السماء في تضرع وهو يبكي، وتارة أخرى أحدهم يجثو على ركبتيه ويرفع يديه ويتضرع في بكاء أيضاً للإله، وتارة أخرى أحدهم يفعل مثل فعل الثاني ولكن يزد بكاء على بكاء، واختلف دعاءهم والسبب واحد، بل اختلفت التوسلات والإله واحد .. ولكن تارة أخرى نجد واحداً آخر من بين هؤلاء في منطقة أنأى من كل تلك المناطق، كان هو "إندو"، حيث أنه كان ساجداً على الأرض، فقد أحنى جبينه ولصقه بالأرض، بل جثا بكل جوارحه إلى الأرضَ، حتى أن الماء على

الأرض كاد يغرقه من كثرة اقترابه من فمه وأنفه، ولكنه وقت ذاك لم يفكـر إلا في الدعاء والتضرع إلى الإله؛ عسى أن يحقق لهم النصر العظيم الـذي يتمنونـه، وظـل يبكي ويبكي وهو يرجوا الإله ويتوسل إليه أن ينصرهم، حتى أنـه أحـس بـدفء ماء المطر الذي كان يعلو جبهته، وذلك لاختلاطه بعينه وليس دموعـه فقط، تلـك الدموع العظيمة التي حقاً لو اختلطت بما البحـر لجعلتـه رقراقـاً حزينـاً سـاخناً، وكان صدره يئن أنيناً عظيماً، ويعلو ويهبط بشدة، حيث أنه وقت ذلـك دعـا الإلـه قائلاً:

«إلهي..

يا سابغ النعم،

ويا دافع النقم،

ويا فارج الغم،

ويا كاشف الظلم،

ويا أعدل من حكم،

ويا حسيب من ظُلم،

ويا أول بلا ابتداء،

ويا آخر بلا انتهاء،

أسألك بكل اسم هو لك..

سميت به نفسك،

أو أنزلته في كتبك،

أو علمته أحداً من خلقك،

أو استأثرت به في علم الغيب عندك،

أن تجعل لنا من أمرنا هذا فرجاً ومخرجا..

اللهم إني عبدك ابن عبدك بن أمتك،

ناصيتي بيدك،

ماض في حكمك،

عدل في قضاؤك،

أسألك خيراً فيما مضى،

وخيراً فيما سيأتي،

وفيما هو آت.

أسألك النجاة من كل شرر،

والسلامة من كل خطر،

ليس لي فقط إلهي،

بل لكل الموحدين لك،

من الأنعام و الجن والبشر.

إلهي..

أسألك حفظ الخندق

من ماء المطر المتدفق

كي في أعداءك يا ربي يحرق.

اللهم إني أستخيرك بعلمك،

وأستقدرك بقدرتك،

وأسألك من فضلك العظيم،

فإنك تقدر ولا أقدر،

وتعلم ولا أعلم..

وأنت علام الغيوب.

اللهم إن كنت تعلم أن هذه الحرب خير لنا..

في ديننا ومعاشنا وعاقبة أمرنا؛

فاقدرها ويسرها لنا يا رب العالمين،

وانصرنا فيها فأنت الناصر المعين.

وإن كنت تعلم أنها شر لنا،

في ديننا ومعاشنا وعاقبة أمرنا،

فاصرفها عنا واصرفنا عنها،

واقدر لنا الخير حيث كان،

ثم أرضنا به يا رب العالمين».

انتهى الجميع من تلك المنجاة العظيمة التي تزن الدنيا وما فيها، حيث أن كلاً منهم لم يكن يناجي شخصاً من الأشخاص، ولا أميراً من الأمراء، ولا ملكاً من الملوك .. ولكنه كان يناجي ملك الملوك على الإطلاق، ورب الأرباب، وخالق الآفاق، الحق العادل الرزّاق، رب السماوات والأرض بيده جميع الأعناق ..

ينجاونه مناجاة صادقة بلا مراء ولا نفاق، حيث هو يعلم ما تخفي الصدور، وما تغيض الأرحام، وما كان وما هو كائن، وما رحل وما سيرحل وما ينتهي وما هو باق، ولا يبقى إلا سواه، حيث أنه لا إله إلا هو ولا خالق إلا هو؛ فلا يبقى إلا الإله.

انتهى المطر ولكن لازالت آثاره على هؤلاء الذين لا يزالون خارج الخيمة، حيث أن ماء المطر بقي عالقاً على رؤوسهم ووجوههم، يتقاطر على ثيابهم قطرة قطرة، تلك الثياب التي شربت كثيراً من ذلك الماء الطهور، ومن ثم دخلوا إلى الخيمة ولم يكن هناك أي خبر عن وصول الجيش الآخر، لم يدخلوا دفعة واحدة، ولكن قد جاء الحكيم "صهيا" أولاً بعد أن دخل من قبله "بانديل"، ومن بعده بقليل دخل "أكيار"، وقد اغتسل كلاً منهما بماء المطر؛ حتى يمحو الطين من ثيابهم، ولكن "إندو" أخذ فترة كبيرة شيئاً ما حتى قدم عليهم جميعاً، ولكن منظره آن ذاك كان مختلفاً عن شكله السابق الذي تركوه عليه، فقد وقف أمام باب الخيمة لا يحرك ساكناً ولا يرفع طرفه عنهم ولا يتكلم بكلمة .. بذلك المنظر الجديد الذي لم يعهدونه عليه، فقد كسي الطين ثوبه الأبيض كاملاً ووجهه وشيئاً من رأسه، وعيناه قد أصابها احمرار شديد، ليس من البرد الشديد الذي في الهواء؛ ولكن من كثرة البكاء في مناجاته للإله الحق، ولكن كان البرد شديداً والماء الذي ظل ساجداً عليه للإله كان هكذا أيضاً، لذا أصابته نوبة برد كبيرة جعلت الحمى تنتشر في جميع جسده، فظلت أسنانه تصطك في شدة، وظل يرتعش ارتعاشاً شديداً، لذا وقع على الأرض من أمامهم دون أن يتحرك فيه أي شيء.

انتفضوا جميعاً من أماكنهم وحملوه إلى الفراش الذي أعد للأمير "آثال" من قبل، وجرده والده من ثيابه الخارجية لتبقى ثيابه الداخلية التي تتكون من سروال وقميص أبيضان، ثم غطاه ببعض الأغطية الثقيلة، وقد ذهب الحكيم "صهيا" في إحدى زوايا الخيمة، إلى حقيبة جلدية سوداء وفتحها، ثم أخرج منها كوة صغيرة قائلاً: «لقد ظل كثيراً تحت ماء المطر ولم يكن جسده النحيل يتحمل ذلك، لذا فلنسقه من هذا الشراب شربة عسى أن يشفه الإله».

فأفسحوا له الطريق ليتقدم وبيده الكوة، وما أن وصل إليه حتى رفع إلى فمه الشراب وأعطاه رشفة صغيرة قائلاً: «بالشفاء القريب يا ولدي، فليشفك الإله».

ثم مسح بيده على رأسه وشفتاه تتحرك بالدعاء له بالشفاء العاجل، ثم قال: «هذا الدواء سوف يدفئه كثيراً، وحينما ينول الدفء سوف تذهب عنه الحمى إن شاء الإله، ولكن لابد من ماء بارد حتى يتم علاجه بكلى الحالتين، حيث أن الحمى أو شدة الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء، فلتحضر لي بعض الماء في إناء يا "أكيار"».

«أمرك سيدي الحكيم "صهيا"».

قالها "أكيار" ثم توجه إلى قربة ركنت في إحدى زوايا الخيمة، وفي إناء صغير أحضر بعضاً من ذلك الماء وأعطاه إياه، أخذ الحكيم "صهيا" الإناء منه ووضعه بجواره ثم أحضر خرقة بيضاء صغيرة وغمسها في الماء ووضعها على جبين "إندو"، الذي تنهد تنهيدة مكتومة وفتح عيناه بعض الشيء ثم أغلقهما مرة

أخرى، فابتسم الحكيم قائلاً: «بالشفاء يا ولدي».

«سوف أذهب أنا إلى التلة لأرى حال الجنود، أتمنى له الشفاء العاجل بإذن الإله».

قال ذلك الأمير "آثال" وتبعه بعضاً من رجاله، حيث أن المطر قد انتهى بالخارج، ولكن الحكيم "صهيا" نظر إلى من تبقى وهما "بانديل" و"أكيار" القريبين جداً من "إندو" قائلاً: «فلتذهبا معهم إذا شئتم، وأنا سوف أرعى "إندو" جيداً».

فأومأ كلاهما له ومن ثم خرجوا جميعاً، وبقي هو وحده مع "إندو" السقيم، يغمس الخرقة بالماء تارة ثم يعصرها من الماء ويضعها على جبهة الأخير تارة أخرى، وأثناء ذلك يترك أصابع يده اليمنى تتحسس شعره الساكن بعضاً من الوقت، حتى فتح "إندو" عينيه ببطء شديد وكأنه لأول مرة يفتحها، ليجد من أمامه شيخ هرم يكاد في الثامنة والستين، وما أن ظهرت الرؤية لديه حتى أفصحت عن ذلك الوجه، ليجده الحكيم "صهيا" الذي ابتسم لرؤيته قائلاً: «مرحباً يا ولدي، مرحباً يا "إندو"».

«أين أنا وماذا حدث لي؟!».

قال ذلك "إندو" ثم تحرك قليلاً، وهو يسعل بشدة ولكن قال له الحكيم "صهيا": «ارتاح يا ولدي، لا تجهد نفسك كثيراً، لا تتحرك يا "إندو" حتى يدفئ جسدك وتزول الحمى فتشفى».

فاستفهم "إندو" قائلاً: «ولكن ما الذي حدث لي؟!».

«لقد أتيت من الخارج وثيابك كلها مكتظة بالطين، ودون أن تحرك ساكناً وقفت على باب الخيمة ومن ثم وقعت على الأرض، وأنت الآن راقد على الفراش وقد لفحتك حمة من ذلك البرد الشديد الذي في الهواء».

«إذاً أين أبي وأخي والأمير "آثال"؟!».

«لقد خرجوا إلى التلة لينتظروا الجيش الآخر كما كنا جميعاً من قبل، وهم يتمنون لك الشفاء بإذن الإله».

«هه .. الإله!».

قال ذلك "إندو" في أسلوب تعجب شديد، حيث انتبه لذلك الحكيم "صهيا" فتعجب لرده كثيراً، ولكن قبل أن يتكلم قال "إندو": «لقد رأيت رؤية الآن، رأيت أنني أحمل بعض الحقائب ومركب صغيرة تنتظرني في نهر "قبرونيا" متجهة نحو الجنوب الغربي، وقد ودعت أبي وأمي وكلاً من "أكيار" و"ساتيدما" و"ساجوم"، ولم أودع "سبراك" حيث أنه صاحبني في تلك الرحلة حيث تلك القبائل العظيمة التي في الجنوب الغربي .. كانوا يبتسمون لنا في سعادة تامة، لا أدري لماذا؟! حيث أنه في مثل تلك المواقف يفترض لهم أن يبكوا من أجل الفراق ولا يكونوا سعداء هكذا، ثم رأيت شيئاً فضي جميل شديد البياض، لا أدري ما هو حيث أنه كان منيراً جداً فانعكست أضواءه على وجهي، لذا لم أراه جيداً».

فابتسم الحكيم "صهيا" بانتباه شديد، ثم قال: «ألم ترى شيئاً آخر يا "إندو"؟!».

«شيء! شيء مثل ماذا؟!».

«أي شيء آخر غير ما رأيته هذا، غير الرحيل، شيء مثل سيوف، خيل، جنود، حرب».

«هه .. قد أكون رأيت لكن لا أتذكر الكثير مما رأيته».

أصبح الحكيم "صهيا" في انتباه وتلهف أشد من ذي قبل، حيث أنه قام من مقامه وخطى بعض الخطوات حول فراش "إندو"، ولكنه رجع إليه وجلس مرة أخرى قائلاً: «إذاً قل لي ما تتذكره بدقة يا "إندو"».

«رأيت ناراً تندلع بشراهة شديدة، وأحجاراً عظيمة تنزل من فوق جبل، ورأيت سيوفاً وخيولاً، وسمعت هتافاً ونداءً، لا أذكر شيئاً صدقني من ذلك الهتاف إلا كلمة واحدة».

ثم سكت "إندو" وقتاً ما، ولكن الحكيم "صهيا" لم ينتظره ساكتاً حيث سأله قائلا: «ما هي تلك الكلمة يا "إندو"؟».

ولكن قبل أن ينتهي من سؤاله كانت الإجابة قد مرت من بين شفتي الآخر قائلاً: «الإله».

فردد الحكيم الكلمة العظيمة عدة مرات وهو يفكر في صمت ونظرات عينيه تجاه باب الخيمة، ثم إنه بعد ذلك بقليل مرر أصابعه على جبهة الأخير قائلاً: «إذاً فلتستريح الآن يا "إندو"، وأنا سوف أخرج إلى الباقين لأرى ماذا لديهم!».

الفصل السابع عشر

بـدايــــة الحــــــرب

تبادل الجنود نوبات الحراسة حتى ضوء الفجر، وذلك لعدم وصول جيش أكلوا لحوم البشر حتى ذلك الوقت، وكانوا وقتها قد اطمأنوا على "إندو" كثيراً، وذلك لأنه نال قسطاً عظيماً من الراحة ودفء لم يناله أحد مثله، وقد قام من نومه عدة مرات من أجل الشراب، وتناول الطعام وما إلى ذلك، في ذلك الوقت كانت المجموعة كلها داخل الخيمة الكبيرة، أما الجنود الباقين فكان القليل منهم يقومون بنوبتهم في الحراسة وكشف المكان، والآخرون قد ضربوا بعض الخيم في المنطقة من أجل راحة البدن، ولكن بعد تمعن شديد في الناحية الشرقية خارج السور رأوا جنود جيش آكلوا لحوم البشر وقد هل هلالهم، هنا صاحوا جميعاً وأطلقوا نفير أبواقهم؛ أولئك الذين كانت نوبة حراستهم حيث قام على إثر ذلك الجميع، فخرجوا جميعاً مسرعين وكان الهواء قد استقر شيئاً ما، هم "إندو" بالقيام معهم إلا أن الأمير "آثال" طلب منه ألا يفعل، ولكنه جلس على الفراش دون أن يستند إلى شيء قائلاً: «الآن أنا بخير حال سيدي الأمير "آثال"، فحمداً للإله الذي شفاني وعافني من ذلك السقم».

وكان بالفعل قد برأ من سقمه، إلا أنه كان يحتاج على راحة حتى ولو

قليلة، ثم إنه ارتدى ثياباً غير تلك الثياب التي كان يرتديها، وذلك من حقيبته التي قد جلبها معه مثل الآخرين، إلا أن الكسوة التي أخرجها من حقيبته كانت أكثر جمالاً وأكثر ملاءمة للحرب، فارتداها بسرعة شديدة وعلق الغمد العظيم لسيفه "الحارس العظيم"، وشد من رباط جأشه وهندم من نفسه قليلاً، وحمل درعه وانطلق من ورائهم خارجاً من الخيمة صاعداً تلك التلة التي رأى عليها الآخرون وقد فغروا أفواههم في تعجب شديد.

أسرع "إندو" في صعود التلة، حيث أن نظرة التعجب التي رسمت على وجوه الآخرين أقلقته كثيراً، لذا لم يأخذ من الوقت الكثير حتى وصل إلى أعلى التلة، حينها ارتسمت أعظم علامات التعجب على وجهه، حيث وقع نظره على جيش آكلوا لحوم البشر بعدده المخيف الذي لم يكن يخطر بباله أبداً، حينها فغر هو الآخر فاه قائلاً: «يا إلهي! هذا هو الجيش حقاً؟! هؤلاء هم آكلوا لحوم البشر؟!».

«إنهم بالفعل هم يا "إندو"، إنهم آكلوا لحوم البشر».

قال ذلك الأمير "آثال"، الذي أخرج سيفه من غمده ورفعه إلى أعلى مستأنفاً: «كل في مكانه، استعدوا جميعاً، إنها بداية الحرب».

كان جيش آكلي لحوم البشر قد ظهر بالفعل من بعيد، وأضواء الشعل التي يحملونها أنارت المكان كله تجاههم، لذا ظهروا واضحين كالشمس في عين النهار، وذلك بأشكالهم المخيفة التي أقلقت "إندو" كثيراً، حيث أنه لأول مرة يرى مخلوقات مثل هؤلاء، مع أنه سمع عنهم كثيراً ولكنه لم يرى أياً منهم

سابقاً، ليس هو وحده، بل أخيه وأبيه والحكيم "صهيا" والكثير والكثير من قبيلة "قُرّان" بل الكثيرين أيضاً من قبيلة "أدماث"، واستطاع الخوف أن يجد له في قلوبهم مكان حتى ولو كان صغيراً، إلا أنه قد تمكن منهم شيئاً ما.

وقف "باغور" بجنوده على مقربة من السور بحوالي مائة وخمسين ذراعاً، وقد رفع سيفاً يصل طول نصله إلى ذراعين ونصف الذراع، وذلك عندما رُفع على خشبة عظيمة في قلب الجيش حمله بها أكثر من عشرة من آكلي لحوم البشر، وما أن رأى السور حتى صاح بصوته العظيم وقد اتسع فمه كثيراً قائلاً: «لم يكن هنا سور! ، كيف بني ومتي كان ذلك؟!».

ثم إنه دقق نظره قليلاً ليرى القليل من الجنود في الناحية الأخرى من السور يحملون الشعل النارية، لذا ضحك بسخرية لذعة قائلاً: «إنهم لا شيء، إنهم قليلون جداً!».

ثم ضحك بصوت شديد، وما أن دقق نظره بالسور أكثر حتى على صوته في الضحك أكثر وأكثر، حيث كان السور غير مرتفعاً بالدرجة التي تقلقهم من اجتيازه، لذا جعل جنود جيشه ينتشرون على كلى الجانبين؛ الشمالي والجنوبي.

في ذلك الوقت أعد الأمير "آثال" المجانيق لتبدأ من حيث بداية الجيش الآخر من الناحية الشمالية، ثم بعث الجنود الذين يحملون الشعل النارية إلى السور؛ حيث التربص من ورائه لقدوم آكلوا لحوم البشر، فانتشر عدداً عظيماً منهم خلف السور ليغطوا انتشار آكلوا لحوم البشر على كلى الجانبين، ثم أمسك

الأمير "آثال" شعلة ورفعها بجوار سيفه وهو فوق التلة قائلاً بصوت عظيم: «يا جنود "جومار" و"داهور" .. رسالتي لكم قبل نشوب تلك الحرب الضارية، هي أن الإله الواحد هو الذي في السماء، وهو الذي خلقكم وخلقنا وخلق كل شيء، خلق "جومار" و"داهور" وخلق الشيطان الذي يتحكم في "جومار"، ونحن لأجله نقاتلكم، فلا تتبعوا الفساد فيعذبكم الإله في الدنيا والآخرة».

ولكن كانت إجابتهم نافية ناهية، فقد أطلق أحد جنودهم سهماً عظيماً أصاب الشعلة التي في يده، ولكن لقوة صلابة الأمير "آثال"؛ تحكم في الشعلة جيداً ولم يجعلها تفلت من يده، ثم رفع يده إلى جنود المجانيق بضربة لكل واحد، ففعلوا ذلك لتنتقل من كل منجنيق حجارة عظيمة إلى الناحية الأخرى، فتصيب كل واحدة عدداً كبيرة في المنطقة التي نزلت فيها، بل كانت تدك الواقفين فيها بالأرض دكاً دكا، ولكن كان رد الفعل من الآخرين شديد جداً، حيث أن "باغور" رفع يده بسيفه العظيم إلى الأعلى قائلاً: «مجموعة السهام تستعد».

وما أن قال هذا حتى رفعت مجموعة السهام العظيمة أقواسها إلى الأعلى ناحية السور، وما أن نزل بسيفه حتى أطلقوا سهامهم، لتنطلق بشراهة عظيمة ناحية الآخرين، ولكن رفعوا جميعهم الدروع ليتفادوا تلك السهام العظيمة، ولكنها أصابت منهم عدداً لا بأس به، وقتها رفع الأمير "آثال" يده قائلاً: «مجموعتا المجانيق والسهام، فلتبعثوا إليهم بغمامة تسد أبصارهم».

حينها أطلقوا جميعاً وابلاً عظيماً من الحجارة والسهام، أصابت الكثير والكثير من أولئك الجنود من آكلي لحوم البشر، على إثر ذلك صاح الأمير "آثال"

مرة أخرى في الجيش الآخر قائلاً: «مرة أخرى أنبهكم يا من لا تعرفون الحقيقة، إنكم عبيد لعبد قد حكم عليه الإله بالجحيم، إنكم عبيد للشيطان فارجعوا إلى عبادة الإله الواحد الذي لا إله غيره».

ولكن هذه المرة أجاب "باغور" بنفسه قائلاً: «لا تتحدثوا اليوم أيها البشر، فلقد منع الكلام لديكم، إنكم إذاً لصاغرون».

ثم قدم مجموعة الرماح أولاً، تلك المجموعة العظيمة التي لا تعد ولا تحصى في مثل ذلك الموقف العظيم، وما أن رفع يده بسيفه مرة أخرى حتى أنزلها قائلاً: «فلتنطلقوا إليهم».

فانطلقوا جميعاً ناحية السور وكأنهم ذئاب لا قبل للآخرين بهم، ولكن كانت إجابة عظيمة قالها الحكيم "صهيا" عندما اقتربوا هكذا، حيث أنه نظر إلى من معه في صياح شديد قائلاً: «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

وما أن قال ذلك حتى نظر الأمير "آثال" إليه في ابتسامة عظيمة، ثم حول بصره إلى جنود الشعل قائلاً: «فليستعد الجميع».

ثم أمر الباقين بأن يبعثوا وابلاً من الحجارة والسهام، ففعلوا ذلك مرة أخرى ولكن باستمرار، حتى لقي الكثير من آكلي لحوم البشر حتفهم، وظلوا على هذا الحال ومجموعة الرماح لدى أكلة لحوم البشر لازالوا يتقدمون بسرعة بالغة، حين ذلك رمى الأمير "آثال" ببصره ناحية أحد الجنود الذي كان ممتطياً جواده

بأن ينطلق به ناحية الجنوب، فأومأ الجنـدي لـه إيمـاءة عظيمـة جعلتـه يـضرب جنبي الجواد بقدميه بـشدة عظيمـة؛ لينطلـق الجـواد انطلاقـة كـاد بهـا يطـير في السماء أكثر من كونه يجري على الأرض، وذلك كي يبلغ المجموعة الأخرى الـتي ستظهر من أمام جيش آكلي لحوم البشر بالانطلاق ناحيتهم إلى الشمال.

وما أن اقتربت مجموعة الرماح من الخندق حتـى اهتـزت عـروق الـدم في أجساد الجميع، وكاد الموقف يمر من أمامهم بـبطء شـديد جـداً، ولكـن لم يتوقـف رماة السهام ولا القائمين علـى المجـانيق بإرسـال وابـل بعـد وابـل مـن الأحجـار والسهام إليهم، ومـا أن وصـلت المجموعـة إلى الخنـدق حتـى اهتـزت الأرض مـن تحت حاملي الشعل النارية، وقتها اشـتدت عـروق الأمـير "آثـال" وهـو يعطـيهم تعليماته العظيمة، حتى خطت المجموعة أول خطوة علـى حافـة الخنـدق، ولكـن المادة التي وضعوها أثبتت قوة شديدة في بادئ أمرها، وتحملت الكثير والكثير مـن آكلي لحوم البشر حتى اكتظت بمجموعة الرماح عـن بكـرة أبيهـا، فرمـى الأمـير "آثال" ببصره إلى آخر الخندق من الناحيـة الأخـرى لـيرى اهتـزازاً عظيمـاً في مـن يقفون عليه، واقترب الوقت فوقفت المجموعة وقفة سكون واحـدة قبـل أن تنهـار بهم تلك الطبقة العليا للخندق، وليأتي أمر الأمير "آثال" بقذف الشعل الناريـة في الجهة الأخرى من السور؛ لتنـدلع الـنيران مـن الخنـدق علـى كـل مـن وقـع بـه، ولتُرفع النار إلى الأعلى بشدة عظيمـة لتـصبح حـصناً عظيمـاً في وجـوه أكلـة لحـوم البـشر، حينهـا أصـدر الأمـير "آثـال" أمـراً بعـدم التوقـف لحظـة واحـدة برمـي الحجارة والسهام إلى الناحية الأخرى، وقد انخرطت الـنيران في الخنـدق بـسرعة

رهيبة، حتى من تحت تلك المادة العليا التي لم يصلها آكلوا لحوم البشر من الجهتين، وقد ساعد ماء المطر كثيراً تلك النار بعد اشتعالها، حيث أن الطبقة العليا قد تبللت كثيراً بماء المطر، فأخذت بعض الوقت حتى أمسكت النار فيها من الأسفل ولكن اشتدت النار بعد أن اشتعلت بها بعد ذلك بسبب تأخر الماء لها.

لم تستطع مجموعة الرماح فعل أي شيء حيال وقوعها بالخندق واشتعال النيران بشدة في أجسادهم، وظلوا يصرخون بشدة عظيمة من تلك النيران التي أشعلت فيهم، حتى انتشر في المكان بأكمله رائحة شواء لحومهم العفنة المقززة، وكانت النار حمراء تأكل في أجسادهم أكلاً لم يعاهدوه قط، حتى أنها أصبحت أعظم من "محرقة النهاية"، تلك التي حرق فيها اللعين "جومار" "روليـنجلاس" الحاكم الأخير لقبائل "دويرام".

وقف "باغور" غاضباً في الناحية الأخرى وقد ثارت ثأرورته، ولكنه وقف معصوب العينين حيث اعتلت النيران ومن فوقها دخان نتج عن الخشب الذي تبلل بالماء؛ فأحجب كل هذا الرؤية لديه، وجنوده يموتون المجموعة تلو الأخرى، فما كان بيده إلا أن أمر مجموعة السهام أن تطلق بسهامها الناحية الأخرى، ودون أن يرى أحداً منهم شيئاً أطلقوا سهامهم القاتلة ناحية الغرب، فأصابوا الكثير من جنود الأمير "آثال"، مما جعلهم يحتمون بدروعهم وقتاً طويلاً، ولكن لم يتوقفوا هم الآخرون عن بعث ما لديهم من سهام وأحجار طوال الوقت.

كان الفارس الذي بعثه الأمير "آثال" قد وصل إلى المجموعة الأخرى من

الجيش، والتي وقفت هناك في الجنوب على بعد ثلاثة آلاف ذراع من جيش أكلة لحوم البشر، ثم أمسك ببوقه الذي كان معلقاً على ظهره ونفخ فيه ليصدر نفيره العظيم، فانطلق جنود المجموعة الثانية والتي بقيادة "دَبيل"، ذلك الفارس العظيم الذي خرج من قبل إلى ناحية الشمال الشرقي، من أجل كشف الطريق والتجسس عن قدوم جيش أكلة لحوم البشر، وكان يسير في بداية المجموعة شاهراً سيفه العظيم، وعروقه قد انتفخت في رقبته بشدة متذكراً صديقه الفارس العظيم "سِيلان" الذي مات على يد أكلة لحوم البشر أثناء رحلتهما إلى القرب من قبيلة "دويرام"؛ وذلك لإحضار "نبات الآس" لأجل علاج الملك "ديماس"، والد الأمير "آثال"، وكان تحت يده أيضاً الثلاثة قواد العظام الذين كانوا معه في تلك الرحلة المتعة، رحلة الكشف عن جيش أكلة لحوم البشر، فكان "حصبان" قائداً على مجموعة السهام، أما "أُثيب" فكان قائد الجناح الأيمن، وأما "أبيناف" فكان قائد للجناح الأيسر، وقد تولى "ساتيدما" قلب الجيش، ومن ثم اشتدت انطلاقتهم ناحية الشمال في شجاعة عظيمة ارتداها كل واحد من هؤلاء الفرسان.

في الناحية الأخرى ظل الأمير "آثال" على حاله صامداً أمام وابل السهام الذي لم ينقطع من خلال الناحية الأخرى، إلا أنه هو الآخر لم يقطع وابل السهام والحجارة التي يقوم بها جنوده، وظل واقفاً هو والمجموعة على التلة يشاهدون أحوال المعركة، حيث أنهم كانوا أقرب إلى الرؤية من جيش آكلوا لحوم البشر، ومن خلال ذلك استطاع الأمير "آثال" أن يعطي أوامره الصحيحة لتوجيه السهام والحجارة إلى هدف عظيم.

قد اشتد واشتعل غيظ "باغور" لكونه يحارب أناساً لم يراهم، فظل يصيح ويقذف اللعنات العظيمة على البشرية كلها، بل على جنوده أيضاً وهو يعطيهم أوامره بأن يبعثوا السهام هنا و هناك، حتى جاءت اللحظة الحاسمة التي جعلت "باغور" يفغر فاه ويصيح بأعلى صوته قائلاً: «حان الوقت كي نقابل هؤلاء الملعونين وجهاً لوجه، فلتنتظم الصفوف ناحية الجنوب، وليتقدم حاملوا السيوف إلى الأمام، وليتقدم معهم من بقي من حاملي الرماح».

كان "دَبيل" قد وصل بمن معه من جنود، تلك المجموعة التي تبلغ ثمانية ألف جندي، ووقف على بعد أربعمائة ذراع من جيش آكلوا لحوم البشر، حينها اتجه إلى جنوده ورفع سيفه إلى أعلى بشدة، ثم انطلق ماراً بجواده من أمامهم قائلاً: «"حصبان" فلتستعد مجموعتك جيداً، "أُثيب" كن حريصاً على جناحك الأيمن، "أبيناف" لا تقترب من النار كثيراً بجناحك الأيسر، "ساتيدما" إن قلب الجيش هو أهم شيء فكن مستعداً لذلك».

كان الجيش مقسم على شكل عقرب كبير، فقد قسمه "دَبيل" على مثل ذلك الشكل كي يحيط بجيش أكلة لحوم البشر بقدر استطاعته، حيث أنه جعل الجناح الأيمن والذي كان بقيادة "أُثيب" كأنه المقرض الأيمن للعقرب، وفصله بعض الشيء عن وسط الجيش، أما الجناح الأيسر والذي بقيادة "أبيناف" فكأنه هو الآخر المقرض الأيسر لذلك العقرب العظيم، وانفصل هو الآخر عن وسط الجيش بعض الشيء، إلا أن مجموعة الرماح الأمامية لحمت الجميع بعضهم ببعض، حيث أنهم تصدروا الصفوف الأولي، فابتدءوا من أقصى الجناح الأيمن إلى

أقصى الجناح الأيسر، ومن خلفهم المجموعات، وكانت مجموعة السهام منتشرة أيضاً كالرماح ولكن من خلف الجناحين الأيمن والأيسر، مرتبطين بـ"حصبان" الذي انتصف مجموعته رافعاً قوسه العظيم الذي أخذه من قبل من أحد أكلة لحوم البشر وقت الكشافة، ومن خلفه كان "ساتيدما" يقود قلب الجيش بالذيل الخلفي له، حيث أصبح نقطة الركيزة للجيش كله، وقد اكتمل شكل العقرب بهذا الشكل العظيم الذي ظهروا به.

ومن ثم رفع جنود الرماح رماحهم إلى أعلى أمامهم في حماس عظيم، ولكنهم كانوا يزدردون ريقهم بصعوبة تامة، فلقد تمكن منهم الخوف شيئاً ما، ومن ثم رفع "دَبيل" سيفه إلى أعلى وهز به رماح جنوده في شدة عظيمة وهو منطلق ناحية الشرق بجواده قائلاً: «يا جنود "قُرّان" و"أدمات"، بل يا جنود الإله في الأرض، إن الخوف الذي يبدو عليكم جميعاً هو مثل أي خوف آخر، فأفرغوا من عقولكم التفكير في قوة هؤلاء الجنود، فإن أرواحكم أقوى منهم جميعاً؛ أرواحكم التي توحد الإله في كل مكان، دعوا الخوف وراء ظهوركم، أظهروا تلك الأرواح العظيمة أمام هؤلاء الغرباء، فإنهم أكثر خوفاً منكم، وأنتم بظل الإله تُرعبونهم جميعاً، فلا تفكروا إلا في الإله حتى ينصركم عليهم، أيها الأسود البشرية .. انتصروا بإذن الإله على هؤلاء آكلوا لحوم البشر، انتصروا عليهم باسم الإله الخالق، فانطلقوا يا جنود الإله في الأرض، انطلق أيها العقرب الأسود».

حين ذلك صدر نفير عظيم بينهم ليكون إشارة للحظة الانطلاق، فانطلق الجنود إلى الأمام في سرعة عظيمة كالبرق، وظلت أشكالهم على هيئة ذلك العقرب

الكبير دون أن يتخلف أحد عن موضعه، ذلك الشكل المخيف الذي كونوه ببراعة من القائد "دَبيل"، والذي أحس أن بداخله سم عظيم يريد أن ينفثه في وجوه هؤلاء المشوهون أكلة لحوم البشر.

ذلك الشكل أفزع "باغور" بشكل ما، حيث أن ما دار برأسه آنذاك؛ هو شكل العقرب العظيم الذي ظنه قد أتى ناحيته كي يفترسه افتراساً عظيماً، ذلك الأمر جعله يأمر حاملوا الأقواس بأن يمطروا عليهم وابل من السهام الخارقة؛ ولكن قبل أن يفعلوا ذلك كان "حصبان" قد رفع قوسه إلى أعلى بشدة وقد أطعمه ثلاثة ساهم دفعة واحدة، ثم أطلق سراحهم بقوة عظيمة قائلاً: «اصطادوا الكثير منهم قبل الالتحام بهم، ولتريقوا دماءهم قبل أن يريقوا هم دماءكم».

فتبادلت الجهتان الأسهم بشكل كبير قبل أن يلتحموا، حتى أصبحت السماء شيء بعيد المنال عن النظر، وكأن غمامة عظيمة سدتها كلها من فوقهم، ولكن الشمس قد أشرقت وقت ذاك وارتفعت في السماء بمقدار رمح أو اثنين، تلك التي أشرقت على يمينهم لتشاهد حرباً دامية مثل هذه الحرب.

كان الأمير "أدماث" قد علم بذلك أنه قد جاء "دَبيل" بالجيش ولم يتبقى إلا لحظات ويلتحم بالجيش الآخر، فمن جهته أمر جنوده بترك أسر جميع الأسهم التي يمتلكونها، وجميع الأحجار الباقية على أكلة لحوم البشر قبل الالتحام، حتى يأخذهم إلى جبل "طابان" ويعد البقية الباقية من الجيش هناك كي تكتمل الحرب، فأمطروا ما معهم من سهام وحجارة بشكل عظيم، كاد يصيب الجنود أنفسهم بعجب شديد، حيث أن أيديهم قبل أن تطلق السهم من فم القوس

تكون قد التقطت سهماً آخر من الجعبة، هذا بالنسبة لرماة السهام، أما بالنسبة للواقفين على المجانيق فقد أسرعوا بكل ما فيهم من قوة لحمل الحجارة إلى المجانيق ومنها إلى الجبهة الأخرى، ظلوا هكذا وقتاً ما قبل أن يسمعوا صياح جنودهم وقد التحموا بأكلة لحوم البشر، وقتها رفع الأمير "آثال" يده بالانتهاء، وفي وقتها ترك قمة التلة ونزل إلى أسفل مسرعاً إلى جواده وأشيائه، تبعه الجميع من المجموعة والجنود، ولكنه أمر بعضاً من حاملي الأقواس بمراقبة الأمر، من ثم انطلق هو والآخرون تجاه الجبل ممتطين جيادهم قائلاً: «لقد انتهت مرحلة من الحرب لتبدأ الثانية، وما أن تنتهي الثانية حتى نستعد للثالثة الناهية».

كان الالتحام قوياً جداً، حيث أن سرعة الخيل التي كان يمتطيها جنود البشريين من "أدمات" و"قُرّان" قد أطاحت بجيش آكلوا لحوم البشر، وذلك لأن جنوده كانوا واقفين على أرجلهم دون حراك، لذا استطاع "دَبيل" أن يخترق الصفوف الأولى لذلك الجيش العظيم، ومن ثم كانت مطاحن الحرب تعمل، حيث أنه من كان يستطيع اصطياد أي عدو اصطاده بسرعة عظيمة ليهتم بغيره، وكانت حقاً أرواحهم هي التي تحارب، حيث أن الحرب روح ومشاعر يتحكم فيها مشاعر المحارب وأعصابه، لذا تذكر "دَبيل" صورة صديقه العظيم "سِيلان"، وهو يُأكل أمامه على أيدي أكلة لحوم البشر كأنه عنزة أو ما شابه، وهم يلتفون من حوله يصيحون في بعضهم البعض لأجل أن ينول كلاً منهم قطعة من لحمه، فانتفخت أوردة "دَبيل" وصاح بشدة وهو يحرك سيفه يمنة ويسرة، لينتقم لصديقه من هؤلاء الوحوش المقززين، وكان من ورائه "حصبان" الذي أخرج سيفه

علماً بأن وقت القوس قد انتهى الآن، وعلى نفس وتيرة "دَبيل" كان يصنع، ولكنه قد نظر بعض النظرات إلى "دَبيل" وقد رآه منفعلاً بطريقة جعلته يخاف عليه، لأن أنظار أكلة لحوم البشر قد اتجهت بشراهة ناحيته، لذا أراد أن يقترب منه شيئاً ما حتى يسانده إن تمكنوا منه.

أما بالنسبة للجبهة اليمنى فقد اشتعل سيف "أُثيب" ناراً ليحرق به أولئك الملعونين، حيث أنه قال وقت ذاك في صياح شديد: «إنه حقاً وقت المرح يا "أبيناف"، فلتُسعد سيفك بتلك الدماء العفنة المقززة يا صديقي، إنه يوم المتعة».

من الجهة الأخرى كان "أبيناف" الذين كان قد اقترب من ناحية الجناح الأيمن شيئاً ما، فسمع صوت "أُثيب" وهو يصيح بما قال، لذا أجابه في صياح شديد هو الآخر قائلاً: «حقاً فلنتمتع بذلك يا صديقي، فإن مثل تلك الحرب لا تأتي كل يوم».

وفي قلب الجيش قد استطاع "ساتيدما" بمهارة عالية منه أن يحمي الجيش ويقوده جيداً، حيث استطاع بدور المدافع أن ينهي على كل من تبقى من أكلة لحوم البشر من الهجوم الأمامي لرأس العقرب بجناحيه الأيمن والأيسر، ولم يتنازل عن مكانه أبداً لأي فرد من هؤلاء، حيث أنه ثبت في موضعه يدافع عن قلب الجيش حتى لا يتفرق ويتشتت فيصطاده الجيش الآخر جندي جندي.

وما أن وجد "حصبان" صديقه "دَبيل" وقد التف من حوله الكثير من أكلة لحوم البشر، حتى انطلق ناحيته وهو يطيح بالأعداء يمنة ويسرة، وذلك في شدة عظيمة كاد سيفه يشق كل من يقابله آنذاك، ولكن كانت المسافة بينه وبين صديقه

ليست قريبة جداً لدرجة أن يصل إليه بسرعة، ولكنه حاول بقدر إمكانه، ولما تأخر نظر نظرة أخيرة إلى "دَبيل" ليجد سيفه وقد طار من يده، إلا أنه في ذلك الوقت أخرج قوسه وأمر بعض الجنود أن يحموه من جميع الجوانب، ومن ثم أطعم قوسه بسهامه القاتلة وفي سرعة شديدة فك أسرها تجاه من يحيطون بصديقه لتلتهمهم واحداً تلو الآخر، وقتذاك انتهز "حصبان" الفرصة للتقدم ناحيته، وقد اصطاد بمهارة منه سيفاً عظيماً من سيوف أكلة لحوم البشر، تلك السيوف التي يقوم على صناعتها "الشياطين المنفيون"، وما أن أعطاه لـ"دَبيل" حتى جاء "أُثيب" هو الآخر بسيف مثله، فابتسموا الثلاثة وقد أمسك "دَبيل" السيفان وصاح بصوته صياحاً شديداً، ارتفعت على إثره القدمان الأماميتان لجواده منطلقاً بشدة ناحية قائد جيش الأعداء بنفسه "باغور"، وفي طريقه إليه قاتل بالسيفين في كلى الناحيتين بقوته وشدته، ولم يتوقف أبداً عن قتلهم إلا أن وصل إلى "باغور"، ذلك الذي توافق معه في الطول وهو ممتطياً جواده، وقد خلفه الكثير من الجنود وذلك بصحبة "حصبان".

ارتفع صليل السيوف في كل مكان داخل المعركة، إلا أنه كان هناك ثلاثة سيوف يختلفون كثيراً عن السيوف الباقية، حيث أنه كان يحمل أحدهم "باغور" والآخران كان يحملهم "دَبيل"، واشتد بينهما القتال بشراسة حادة، وكان "باغور" يقاتله بعصبية شديدة، وهو يصيح بصوته العظيم الذي كاد يؤثر على أذني "دَبيل"، وطال القتال بينهما وما أن تدخل أحد من آكلي لحوم البشر حتى تصدى له جنود "حصبان" أو "حصبان" نفسه، أو حتى "دَبيل" بشحمه ولحمه،

ولكن في نهاية الأمر وقد تعب كلاهما لم يستطيع أحدهم أن يأتي بحتف الآخر، ولكن استطاع "دَبيل" بمهارة منه أن يقطع لـ"باغور" إحدى أذنبه، وهي الأذن اليمين التي وقعت كأنها ورقة نبات القلقاس مصفرة أصابها الاصفرار العظيم نتيجة فصل الخريف، ذلك الفصل الذي تعدم فيه الكثير من الزروع، بعدها انفصل كلاهما عن الآخر وابتعدا كثيراً، ولكن "باغور" قد نظر إليه في صياحه الشديد قائلاً: «لن أنساك أبداً أيها البشري اللعين».

لم يهتم به "دَبيل" كثيراً، ذلك لأنه اهتم بمن كان عن يمينه ويساره من أكلة لحوم البشر، وجنوده من خلفه مع قلة عددهم؛ إلا أنهم لم يفتقدوا لتلك الشجاعة التي كانوا عليها قبل نشوب الحرب، وقد ودعوا الخوف حقاً فور بدأ الالتحام بينهم وبيم جنود أكلة لحوم البشر.

استمروا كثيراً على مثل هذا الحال، حتى رجع "دَبيل" إلى الخلف بعض الشيء لينظم الجيش مرة أخرى، لذا صاح في من حوله من الجنود وقد استطاعوا أن ينهوا الالتحام شيئاً فشيئاً قائلاً: «لنعيد تشكيل الصفوف مرة أخرى، أعيدوا تشكيل الصفوف يا جند الإله في الأرض».

وخلال لحظات قلائل كانت الصفوف قد تشكلت بغير ذلك الشكل الأول؛ شكل العقرب المميت، ثم نظر إلى الجيش الآخر قائلاً: «لنتابع الحرب مرة أخرى يا جنود "جومار" اللعين، ولكن قد انتهى الشوط الأول فلتتبعوا السير وراءنا إلى أقصى الجنوب، أو لترجعوا إلى حيث أتيتم مرة أخرى، فالأمر أمركم ونحن لا نغصب أحداً على القتال».

حينها أمر الجنود بالرجوع إلى الوراء، لم يفروا من الحرب ولكن لتنتقل الحرب حسب الخطة المرسومة من قبل إلى جبل "طابان"، وابتعد الجيش شيئاً فشيئاً عن أكلة لحوم البشر، ليتركوا من وراءهم وحوشاً مكتظة بالغيظ من أخمص أقدامهم إلى أعلى شيء فوق خوذهم.

ولكنهم حتى يهدءوا أكلوا لحوم من ماتوا من الفريق الآخر، حتى أن من ماتوا من البشر جميعاً لم يكفهم، فأكملوا على إخوانهم من أكلة لحوم البشر، هؤلاء الذين فاقوا أعدادهم الكثيرة من مات من البشر.

لأن الأمير "آثال" استطاع أن يقتل منهم مئات كثيرة بالسهام والأحجار، وأكمل "دَبيل" هو ومن معه عليهم، حتى قدر من ماتوا منهم بأكثر من خمسة وعشرين ألف، عدد يدخل فيه من التهمتهم نار الخندق؛ الذي ابتلع وحده أكثر من خمسة عشر ألفاً.

وظلت الشمس على حالها، تشاهد ما توصلوا إليه، إلا أنها انتقلت من مكانها لتصبح الآن فوق رؤوسهم، تلك الشمس التي لم يعهدون سطوعها لتلك الدرجة، ولكنها استطاعت أن تجفف ماء المطر الذي اختلط بدماء القتلى شيئاً فشيئاً.

الفصل الثامن عشر

لـــم الشتـــات

استطاع "دَبيل" حقاً أن ينظم جنوده ويخرج من التحام الحرب العظيم بكل سهولة ويسر، لذا كان هو الرجل الأول الذي يستحق أن يقود الجيش وقت ذاك، حيث أنه كان يقود ما يقارب نصف الجيش كله أوله عن أخره، وقد حقق العهد الذي تعاهده مع الأمير "آثال" في ذلك الوقت، فقد رجع والجنود على حالهم، لم ينل الشهادة إلا القليل، ولكنهم بالنسبة للجيش الآخر نقصاناً من جيشهم كثرة عظيمة، حيث أن كل جندي من جنود البشر يوافقه ثلاثة من جنود أكلة لحوم البشر.

قد رجع "دَبيل" بأغلبية الجنود حقاً، ولكن كانت هناك نظرة إلى الوراء حزينة، تلك النظرة التي رأوا فيها أكلة لحوم البشر وهم يأكلون من مات من إخوانهم من "أدماث" و"قُرّان"، ذلك المشهد أصابهم بحزن شديد في القلب، فكانوا يتمنون لو أنهم بقوا ليقيموا مراسم دفن موتاهم، أولئك الذين ضحوا بأرواحهم معهم من أجل إحياء كلمة الحق، ومن أجل أن يعيش غيره من النساء والشيوخ والأطفال، لذا بكى الكثير منهم على إثر ذلك ولم يكن هناك مجال لفعل شيء مما يتمنونه، وأولئك الجنود الآخرون كانوا قد جاءوا بعد تلك الحرب العظيمة

الضارية، ولم يجد طعاماً أشهى من تلك الأجسام الميتة من البشر حتى يأكلوا لحومها.

ولكنهم أنشدوا لهم أناشيد عدة ليودعونهم بها، فكان هذا أقصى شيء يفعلونه من أجلهم حتى هذه الساعة، حيث بدؤوا تلك الأناشيد في صوت هادئ قائلين:

«لتتدفق جميع المشاعر الحارة،
نحو أولئك الشهداء العظماء،
عبر الشمال من ورائنا،
على الحدود الشرقية لقبيلة قُرّان،
حيث الدماء التي أريقت،
والتي احتل أماكنها أكلة لحوم البشر،
أولئك الملعونين القززين!
إن أرواحهم التي تحوم من فوقهم الآن؛
نبعث إليها كل الكلمات الحزينة لموتهم،
نحن التعساء لعدم قيامنا بمراسم دفنهم!
نحن الذين نبكي دماءً،
نحن الذين نبكي بنبضات القلب،
على تركهم هكذا دون حولاً لهم ولا قوة!

بين أفواه حقيرة كأفواه أكلة لحوم البشر!

فلتأتي الرياح سريعة من الجنوب،

كي تنقل لكم هذه الكلمات الحزينة،

حتى تعرفوا جميعاً أننا لم ننساكم أبداً،

أنتم يا شهداء البشرية في قُرّان!

فليبارك الإله في أرواحكم الطليقة،

وليبارك أنفسكم جميعاً،

وليبارك سيوفكم العظيمة،

وليبارك قلوبكم التي نبضت الشجاعة.

أنتم السابقون يا إخواننا..

إلى تلك الدار الآخرة،

حيث النعيم الأبدي والجحيم الأبدي،

وإنا إن شاء الإله بكم لاحقون،

نسأله لنا ولكم العافية،

نسأله نعيم الآخرة،

ونستجيره من جحيمها،

هذا لنا ولكم جميعاً.

وليكن لقاؤنا بكم لاحقاً،

عند الإله الرب في دار القرار.

حيث النعيم اللانهائي،

حيث الحور العين والقصور العظيمة..

التي لا تكون إلا في الجنة،

نسأل الإله أن يسكنكم تلك الصخور الليلة.

وأن يرزقنا إياها في الفردوس الأعلى،

عندما تُزهق أرواحنا بإذنه،

سواء في خضم الحرب كما أرواحكم،

أو كما يشاء الإله.

فلتنتظرونا جميعاً يا أشقاءنا الأحباب.

واعلموا جميعاً أننا حقاً لم نكن نرد لكم تلك النهاية..

لأنها نهاية بائسة حقاً!

وقد انفطرت قلوبنا جميعاً من أجل ذلك..

لكن ما عند الإله باق لا ينفذ.

وهو وليكم الأوحد الأعظم.

لذا فأنتم عنده من الأحياء،

وليس من الأموات.

حيث أن الذين قتلوا في سبيله..

أحياء عند ربهم يرزقون.

فليرزقكم الإله الخير كل الخير،

وليوفقنا على هؤلاء الملعونين!

أكلة لحوم البشر.

فليكن الإله معنا حيث النهاية،

تلك النهاية المؤلمة التي لا ندري بها شيء،

إلا أننا نتوجه إلى الإله جميعاً،

حتى ينصرنا عليهم من أجل السلام.

من أجلكم جميعاً أنتم يا شهداء أدمات وقُرّان..

بل من أجل شهداء التوحيد جميعاً.

من أجل الإله الواحد الفرد الصمد».

ومن ثم أكملوا مسيرتهم ناحية الجنوب وهم يحملون حزناً شديداً فوق عواتقهم، وقد تعبوا كثيراً من تلك الساعة العظيمة التي قابلوا فهيا جيش أكلة لحوم البشر، قد تقدم على تلك المجموعة كلاً من "دَبيل"، و"حصبان"، و"أبيناف"، و"أُثيب"، وأخيراً "ساتيدما"؛ الذي أثبت وجوده في عالم الحروب والمعارك، وما أن جذب أحدهم أطراف الحديث حتى قال "دَبيل" وهو يبتسم ابتسامة مرة: «لقد قمنا بإنجاز عظيم حقاً، ولكن الحرب مكسب وخسارة؛ فإن كنا قد أدينا ما علينا واستطعنا أن نثير بعضاً من المتاعب لدى هؤلاء آكلوا لحوم

البشر، فقد مات من بيننا رجال كنا نحبهم أيضاً».

«الأمر عظيم حقاً، فإن تلك الحروب التي تنشب نيرانها بين فريقين، مهما كانت أنواعهم أو أشكالهم؛ دائماً لا تأتي إلا بخسارة عظيمة، فإن انتصر أحدهم على الآخر، فأيضاً هو يعتبر خاسر، لأن بعض من كان يضمهم في صفوفه، أو بعض من كانوا يأكلون مع بعضهم البعض قد فارقوا الحياة ليتركوا أصحابهم على حزنهم الثقيل عليهم، الرجل يبكي الرجل؛ ذلك لأنه يحارب معه في صف واحد، ويأكل معه، ويشرب معه، ويضحك معه، ويلعب معه، وفي نهاية الأمر يموت أمام عينيه، إن الحرب خراب عظيم حقاً على كل فريق يريد الحرب، ولكنها سبيل عظيم لمن يوحدون الإله، حيث أنهم يقاتلون ويُقتلون، ليس من أجل أنفسهم وحسب؛ بل من أجل الإله الخالق الذي خلق له روحه وجسده ونفسه وسواه رجلا».

قال ذلك "ساتيدما" لتتلاحق إليه العيون الواسعة بنظراتها من كل مكان، ولكنه استأنف الحديث قائلاً: «هناك الكثير من الخلق من لديهم الاستطاعة العظيمة لنشب نيران الحرب، ولكن القليلون جداً من يستطيعون إخمادها، والحرب نفسها لا تخبر بمن هو الصائب ومن المخطأ، ولكنها تخبر فقط من يبقى على قيد الحياة ومن لا يبقى، وأحياناً كثيرة لا يبقى إلا القليل جداً من الجهتين، ولكن مهما حدث فلا مفر من الحرب، حيث أن الدنيا كلها قدح كبير شيئاً ما من الماء الصافي، ولكننا نخدع في ذلك الماء حينما نعطش؛ ذلك لأنه ماء من حميم، لا نستطيع أن نتجرعه لأنه يحرق كل من يضعه على فمه».

اتسعت العيون المتوجهة إليه أكثر من ذي قبل، وذلك في تعجب شديد مما توصل إلى مسامع أصحابها، حينها ابتسم "دَبيل" وهو على نفس نظرة التعجب التي كان عليها قائلاً: «كلام جميل حقاً "ساتيدما"! ، لم أكن أتوقع أنك تقول مثل هذا الكلام الجميل!».

«لماذا لم تكن تتوقع هذا منه وهو ابن "بانديل"؛ الحكيم المتخفي؟!».

قال ذلك "حصبان" الذي ابتسم بعد ذلك وقد غمز بحاجبه الأيمن لـ"ساتيدما"، ليبتسم الأخير هو الآخر قائلاً: «إنه أبي رجل عادي حقاً، ولكني قد تعلمت منه الكثير والكثير مما لم أتعلمه على يد الحكيم "صهيا" حتى، ولكني أظن أن لديه ثقافة ما لا أعلم مصدرها».

فابتسموا جميعاً لذلك، ومن ثم تقدموا في المسيرة، ولكن تلك الكلمات الرائعة التي قالها "ساتيدما" قد أثرت كثيراً في "دَبيل"، حيث أن تلك الكلمات لم تنبع إلا من واقع مؤلم يتخلل تلك الحياة الفانية، حينها تذكر عائلته الجميلة؛ والتي تتكون من زوجة بارة به حق البر، تلك الزوجة التي حافظت على بيته كثيراً أثناء سفره، إنها "ثُرْيَان" المرأة التي حفظته في ماله وأهله وعرضه، وابنتيه الصغيرتان التي لا تتجاوز الكبيرة سبعة أعوام وهي "كارزين"، و"كَالُوردين" ابنته الصغرى التي لم تتجاوز عامها الرابع، ومن ثم انتابه الخوف قليلاً عليهم، وذلك لأنه من الممكن أن يقتل في تلك الحرب القادمة، ومن ثم لا يعود لهم مرة أخرى.

لقد وصلوا إلى جبل "طابان" بعد أن أصبح ظل أحدهم مثله، حيث مالت

الشمس إلى ناحية الغروب، كان الأمير "آثال" قد أعد كل شيء هناك، وما أن رآهم على مثل هذا الحال حتى ابتسم قائلاً: «لم ينقص منكم الكثير، ولكن ليرحمهم الإله جميعاً أولئك الشهداء».

أجابه "دَبيل" قائلاً: «ليرحمهم الإله حقاً، فلقد خلّفناهم وراءنا لهؤلاء المقززون أكلة لحوم البشر، فلقد أبلوا بلاء حسناً».

«ولكن ماذا عن هؤلاء الملعونون حقاً؟! هل سيأتوا أم سيتخلفوا عن المجيء؟!».

قال ذلك الأمير "آثال" ولم ينتظر الإجابة من أحد، فقد استأنف الحديث قائلاً: «على كل حال لازال هناك بعضاً من الجنوب في الناحية الغربية من السور، سوف يتفقدون أمرهم ويبلغونا بذلك عما قريب، ولكن لابد أن نستعد الآن جيداً حتى نستطيع أن ننهي تلك الحرب لصالحنا، ومن ثم نرتاح قليلاً لنستنشق نسمة بها بعض رائحة السلام».

«لن يأتي ذلك السلام يا أمير "آثال"، فأنا لا أرى له أثراً في تلك الحياة أبداً».

قال ذلك "حصبان" الذي ترجل عن جواده بعد ذلك ووجهه يشوبه الحزن، وقد خطى بعض الخطوات البطيئة تجاه الأمير "آثال" مستأنفاً حديثه قائلاً: «لقد نشبت الحرب بين البشر وأكلة لحوم البشر، ولطالما بدأنا تلك الحروب التي انتظرناها نحن البشر كثيراً؛ فلن نجد السلام بعد ذلك أبداً! ذلك لأن "جومار" سوف يفعل كل ما بوسعه كي يدمر العالم ويجعله بأكمله تحت

أسره، فلن يهدأ حتى يحقق هذا».

تقدم الحكيم "صهيا" إلى "حصبان" قبل أن يتفوه الأمير "آثال" بكلمة واحدة، ومن ثم التف من حوله وهو يربت على كتفيه قائلاً: «إن "جومار" هذا ليس إلا اسماً يا "حصبان"، ولكن من هو وراءه أعظم منه بكثير، إن الذي يتحكم فيه أو بالأحرى الذي يتخذ جسمه درعاً ويخفي من وراءه قذارته العظيمة هو الشيطان، عدو الإله في الدنيا والمخلد في الجحيم الأبدي، لذا فهو يريد أن يوقعنا نحن البشر جميعاً في معصية الإله، ولن يستطيع أن يجعل البشر كلهم هكذا كما ظننت، بل هو يحارب الإله الأعظم وهو ضعيف لا يمتلك شيئاً حتى يحارب خالقه، فمهما عظم الباطل واشتد فإن الحق سيفنيه، ومهما كبر الظلم وانتفخ فإن العدل سيمحيه، وإن كثرت الحروب والمعارك وعظم البلاء وتسطر الفساد والدمار على أروقة الزمان فإن السلام سيأتي رغماً عن أنوف الشياطين والسحرة جميعاً، ولكن لن يتم هذا إلا بعد مشوار عظيم لابد أن تخوضه البشرية جمعاء».

فثبت "حصبان" في موضعه بعد ما قاله الحكيم "صهيا"، إلا أن الأمير "آثال" تقدم ناحية الأخير ليقف بين يديه قائلاً: «عجيب أمرك يا حكيم "صهيا"! بل أمرك وأمر عائلة "بانديل"! إنني حقاً لم أجد من يتحدث بتلك الكلمات بمثل هذه الطريقة طوال عمري! فأين منبع حكمتكم هذه؟! أريد أن أعرفها حتى أنتهل رشفة منها لأعيش عليها كل ما بقي من عمري هذا، ذلك العمر الذي لم يشرب إلا حكمة الدماء السقيمة المريرة».

«إنه القرب الشديد من الإله سيدي الأمير "آثال"، هذا هو المنبع الوحيد

للحكمة التي نسير عليها جميعاً».

«كثيراً حقاً ما تقربت للإله، ولكن لم أذق ما أتذوقه دائماً عندما أسمع كلام أحدكم».

«قد تكون تقربت منه كثيراً حقاً كما قلت، ولكن التقرب به ليس بالجسد أو بما مثله، حيث أن التقرب إليه لا يكون إلا بالقلب، شيء روحاني لا يتمتع به حقاً إلا من تقرب إلى الإله الرب بقلبه».

«حقاً ما تقول أيها الحكيم "صهيا"!».

ثم اتجه إلى جنوده جميعاً وهو يقول: «أما الآن فيجب علينا أن نعد العدة الحقيقية، فسوف نضع النهاية هنا عند سفح جبل "طابان"، على أرض "قُرّان" العظيمة أرض الحكماء والفلاسفة الكبار إن شاء الإله».

بعدها نظر إلى "بانديل" الذي ظهر أكثر وسامة بثيابه الجديد، تلك الثياب الحربية الثقيلة التي ارتداها لتحميه من مطحنة الحرب العظيمة بين المطرقة والسندان عندما يلتحم الفريقان، فابتسم "إندو" لقوله ولكن دون أن ينطق ببنت شفه.

اتخذ الجنود أماكنهم بشكل جيد بعدما شرح لهم الأمير "آثال" ما بقي من الخطة جيداً، ومن ثم جلسوا جميعاً ليتناولوا الطعام قبل أن يأتي جيش أكلة لحوم البشر، كانت النساء قد أعددت لهم كميات كبيرة من الطعام، وأحضرت لهم الكثير جداً من الفاكهة بجميع أنواعها، كان وسط هذا الطعام بعضاً من البيض المسلوق، وكان "حصبان" يحبه كثيراً حيث أنه قد جلس على نفس المائدة الكبيرة

التي جلس عليها الأمير "آثال" والحكيم "صهيا" و"إندو" و"بانديل" وباقي المجموعة، وكان يحب الضحك كثيراً لذا أمسك بواحدة من البيض وضربها برأسه قائلاً: «أتمنى أن أجد بداخل هذه البيضة شيئاً غير المُحُّ».

ثم قشرها ليجده قابعاً في مكانه بلونه الأصفر الفاقع، فاستأنف الحديث قائلاً: «لطالما تمنيت أن أجد شيئاً غير هذا المُحُّ يخرج لي من أمثال تلك البيضة الصغيرة، ذلك الحلم بدأ يظهر لي عندما كنت أبلغ من العمر خمسة أعواماً، ولكن كان حلم لم يتحقق، ولما كاد أن يتحقق ذات مرة وجدت غير المُحّ الواحد اثنان».

فضحكوا جميعاً وتعالت أصواتهم في الضحك، هذا مما جعله هو الآخر يضحك بصوته الضحوك الحالم، ثم استأنفوا جميعاً تناول الطعام في حالة مليئة بالمشاعر الحزينة؛ حيث أنهم يبتسمون أمام بعضهم البعض وهناك في أعماق قلوبهم يقبع حزن شديد، لذا تنحنح "أُثيب" ذلك الذي ازدرد لقمة كادت تخنقه معترضة النزول إلى معدته لبعض الوقت، ولكنه استطاع أن يزدردها في آخر الأمر رغماً عنها قائلاً: «قد نضحك جميعاً ونحن أمام بعضنا البعض الآن، ولكن أتمنى أن نضحك جميعاً دون أن ينقصنا أحد بعد خوض تلك الحرب الضارية، إنني في الحقيقة قد أصابني خوف شديد أن أنتهي من الحرب وأجد بعضاً من أصدقائي قد قتلوا، إنه شيء مؤلم جداً، ولكن كانت صداقتكم في تلك الحرب عظيمة جداً، فقد شرفني أن أحارب بجوار "دَبيل" و"أبيناف"، وبالطبع بجوار صديقي العزيز "حصبان"، كما أنه يشرفني حقاً أن أتابع القتال ضد أكلة لحوم البشر تحت قيادة أمير قبيلة "أدماث" الأمير "آثال"، وبجوار "بانديل" الرجل العاقل الحكيم،

والحكيم "صهيا" المعلم الأول في القبيلة والذي تعلمت على يده أشياء كثيرة، وكل جنود "أدماث" و"قُرّان"، وأخيراً بجوار الفتى العظيم أو كما يقولون "الفيلسوف الصغير" "إندو"».

فأصيب "إندو" بالخجل على إثر ما قاله "أُثيب"، لذا استأذن منهم جميعاً بعد أن قال: «أشكرك على هذه المشاعر الطيبة يا سيد "أُثيب"».

ومن ثم مشي وحده بعضاً من الوقت عند سفح الجبل من الناحية الشمالية إلى الغربية، وظل يتفكر في تلك الحرب وما ستخلفه من دمار؛ سواء بعد نصر أو هزيمة، ولكنه أثناء سيره سمع مواء خافتاً من مكان ما، فنظر حوله ولكنه لم يجد شيء ذا أهمية، واستأنف السير مرة أخرى إلا أنه سمع المواء مرة أخرى، ولكنه هذه المرة كان أعلى من ذي قبل، فنظر حوله ليجد "سويْبا" ذلك السنور الصغير وقد خرج من بين الأعشاب، صديقه القديم الذي قد نساه هذه المدة الطويلة، فنظر من حوله بتلصص ليرى إن كان هناك من يراه أو لا، ولما لم يجد أحد هناك ذهب إلى السنور في ابتسامة سعيدة قائلاً: «"سويْبا"..! من الذي أتى بك إلى هنا في هذا الوقت؟! لابد أن ترجع إلى الكوخ حيث الراحة والسلام».

إلا أن السنور نظر إليه في شوق شديد يشوبه بعض الحزن قائلاً: «لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك يا صديقي، حقاً قد اشتقت إليك كثيراً وقلقت عليك أكثر، ولأجل ذلك جئت كي أطمئن عليك».

«بل أنا من اشتاق إليك أكثير "سويْبا"، ولكن كي أظل مطمئناً عليك لابد أن ترجع إلى الكوخ».

«سوف أفعل كل ما تريد، ولكن جئت إليك فقط كي أخبرك بشيء صغير بالنسبة لك وللجيش، ولكنه بالنسبة لي كبير جداً».

«ما هو هذا الشيء؟! ماذا تقصد؟!».

«أريدك أن تلم شتات ذاتك يا "إندو"، ليس أنت فقط بل كل جنود الجيش هناك، عندها سوف يأتي النصر في ردائه الفضي العظيم».

«ماذا تقصد يا صديقي؟! أنا لا أفهم مقصدك!».

«فقط أخبر الجنود بأن يتذكروا ذاتهم البشرية جيداً حتى يتم لم الشتات بينكم جميعاً، هذا كل ما عندي يا صديقي، والآن أراك على خير حال إن شاء الإله، أتركك في رعايته هو الواحد القادر على ذلك».

«إلى اللقاء يا صديقي، إلى اللقاء يا "سوِيْيا"».

انطلق السنور ناحية المكان الذي خرج منه بين الأعشاب، وظل يعدو حتى اختفى عن أنظار صديقه، وظل "إندو" وحيداً بين التفكير في الحرب وبين ما قاله له صديقه السنور الصغير، وما أن ثقل به التفكير في هذه وذاك حتى رجع إلى مكان المعسكر مرة أخرى، ودون أن يخبر الأمير "آثال" بشيء أو حتى الحكيم "صهيا"؛ اعتلى صخرة عالية بعض الشيء وهتف في الجنود هنا وهناك قائلاً: «أيها الجنود العظماء، يا جنود "قُرّان" و"أدماث"، اسمعوني جيداً حتى أحدثكم».

فانتبه الكثير له في ذلك الوقت، حتى أن أبيه والأمير "آثال" والحكيم "صهيا" قد نظروا إليه جميعاً في تعجب ليروا بماذا يريد أن يخبرهم في مثل هذا

الوقت، فاستأنف حديثه قائلاً: «إنها مجرد تذكرة صغيرة ربما نستفيد منها جميعاً، أريدكم أن تلموا شتات أنفسكم حتى تستطيعوا النصر على أولئك الظالمون، إننا بالفعل يجب علينا جميعاً أن نلم هذا الشتات، وأن نعرف جميعاً عظمة ذاتنا البشرية التي لم يخلقها الإله لأي من المخلوقات الأخرى، اعرفوا جيداً أنكم بشر والبشر هم أفضل المخلوقات التي خلقها الإله الرب، لذا فلتتذكروا هذا جيداً حتى تلموا شتاتكم، كي تنتصروا على أكلة لحوم البشر».

في بادئ الأمر قد ظن البعض أن "إندو" يتحدث إليهم ببعض الشفرات السحرية، لذا ضحكوا كثيراً على ما قاله هذا، ولكنهم ظلوا يفكرون فيه وقتاً طويلاً بعد ذلك، حيث أن ما قاله ترك في قلوبهم الكثير ليفكرون فيه، كما فعل هو الآخر سابقاً، وما أن رآهم "إندو" يفكرون" وقد أشاحوا بوجوههم هكذا علم أنهم قد فهموا مقصده، ذلك المقصد الذي لم يفهمه هو شخصياً من قبل، حيث أن ما قاله "سوِيْبا" كان أقرب للشفرات حقاً مما قاله هو للجنود، هذا لأنه فهم مقصد صديقه قبل أن يخبر به جنود الجيش، ولكن ما ظل عالقاً في عقله بعض الوقت، هو صوت "سوِيْبا" عندما قال له: «عندها سوف يأتي النصر في ردائه الفضي العظيم».

ولكنه مع الوقت تناسى تلك الكلمات، إلا أنه ظل على التفكير في لم الشتات ولم ينتظر أحداً من هؤلاء الجنود أن يأتي ليحدثه في ذلك، الموضوع الذي جعله يصعد فوق صخرة ويكلم جنود الجيش.

الفصل التاسع عشر
نهـــايـة الحـــــرب

آلـت الـشمس إلى المغيـب مـع شـوقها لرؤيـة مـا تبقـى مـن تلـك الحـرب العظيمة، وقتها وصل الجنود الذين قد تركهم الأمير "آثـال" لمراقبـة جـيش آكلـوا لحوم البشر، انحنوا جميعاً أمامه وتحدث أكبرهم قائلاً: «سيدي الأمـير "آثـال"، إن جيش آكلوا لحوم البشر في طريقـه إلينـا، حيـث أنهـم وجـدوا أن نـار الخنـدق عظيمة ويستحيل المرور منها، لذا قرروا أن يأتوا إلى هنا ساخطين علـى البـشرية كلها، وقد شكلوا صفوفهم من جديد وهم في حالة عنف شديد، يريدون أن يهدمون "قُرّان" ويطبقونها رأساً على عقب».

«فليأتوا».

قالها الأمير "آثال"، ثم استأنف الحديث في شـدة قـائلاً: «إذاً فليـأتوا أنّـا يشاءون، فالجنود على أتم الاستعداد لذلك، والآن هيا انضموا إلى صـفوف الجـيش وليكن الإله معنا».

ومن ثم نظر إلى الجنـود قـائلاً: «الآن لتتخـذوا أمـاكنكم جميعـاً، فرسـان السيوف والرماح سـوف يختبئـون في الناحيـة الجنوبيـة الـشرقية للجبـل تحـت قيادتي، حتى إذا ما أقبلوا على الجبل بكثرتهم ندير عليهم الدائرة، حيث نكـون نحن مجموعتا السيوف والرماح من خلفهم كالمطرقة، وأصحاب الحجارة مـن فـوق

الجبل يكونوا هم السندان، في نفس الوقت الذي سيعمل فيه فريق السهام والنبال هم الآخرون، الذين سيتقدموا عن جنود الحجارة لتختبئ من خلفهم عن أنظار الآخرين، وليكونوا بالنسبة لهم طعماً لمحاولتهم لطلوع الجبل، حينها سيتجنبون إلى اليمين واليسار لتظهر الأحجار التي تنحدر بسرعة عظيمة تجاههم، وبذلك نحقق خطة المطرقة والسندان على هؤلاء آكلوا لحوم البشر، الأمر ليس سهل ولكننا لو فعلنا كل شيء في وقته سوف تكتمل الخطة بصورة بسيطة لن تتعبنا».

قال ما قال ثم امتطى جواده آمراً بإصدار النفير للجنود كي يتتبعون، ذهب معه "إندو" وأبيه وأخوته الثلاثة، والحكيم "صهيا"، و"دَبيل" و"أُثيب" و"أبيناف"، والفريقان من سيف ومن رمح، ولكن ظل "حصبان" واقفاً هو وفريق السهام كي يصعد إلى الجبل ليبدأ معاناة الحرب.

كان جنود الحجارة أعلى موجهين الحجارة ناحية الشرق، لأن أكلة لحوم البشر سوف يأتون من ذلك الاتجاه، وذلك لسهولة انحداره على من يريد الصعود، كانت الشمس قد تلونت بلونها الأرجواني الدامي، الذي من خلاله تخبرهم بذهابها الأليم، ولكنها لم تكد تغرب حتى علت أصوات آكلي لحوم البشر في المنطقة، وقد استعد الجميع واتخذ كل واحد مكانه كما نظمهم الأمير "آثال".

أما بالنسبة لجيش آكلوا لحوم البشر فقد قدم منظماً بأسلحته، ولكن الجنود قد غرقوا في بحور الدم عندما قاموا بأكل المقتولين من الجنسين؛ البشر

وآكلوا لحوم البشر، وهذا ما جعل أشكالهم تبدو مخيفة أكثر من ذي قبل، إلا أن "حصبان" الذي ظهر لهم أولاً هو وجنود السهام، ظل ثابتاً مكانه دون أن يتحرك فيه ساكناً واحداً، ولكن بعض جنوده أخذهم الخوف من تلك المناظر المقززة الرهيبة، حين ذلك كان هو الوقت الذي تقدم فيه "حصبان" ليكون لسان الخطاب إلى هؤلاء المرضى، حيث تقدم عن جنوده خطوتين للأمام، أولئك الذين ظهروا إلى جنود أكلة لحوم البشر منتشرين فوق الجبل بعضهم خلف بعض كأنهم آلاف من الجنود، ثم رفع "حصبان" القوس الذي قد أخذه سابق عهده من واحد منهم وصاح قائلاً: «اليوم قد مات الخوف لدينا يا كلاب "داهور" اللعين، اليوم إما النصر وإما الشهادة».

وعلى إثره رددت مجموعته بصوت هز الجبل من تحت أرجلهم وهم يرفعون أقواسهم إلى أعلى قائلين: «إما النصر وإما الشهادة».

فاغتاظ "باغور" لذلك غيظاً عظيماً، وبان الغيظ أيضاً على جنوده بأشكالهم المقززة القبيحة، فلما أن رأى المنحدر سهلاً أمر جنوده بصعود الجبل، هنا كان أمر "حصبان" برمي السهام عليهم، ثم أطعم قوسه بثلاثة أسهم كالعادة ومن ثم وجهه إليهم ليطلق سراح السهام جميعاً كي يصيب كل سهم منهم واحد من أكلة لحوم البشر، ومن ثم أمطروا عليهم وابلاً من السهام مرة أخرى لتبدأ المرحلة الأخيرة من الحرب وليحجبوا السماء مرة أخرى كما فعلوا في المرحلتين السابقتين.

نزلت السهام على أكلة لحوم البشر كأنها صواعق من السماء، حيث كان

ارتفاع "حصبان" ومجموعته أعلى بمائتي وخمسين ذراع منهم، وكانوا يصطادون أول بأول؛ كل من استطاع أن يقترب منهم بسرعة، لذا قتل الكثير من أكلة لحوم البشر دون أن يقتلوا واحداً من البشر، إلا أن كثرتهم التي اعتلت الجبل بدأت تقترب منهم بشدة، حيث أن سهام المجموعة كلها لا تستطيع إصابتهم جميعاً لأنهم بدوا أكثر من السهام التي مازالت راقدة في جعابهم، وكان الجبل قد اختفت ملامحه من الأسفل لكثرة من صعدوا عليه، لذا انتظر "حصبان" بعض الوقت وهو لا يزال يبعث إليهم ما لديه هو والمجموعة من السهام، وما أن اقتربوا منه ببعض الأذرع المعدودة رفع يده للمجموعة حتى تتنحى، وما أن تنحّت المجموعة بعضها يميناً والآخر يساراً حتى ظهر ما كان مختفياً عن أكلة لحوم البشر، تلك الصخور العظيمة التي قد قام الجنود بتحضيرها بأمر من الأمير "آثال"، وذلك ليفاجئوا أكلة لحوم البشر، الذين أخذتهم نظرات التعجب صياح شديد هز أركانهم، ولكنهم قبل أن يفعلوا أي شيء كانت الصخور قد اصطدمت بأولهم، وتتابعت الصخور بجوار بعضها البعض بأعداد رهيبة؛ أفسدت كل ما فعله آكلوا لحوم البشر من أجل صعود الجبل، حيث أن الصخرة الواحدة كانت تأخذ في طريقها إلى الأسفل عشرات وعشرات منهم، حتى تصل بهم إلى سفح الجبل مرة أخرى، واستمرت مجموعة الأحجار على هذا الحال مدة طويلة، كان خلالها يصوب "حصبان" ومجموعته على من يفلتون من هبوط الصخور بأقصى سرعة ممكنة حتى لا يصل واحد من أكلة لحوم البشر إلى أعلى الجبل فيفسد كل ما صنعوه.

ما أن رأى الأمير "آثال" جنوده فوق الجبل بهذا التقدم العظيم حتى خرج هو ومن معه من بقية الجيش الذي كان تعدادهم أكثر من اثني عشر ألف جنـدي، وقبل أن يراهم "باغور" وجنوده الذين كانوا مهتمين بمن هم فوق الجبل؛ كانوا قد أحاطوا بهم جميعاً من الخلف، فتشتت جيش أكلة لحوم البشر بين مـن هـم فـوق الجبل، ومن هم خلفهم أو بين المطرقة والسندان، حيث أن الأحجار الثقيلة تنـزل عليهم من أعلى الجبل لتدك منهم عشرات وعشرات، ومن خلفهـم سيوف ورمـاح عظيمة تقطر من دمائهم.

لم يخترق الأمير "آثال" جيشهم، وذلك لكي لا يقـترب مـن سـفح الجبـل فتصيبه صخور جنوده، ولكنه اكتفى أن يقاتل الصفوف الخلفية لجيش أكلة لحوم البشر، حتى يبيدهم جميعاً الصف تلو الآخر.

حين إذن انتبه "باغور" وجنوده بمن جاءوا من خلفهم، لـذا قـام "بـاغور" بضبط تشكيل الصفوف مـرة أخـرى، ذلـك لتبـدأ المطحنـة العظيمـة بـين رمـاحهم وصليل السيوف المخيف، كان الأمير "آثال" وقتها يقاتل بطريقة ليس لها مثيـل، ذلك لأنه فارس ومحارب من الدرجة الأولى، فكان سيفه يتحرك بـسرعة تخطـف الأنظار، ومثله كـان "دَبيـل" الـذي ظـل ممتلكـاً للـسيفان اللـذان قـد أخـذهما مـن "حصبان" و"أُثيب"، هذان الـسيفان اللـذان صـنعا علـى يـد "الـشياطين المنفيـون"، والذي استطاع بهما أن يمزق أجساد الكثير من هؤلاء المقززين.

لم يقابل "بانديل" طوال حياته واحداً من هؤلاء آكلوا لحوم البشر، ولكنـه تذكر تدريبه العظيم على القتال مع أبيه، كيـف أمـسك بالـسيف؟ وكيـف رفعـه؟

وكيف ضرب أول ضربة به على سيف أبيه؟ وكلما تذكر حركة فعلها في التدريب أعجبت والده، كلما قام بتنفيذها على أرض الواقع مع هؤلاء آكلوا لحوم البشر، حتى كاد يخترق بطونهم جميعاً ليتعارك مع أمعائهم الأكثر تقززاً من وجوههم القبيحة، والذي كان يتناقل معه على هذا الوتر ضد هؤلاء الأعداء؛ الحكيم "صهيا" الذي كان عارفاً فطناً بفنون القتال إلى درجة لا بأس بها، مما جعله يتقدم بصحبة "بانديل" في اختراق صفوف أكلة لحوم البشر بطريقة ثنائية عظيمة.

لم يكن هذا هو الثنائي الوحيد من بين المجموعة، حيث أن "أُثيب" و"أبيناف" قد شكلا هما الآخران ثنائياً عظيماً، حيث أنهما كانا يلعبان بأجساد أكلة لحوم البشر، ذلك وهما يصيحان بشدة عظيمة، حيث قال "أبيناف": «يوم السيف يوم لا بأس به حقاً، حيث أن الواحد منا يستطيع أن يلهو كما يشاء مع من هم مثل هؤلاء آكلوا لحوم البشر».

فابتسم "أُثيب" على إثر ذلك قائلاً: «ولتمتلئ كؤوس الأرض دماً هذا اليوم، حتى تسكر الشياطين من تحت الأرض في نخب هزيمة "داهور" وكلابه التي لا حول لها ولا قوة».

أصبحت المشاهد القتالية هنا وهناك، وفي جميع أنحاء المنطقة التي غصت بالجنود تشير إلى أن الانتصار سيكون للبشر، حيث أن هؤلاء الفرسان قد أبدوا كل ما لديهم من طاقة لأجل أن ينتصروا، فأصبح الأمر وكأنه شيء يخرجون فيه كبتهم العظيم الذي كبت داخل قلوبهم من يوم أن آذنهم "داهور" بهذه الحرب، فلم تتوقف الأيدي أبداً عن القتال يمنة ويسرة، ومن الخلف ومن الأمام.

كان أخوة "إندو" الثلاثة هم الآخرون يبدون أجمل ما لديهم من قتال، حيث تلك المهارات العظيمة التي تربوا علها من خلال والدهم، وكانوا يداً واحدة مع جنود "أدماث" ضد هؤلاء الوثنين آكلوا لحوم البشر، لذا كان قتالهم عظيم أدى إلى قتل الكثير من أكلة لحوم البشر.

كانت السيوف تصدر صليلاً عظيماً حقاً، ولكنه لم يكن كصليل "الحارس العظيم"؛ ذلك السيف الذي كان يرفعه "إندو" في وجوه أعدائه، السيف الذي تحرك في يده بانسيابية غريبة قد تعود عليها منذ أن أخذه من والده، والأغرب من ذلك أنه لم يكن هناك سيف أو سلاح من أسلحة آكلوا لحوم البشر تصمد أمامه، تلك الأسلحة العظيمة التي قام بصناعتها "الشياطين المنفيون" التي لا تصمد أمامها أي أسلحة أخرى، ولكن بخلاف هذا السيف العظيم الذي كان يدمر أي سلاح يلامسه من قبل أولئك الأوغاد، حتى أنهم تعجبوا لمثل هذا ليس هم فقط، بل حتى الجنود البشريين من "قُرّان" و"أدماث"، وكان هذا مما يجعل "إندو" أكثر ثقة بنفسه، بعد تلك الثقة العظيمة التي وثقها في الإله الخالق.

كل ذلك ولم يتخلى "حصبان" وجنوده عن اعتلاء الجبل، بل ظلوا جميعاً يدافعون عن الباقين ممن التحموا مع أكلة لحوم البشر، وظل القائمون على الحجارة هم الآخرون فوق الجبل يرمون بأحجارهم على الأعداء بقوة هائلة، حتى أن "باغور" في وقت قياسي خسر آلافاً كثيرة من جنوده، ولكنه بعد ذلك كله كان أكثر عدداً وأكثر خيفة أيضاً، ذلك لأنه استطاع أن يقتل الكثير من البشريين الذين قد رأى الشجاعة في أعينهم، كان أولهم "أُثيب" الذي بتر الرقاب، وشج

الرؤوس، وأصاب الصدور، فقد أمر بعضاً من جنوده بأن يلتفوا من حوله ليقيدوه تماماً حتى لا يستطيع أن يفلت من أيديهم، كان قد رآه "أبيناف" وهو على هذه الحالة، فطاح بكل من يقابلون بشدة عظيمة حتى يلحق بصاحبه، ومن أعلى الجبل أيضاً كان "حصبان" يبعث إليهم من سهامه ما يستحقونه، ولكن لم يستطع "أُثيب" أن يتحمل أكثر من سبعة من أكلة لحوم البشر من حوله، فتخلص من واحد والثاني ولكنه وقع بعد ذلك من فوق جواده، وقد نزلوا عليه جميعاً بأسلحتهم حتى أنه كاد لا يُرى فيه شيء يُعرف من خلاله أنه "أُثيب"؛ ذلك الفارس العظيم الذي قدم لقبيلته الكثير من الشجاعة، حتى لا تُهان من قبل هؤلاء المقززون أكلة لحوم البشر، صرخ "أبيناف" على إثر قتله صرخة اهتز لها ميدان المعركة، ومن ثم انتفخت عروقه واحمر وجهه واتسعت عيناه في مشهد رهيب كاد أن ينفجر غيظاً حين ذلك، ولكنه تقدم بسرعة ناحيته وهو يقتل كل من يقابله، ولكن كان هو الثاني، حيث أنه رآه أحد أكلة لحوم البشر وهو في تلك القوة التي كان عليها، فأصابه بسهم في صدره فهدأ روعه شيئاً ما، ولكنه استمر في القتال أيضاً حتى أصيب بسهم آخر، كاد يقع من فوق جواده ولكنه تمسك جيداً به وانطلق في طريقه، حتى يخترق نحره سهم ثالث أوقعه من فوق الجواد جثة هامدة، حينها نظر "حصبان" إلى من رمى بهذا السهم واصطاده بسهم عظيم أصاب نحره ذاته فمات في وقتها، ولكن الجيش نفسه قد رعب من إثر ما حدث هذا.

ولما أن رأى "باغور" خصمه "دَبيل"؛ شهر سيفه إلى أعلى في صياح شديد، حتى أنه كان يقتل كل من كان يقابله بسهولة ويسر، وذلك لعظمة ارتفاعه

بالنسبة لهم، وما أن رآه "دَبيل" حتى استعد لمواجهته استعداداً تاماً، ولكـن كـان هناك رجل آخر يدعى الأمير "آثال"، حيث أنه اخترق بعضاً من أكلة لحوم البشر قاصداً ذاك الهدف العظيم "باغور" صاحب الأذن المقطوعـة، وحقـاً قـد وصـل إليـه الأمير "آثال" قبل أن يصل هو إلى "دَبيل"، والتقى سيفاهما بقـوة عظيمـة ليـصدرا صليلاً يصم الأسماع، بادر "دَبيل" هو الآخر بالاقتراب من ذلـك الـوحش العظـيم، حتى يساند الأمير "آثال" في قتاله، ولكنه ما أن وصل إلـيهم حتـى كانـت المفاجـأة التي أسعدته كثيراً، فقد وجد الأمير "آثال" رافعاً سيفه إلى أعلى وبطريقة سحرية أنزله ليقطع أذن "باغور" اليسرى تلك التي أبقاها له "دَبيل" من قبل، والتي علـى إثرها تزمجر "باغور" وصاح بشدة وغضب، فأصدر من حوله جلبة عظيمـة، لأنـه قد فقد أذنيه اللتان هما كورق القلقاس، ولكنه قبل أن يفعل أي شيء كان قد وصـل "دَبيل" هو الآخر، فاجتمع هو والأمير "آثال" لمحاربته، ولكنه كان صامداً لقوتـه الهائلة وارتفاعه العظيم، إلا أنه في نهاية الأمـر لم يـصمد كـثيراً أمـامهم، حتـى أنهما شتتاه بعض الوقت ليضرباه في نهاية الأمر ضربـة رجل واحد، حتـى ارتطـم بالأرض جثة هامدة، ولكن في نفس الوقت كان هناك خمسة جنود من أكلـة لحـوم البشر يسعون قتالاً في الآخرين، كانوا يقاتلون بشدة عظيمة جداً، حيث أن الواحد منهم كان يقتل بضربة أكثر من بـشريٍ واحـد، وذلـك لعظمـة بنيـانهم وأشـكالهم المخيفة عن الباقين من أكلة لحوم البشر، حيـث كـانوا هـم الخمـس جنـود الـذين كانوا من الفصيلة الأولى والذي قد أمـر "داهـور" أن يكونـوا داخـل الجـيش ليـأتوه بـ"إندو" حياً، وما أن سمعوا أصـواتاً عاليـة تنـادي "إنـدو" حتـى ترقبـوا مـن هـو

صاحب الاسم.

كان "إندو" وقت ذاك يتلاعب مع أكلة لحوم البشر بسيفه العجيب الذي اندهشوا منه كثيراً، ولكنه فجأة وجد خمسة فرسان منهم قد التفوا من حوله، عليهم نظرات تبعث إلى بحور وبحور من القلق، وما أن رآهم حتى انتفض قلبه ونبض بعض النبضات السريعة دون توقف، وتلاحقت أنفاسه وتسرب إلى قلبه الخوف، ساعتها لم يستطع السيطرة الجيدة على سيفه، حيث أنهم لم يقاتلوه ولم يرفعوا عليه أسلحتهم؛ وذلك كي يأخذونه سليماً دون خدش واحد إلى ساحرهم العظيم "داهور".

حينما رأى بعض الجنود البشريين هذا المشهد؛ أقبلوا إلى هؤلاء الخمسة أكلة لحوم البشر، ولكنهم حينما اقتربوا منهم انتفضوا هم الآخرون، وتلاحقت نبضات قلوبهم بسرعة رهيبة لم يجدوها في أنفسهم من قبل، وكأن من ينتمون إلى تلك الفصيلة الأولى من أكلة لحوم البشر يخرجون الهواء الساخن من أنوفهم وفي طياته يبثون الخوف والفزع إلى الهواء الخارجي، حتى إذا ما تنفسه الآخرون أصابهم الفزع والخوف وتلاحقت أنفاسهم بتلك الطريقة التي بانت على الجنود الذين اقتربوا منهم من البشريين، ومن قبلهم "إندو" الفتى الذي اختاره "داهور" بنفسه كي يحضرونه له، ومن ثم قاتلوهم البشريين حتى يدافعوا عن ذلك الفتى الصغير، ولكن كانت الغلبة في النهاية القريبة لهؤلاء أكلة لحوم البشر، حين ذلك رفع "إندو" السيف إلى أعلى قائلاً: «إن كنتم أقوياء لهذه الدرجة فلتقاتلوني إذاً».

فابتسم أحدهم ابتسامة باردة مخيفة جداً قائلاً: «ولكنا لا نريد أن نقتلك أيها الفتى الصغير».

«إذاً أنا أريد أن أقتلكم».

فقال واحد آخر: «لا تكن عنيداً كي لا ترى ما لا تحب أن تراه».

«لقد رأيت حقاً كل ما لا أحب أن أراه، لذا فلم يعد هناك ما يخيفني حقاً، إنما بعد هذا سيأتي السلام رغماً عن أنوفكم».

كان صوت "إندو" عالياً لذا سمعه أبيه وأخوته والحكيم "صهيا"، بل قد رآه الأمير "آثال" و"دَبيل"، فتوجهوا جميعاً ناحيته بكل ما فيهم من قوة كي يروا من يقفون أمامه، ولكن "إندو" كان قد رفع سيفه عليهم حقاً، فلم يفعلوا إلا أنهم تصدوا لضرباته فقط، كانت ضرباته ضعيفة بعض الشيء، إلا أن السيف كان يتحرك بشدة عظيمة لم يكن يتوقعها أحد من هؤلاء الخمسة، حيث أن "إندو" لم يكن يشتد ويقوى على سيفه، وذلك يظهر على حركة جسده البطيئة الضعيفة، إلا أن السيف كان يثبت خلاف ذلك تماماً، حتى أن واحداً من سيوف هؤلاء الخمسة قد أصابه "إندو" بضربة من ضربات سيفه؛ فكاد ينكسر ذلك سلاح الخاص بهذا الجندي الذي ينتمي إلى الفصيلة الأولى، وما أن نظر إلى سلاحه الذي اعوجّ بعض الشيء متعجباً؛ حتى ضربه "إندو" ضربة كانت قد قضت عليه، حيث أصابه إصابة بالغة في رأسه، فقتله السيف في التو ليقع مرتطماً بالأرض، حينها ثار دماء الأربعة الباقين؛ فاقتربوا إليه جداً ولكن كان قد وصل أبيه وأخوته والباقين، ودخلوا في قتال شديد مع هؤلاء الأربعة، إلا أنهم لم يستطيعوا أن

يفعلـوا أي شـيء معهـم، حيـث أن قـوة الآخـرين في القتـال كانـت كـبيرة جـداً، فتلاحقت أنفاسهم وتعالت نبضاتهم والآخرون مـازالوا في تلـك الـشدة الـتي كـانوا عليها دون تأثر بالحرب، كان "إندو" وقـت ذاك قـد سـلك طريقـه في الحـرب ضـد الآخرين من أكلة لحوم البشر المنتمين إلى الفـصيلة الثالثـة، ولكـن كانـت نظـرات الجنود الأربعة الآخرين تلاحقه بشدة.

لقد استطاع الجنود البشريين أن يقفوا أمام هذا الجـيش العظـيم مـن أكلـة لحوم البشر فعلاً، حيث أنهم استطاعوا أن يصمدوا كل هـذا الوقـت دون أن تلحـق بهم الهزيمة الساحقة التي كان قد نوا عليها أكلة لحـوم البـشر في سـابق أمـرهم، ولكنهم أناس وحدوا الإله ونصروه في أنفسهم وأمام أعدائهم أعداء الإله، لذا كانت القوة الإلهية التي قذفها الإله في قلوبهم درعاً عظيماً يمنع هؤلاء أكلة لحوم البشر من اختراقه، ولكن كانت الحرب ولازالت في تأججها، لذا صبروا على هذا الـبلاء العظيم حتى كادت أيديهم تقع منهم من كثرة الضربات القوية المتلاحقة بالسيوف والرماح كل هـذه الـساعات الطويلـة، وقـد دخـل الليـل علـيهم وهـم لا يزالـون في حربهم العظيمة، ولكن قد أشعل الجنود من هنا وهنـاك الـشعل العظيمـة لتـضيء لهم، فقد قرروا أن ينهوا الحرب هذه الليلة، كي يعرفوا من الفائز من المنتصر.

لا زالت عيون الجنود الأربعـة تلاحـق "إنـدو" في كـل مكـان، حتـى علـم الأمير "آثال" أنهم يريدون أن يأخذونه حياً إلى "قلعة التـنين"، وقـد تعـب كـثيراً هو والمجموعة من ملاحقتهم وقتالهم، ولكن كان كل ما فعلوه دون جدوى مـنهم، لأن الأربعـة هـؤلاء لم يتعبـوا قـط مـن قتـالهم، بـل قتلـوا الكـثير والكـثير مـن

البشريين، حتى أن الباقين من أكلة لحوم البشر مما رأوهم تعجبوا كثيراً من قتالهم، فما أن رأوهم من وجوههم حتى عرفوا أنهم من الفصيلة الأولى من أكلة لحوم البشر، وكانت تلك الفصيلة بالنسبة للفصائل الأخرى فصيلة سامية لا يقدر عليها أحد، لذا انحنوا لهم احتراماً لمنزلتهم العظيمة في القتال، ومنزلتهم الأعظم لدى الساحر "داهور".

أخبر الأمير "آثال" كل المجموعة بحماية "إندو" جيداً، علماً بأن هؤلاء الأربعة يراقبونه مراقبة كلية ولم يكن هناك من يستطيع قتالهم، حيث أن كل من قابلوهم قد قتلوا، ذلك بخلاف الأمير "آثال" و"دَبيل" و"بانديل" وأولاده، ولكن الباقين من الجنود قد قتلوا حقاً ولكن كان قتلهم شر قتلة، حيث أنهم قد قتلوا على أيد من الفصيلة الأولى.

لقد بدا الانتصار حقاً للبشريين، ولكنهم قد غُلبوا على أمرهم من عدم النيل من هؤلاء آكلوا لحوم البشر الأربعة، وما أن علم "حصبان" هذا الأمر حتى أصاب اثنين منهم بسهامه، ولكن هذا كان دون جدوى، فلم يتأثروا بذلك كثيراً، وهذا إن دل فإنما يدل على أنهم لا يموتون بأي أسلحة هكذا بسهولة، ولكنهم يموتون بأسلحة خاصة جداً كـ"الحارس العظيم"؛ ذلك السيف الذي يمتلكه "إندو" والذي قتل به خامسهم بضربة واحدة على رأسه.

ما أن رأى "إندو" هذه الأمور تحدث من هؤلاء الأربعة حتى توجه إليهم، أوقفه أبوه كثيراً، بل إخوته والأمير "آثال" قد وقفوا أمامه بعض الشيء، إلا أنه لم يتخلى عن أمره الذي قد أقبل عليه، حتى اقترب منهم وهو يصيح في

شجاعة قائلاً: «إن كنت أنا هدفكم فها أنا أمامكم، ليقابلني أيكم فأنا لا أهاب إلا الإله الذي خلقني وخلقكم، وخلق "جومار" و"داهور" وإنا له لخاضعون».

ثم اقترب منهم أكثر وهو شاهراً سيفه، ولكن أحداً منهم لم يتحرك وكأنه ذبابة اقتربت منهم على حين غفلة ملحوظة، إلا أنهم ما أن اقترب منهم حتى أحاطوا بهم من كل جانب، فلم يستطع "إندو" أن يفعل معهم شيئاً، إلا أنه حرك سيفه يمنة ويسرة بعض المرات القلائل، ولكنه في نهاية الأمر لم يحتمل تجمعهم عليه، فكاد أن ينهار من بينهم ليرتطم على الأرض، ولكن كانت المفاجأة الغريبة، تلك التي لم يتخيله أحد من كلى الجانبين، فقد خرج فارس أبيض فضي عظيم من الظلام، كان ممتطياً جواد أبيض أيضاً، ذا لحية بيضاء خفيفة، وقد تتوج رأسه بتاج عظيم من ماس، كاد يغطي شعره الأبيض الأملس الجميل الذي قد نزل على عينه التي ظهرت كأنها عيني قطة، وأنفه الصغيرة بعض الشيء، والذي قد خرج نور عظيم من وجهه أنار تلك المنطقة التي رسا فيها جواده، ولكن هذا لم يستمر كثيراً، حيث أنه انطلق يعدو ناحية المنطقة التي كان بها "إندو"، ومن ثم أخرج سيف أبيض غريب بعض الشيء عن تلك الأسلحة الأخرى التي يمتلكها البشر، فقد شهره بطريقة سحرية ماهرة، وما أن وصل إلى أولئك الأربعة حتى رفع الجواد قدميه الأماميتين إلى أعلى بشدة، حركت الأربعة جنود إلى الخلف قليلاً بعيداً عن "إندو"، ثم إنه بدأ معهم القتال واحداً تلو الآخر، ودون أن يأخذ الكثير من الوقت كان قد أنهى على أربعتهم جميعاً.

لم يصدق "إندو" ما رآه بعينيه، لذا فرك كثيراً بيديه فيها ولكن دون أية

فائدة، حيث أن ما رآه كان حقيقة وليس خيالاً، لقد وجده فارساً ذا هيبة عظيمة يرتدي ثيابا كلها بيضاء، لم يرى مثله من قبل في نفس الوقت الذي ظن فيه أنه لن يرى مثله بعد.

حقاً كان رجل غريباً، لدرجة أن الكثير من الناس ظنوا أنه جن قد خرج من مكان ما كي يدافع عن "إندو"، والذي أكد لهم هذا الرأي، أنه بعد أن انتصر على هؤلاء الأربعة وقتلهم؛ اقترب من "إندو" وقال له: «إن حياتك غالية جداً بالنسبة لنا أيها الفتى، لذا كان لابد أن أخرج في هذا الوقت بالذات لإنقاذك من هؤلاء آكلوا لحوم البشر».

ثم التفت إلى الجنود البشريين في ابتسامة لطيفة، ثم قال بصوت ناعم عظيم قد سمعه الأقصى والداني: «لتستمروا على دربكم أيها البشر، فإنكم الغالبون بإذن الإله».

هنا قد بُعثت الروح مرة أخرى إلى الجنود البشريين، وقد خار جنود أكلة لحوم البشر من تلك الكلمات القاتلة، وعلى إثرها اشتد البشر في القتال لدرجة عظيمة، ولكنه في هذا الوقت كان قد ذهب كما أتى، دون أن يرى أي أحد في أي شيء جاء وفي أي شيء ذهب، ولكن كلماته كانت قد أزادت فيهم الحماسة كثيراً، فلم يتوقفوا أبداً طوال ما بقي من الحرب، واستمروا على شجاعتهم العظيمة التي لم تنعدم من بعد رحيل ذلك الرجل الأبيض، أو الجني كما كانوا يظنون، وكانوا يرددون كلمة عظيمة فيما بينهم، حيث قالوا: «الإله .. الإله .. الإله».

تلك الكلمة العظيمة ظلوا يرددونها طوال الوقت، تلك الكلمة التي قد

سمعها "إندو" في رؤيته من قبل، إلا أن النصر لم يكن ليأتي ببساطة، هذا ما كان يعتقده كل جندي بشري، لذا فقد بذلوا جميعاً كل ما لديهم من قوة، بل أنهم زادوا على ذلك مما رزقهم الإله من قوة وصبر واحتمال، وتعاونوا مع بعضهم البعض وشجعوا بعضهم البعض، فكانت الدماء المحملة بالشجاعة تضخ في أجسادهم بشكل غريب، جعلهم يهتفون بأعلى أصواتهم قائلين:

«إذا الحرب جاءت لنا مرة؛

فلابد في الحرب أن ننتصر.

ولابد أن تشرق الشمس سلماً،

ولابد للحرب أن تنكسر،

ولابد يوماً يروح الظلام،

ويأتي الضياء بطرف القمر،

ونجم يضيء وفجر ينير،

ووجه السماء لنا يزدهر.

وكوكبها يستظل السلام،

ونجم السلام بها ينتشر.

وأرض الدماء غداً سوف تُشرق..

فيها الشموس فتُجلى الحُمر.

وجيش العداء سكون لديه،

ونحن إليه قضاءً قُدِر.

سنُهلك كل الطغاة قريباً ،

من الوحش حيث ينال العبر.

وداهور يوماً سنأتي به ،

ونقطع رأساً تعالت خطر.

وجومار ذاك اللعين سيأتي ،

وشيطانه سوف ينسى البشر.

سيُعدم هذا ويُحرق ذاك..

فهذا تراب وذاك سَعِير.

جحيم تصيب قوام الخطاة..

بنار ستحرق لمح البصر.

ومن وحّد الرب كان بشيراً !

وبشرى له يوم يأتي القدر.

وبُشرى لمن كان بشرى لنا ،

وبشرى بجنات رب البُشر.

وبشرى بفردوس هذي الجنان ،

بها كل شيء لنا منتظر.

بها الحور حور ضياء ونور !

وأجمل من كل ليل القمر!
وأجمل من كل نجم نراه،
وأجمل من شمس كل العُمُر.
فيا كل من قد مات شهيداً..
لعلك فيها سعيد القدر!
لعلك تلهوا وتضحك فيها،
وتنسى بأنك نسل البشر.
وتأكل فيها طعاماً شهياً،
وتشرب من ماءها المنهمر.
وتلبس ثوباً جميلاً عظيماً،
بلون الحياة بلون الخُضر.
وتنسى الممات وتنسى المشيخ،
وتنسى الطفولة تنسى العُمُر.
تعيش الشباب ولا غيره،
فأنت إذاً فيك روح القمر.
وزوجاتك الحور تلهوا بلطفٍ،
وغلمانك اللؤلؤ المنتشر.
وشجر ونخل كثير كثير..

جميل المذاق كثير الثمر.

وورد وزهر وشيء جميل!

تُحار العيون برؤيا الصور!

فيا كل من وحَّد الرب هيا..

بصوت الخيول نزيل الخطر.

وبالسيف ننحر كل العدا،

وبالرمح نخترق المستعر.

وبالسهم نرشق عين الطواغيـ

ـت من قوسنا المنتشي بالوتر.

وننشد بالقول فعلاً عظيماً..

به نقتل الوحش إذ ما غدر.

وإن كان للوحش يوماً عظيماً..

من الحرب يعلوا به يزدهر؛

فهذا إذاً يومه في الهزيـ

ـمة يندى دماءً كوقع المطر.

فيأتي عظيماً كصخر الجبال،

ولكنّا نمحي لديه الأثر.

بسيفٍ ورمحٍ وسهمٍ جرى،

وقلب يكابد منذ الصغر.

سنملك دنياكم يا جومار،

ونملك إن شاء ربي أُخر.

سنملك سلماً يباعد حرباً،

ونملك قولاً كثير الدرر.

سنبلغ أقصى الحياة بسلم،

نعيش عليه طوال العُمُر.

سنهزم كل الجنود العتاة،

سنهزمهم وقت حمي الكُور.

سنرفع يوماً صفات الإله،

وننشرها في القرى والجزر.

ونخبر من كان يجهل بها،

بأن الإله لديه القدر.

بيده السماء بيده الحياة..

بيده الممات بيده البشر.

فهيا بنبض القلوب جميعاً،

وبالسيف نمحي بقايا الضرر.

ونأمل من خالق الأرض ألا.

تجيف الأراضي بوحشٍ قذر.

فإنّا بإذن الإله سنرفع..

رايتنا الآن إن ننتصر».

وقد ظلوا على حالهم هذا إلى أن طلعت الشمس، حينها كانت الشمس تسجل ما رأته في صفحات عمرها، حيث أنها أشرقت بابتسامة عظيمة على دنيا البشر، فقد انتصر الأمير "آثال" انتصاراً عظيماً لم يكن يتوقعه لا هو ولا أي بشري واجه هؤلاء الوحوش أكلة لحوم البشر، فقد أنهوا على جيش العدو كله عن أخره، حتى أنه لم يتبقى منهم واحد يخبر "داهور" بما جرى لجيشهم، وهذا بالنسبة لهم جميعاً أفضل بكثير، حيث أنه من كان سيتبقى ليخبر "داهور" بما حدث؛ كان سيرى العذاب على يده لأنه أخبره بأسوأ خبر على الإطلاق.

كان النصر عظيماً جداً، لذا ظل الجنود يحتضنون بعضهم البعض وقتاً طويلاً، لأنهم حقاً لم يكونوا يظنون أنهم سينتصرون هذا الانتصار المبهر الذي لا يصدقه لا إنس ولا جن، ولا حتى يصدقه واحد من أكلة لحوم البشر من جنود "داهور" الساحر الخاسر، بعد ذلك استطاعوا أن يفصلوا قتلاهم عن جيش آكلوا لحوم البشر الذين التصقوا جميعاً بالأرض أمواتاً لا حول لهم ولا قوة، ومن ثم حفروا لهم المقابر كي يدفنوهم، ولكن كان هناك جندان عظيمان قد تأثر "دَبيل" و"حصبان" بهما كثيراً، هما صديقيهما "أُثيب" و"أبيناف"، فقد حمل كلاً منهما واحداً ودفنوهما بيديهما في قبر واحد، وبكى كلاً منهما بكاءً شديداً بعضاً من الوقت.

حين ذلك قال "حصبان": «فلترقدا في سلام البرزخ ونعيمه أيها الأصدقاء، إلى أن نلتقي مرة أخرى في يوم لابد منه يوم القيامة يوم اللقاء».

وما أن انتهى حتى قال "دَبيل": «لقد ارتحتما حقاً يا أصدقاء، ولكن قد ارتحتم بعد نصر عظيم كتبه الإله لنا جميعاً، فليبارك الإله في أرواحكم ولينصرنا على هؤلاء الأعداء، ولكن على كل حال قد أنشأ فراقكما فراغ عظيم في قلوبنا، فلن ننساكم أبداً حتى تلتقي أرواحنا في عالم البرزخ أو عند اللقاء».

كان هناك الكثير من الجرحى، حتى أن الأخوة الثلاثة لـ"إندو" لم يخلى أحدهم من الجروح، وذلك عندما كانوا يدافعون عنه ضد جنود الفصيلة الأولى من أكلة لحوم البشر، أما هو فقدْ فقدَ توازنه تماماً؛ ليس من واحد من جنود العدو ولكن من الرجل الأبيض الذي قد نجاه من هؤلاء الأربعة وبيده قتلهم.

الفصل العشرون

نهـــايـــة وبـــدايـــة

كان النصر عظيماً حقاً، حيث استطاع القليل من البشر أن ينتصروا على جيش عظيم من جيوش "داهور" الخادم الأول لـ"جومار"، لذا سعد الناس جميعاً في قبيلة "قُرّان"، وابتهجت الورود الزهور والأشجار، وأصبح الناس ينشدون النصر في كل مكان في القبيلة، ذلك بعد مراسم دفن شهدائهم.

لكن كان هناك جسد يرقد على فراشه، جسد قد مل كثيراً من كثرة النوم، إنه كان جسد "إندو"، ذلك الفتى الذي تمسك بكلمة التوحيد أمام جيش الأشرار، ولكنه لم يتحمل رؤية الرجل الأبيض الذي أنقذه، ذلك الذي ظن الجميع أنه واحد من الجن، ولكنه عندما فتح عيناه وجد من أمامه الجميع، والده ووالدته، وإخوته جميعاً، والأمير "آثال"، و"دَبيل"، و"حصبان"، وفي مقدمتهم جميعاً الحكيم "صهيا"؛ الرجل الذي علمه أصول الحكمة، ولكن كانت هناك واحدة فقط قد جلست بجواره على الفراش، إنها "ساجوم" أخته التي قلقت عليه كثيراً، ولكنه ابتسم ابتسامة لم ترى على وجهه منذ كان أصغر من ذلك بكثير.

تقدم الحكيم "صهيا" أكثر مما كان عليه، ومن ثم ابتسم ابتسامة عريضة قائلاً: «لقد عاد إليك وجهك الطيب الناضج من جديد أيها الفتى الحكيم، فقد

كنت ذابلاً حقاً وقتذاك».

لم يذكر له الحرب لحكمة عالية منه كي لا يثقل عليه بذكرها وهو لازال متعباً، قد اقتصر فقط على أن يشير إليها بوقتها، لذا ابتسم "إندو" وقد فهم مقصده قائلاً: «هذا صحيح حقاً يا سيدي الحكيم "صهيا"، ذلك لأننا الآن في سلام عظيم، أتمنى أن أراه دائماً في كل قبيلة بشرية توحد الإله الخالق، ولكن كل شيء بمقدار».

ابتسم والده "بانديل"، ثم اقترب منه بعض الخطوات حتى وصل إليه، وقتها انحنى إلى مقدمة رأسه ووضع قبلة دافئة على جبينه، ومن ثم ترك أصابع يده اليمنى تتحسس رأسه قائلاً: «كلنا نتمنى أن نعيش في سلم وسلام يا ولدي، ولكن الكثير غيرنا لا يريدون ذلك، فلقد أثر عليهم الشيطان كثيراً، لذا ساقهم إلى التهلكة وإلى عبادة غير الإله الرب؛ إلى عبادة الوثنية تلك العبادة التي لا يفعلها إلا من زهقت عقولهم، فكل ما حدث ليس إلا نهاية راحة قد طالت كثيراً، وبداية شقاء سوف يطول أكثر وأكثر، ولكن ندعوا الإله أن ينزل علينا صبراً على ما سيأتي من بلاء».

على إثر تلك الكلمات قال الأمير "آثال": «عندما يعلم "جومار" بما حدث؛ ستختنق السماء بالغمامة والرماد، وذلك لأنه سيغضب غضبة سوف يهلك البشرية جميعاً على إثرها، وأول مكان سيبدأ به هي قبيلتنا "أدماث"، لذا يجب أن أرحل أنا وجنودي كي نحصنها جيداً، لنقف أمام أي قوة يبعثها إلينا "جومار"».

«الآن يجب أن تتحد البشرية كلها، تلك التي توحد الإله في الأرض، والتي على جهلها يجب أن ندعوهم إلى رايتنا الصحيحة، تلك التي نرفعها فوق أعناقنا جميعاً ألا وهي توحيد الإله الخالق الرازق الذي لا إله إلا هو وهو على كل شيء قدير».

قال ذلك "إندو" وقد اتكأ على يديه كي يعتدل من نومه إلى الجلوس، ثم استأنف الحديث مرة أخرى قائلاً: «يجب علينا أن نكون يداً واحدة؛ لأننا أبناء رجل واحد، بل يجب علينا أن نكون هكذا لأننا خلق واحد قد خلقنا الإله بيديه، وبذلك فضلنا على كل خلقه أجمعين، لا بد أن نعتصم بحبل الإله حتى لا ينتصر علينا الشيطان، حتى لا يرغمنا بعبادة إله غير الإله الرب، فهذه هي الأرض ومن فوقها السماء، لو كان فيهما آلهة إلا الإله لفسدتا، فسبحانه رب العرش عما يصفون، لذا لابد أن نبدأ بدعوة الناس كلهم أجمعين إلى توحيد الإله؛ حتى لا ينتصر علينا "جومار" وجنوده».

قال ذلك ثم نظر إلى شقيقته التي قد أحاطت منكبيه بيديها، والتي ابتسمت ابتسامة سعيدة لما قاله شقيقها الصغير، ذلك الفتى الذي تعلم على يدها أشياء كثيرة وقتما كان طفلاً، ثم قالت: «هذا هو "إندو" شقيقي الصغير الذي أعرفه جيداً».

فابتسموا جميعاً لما قالته هذا، ولكن قد أحاطها "إندو" بيده هو الآخر، وعلى نفس منواله السابق قال: «سوف تتغير تلك الشرذمة من البشر إلى دولة عظيمة تحارب الفساد من أجل الإله».

كان "إندو" في بداية الأمر يظن أنه في حجرته الصغيرة التي في الكوخ، وذلك لحضور والدته وشقيقته، ولكنه علم بعد ذلك أنه في إحدى الخيم التي نصبت بجوار جبل "طابان"، حينها كان الأمير "آثال" يودعهم من أجل رحيله هو وجنود "أدماث"، وقد اجتمع الجنود في الخارج وقد امتطوا جيادهم جميعاً، ومن ثم نظموا صفوفهم وتهيؤا للرحيل، حينها خرج "إندو" من الخيمة بعدما خرج منها الجميع ليراهم وقد تهيؤا لذلك حقاً، في الحين قد تقدم الأمير "آثال" إلى الحكيم "صهيا" قائلاً: «أراك على خير أيها الحكيم "صهيا"».

فابتسم الأخير ابتسامة حزن قائلاً: «تصل بسلامة الإله إلى قبيلتك على خير يا ولدي، ومعك أبعث سلامي إلى والدك الملك المعظم "ديماس"، فأنا أتمنى من الإله أن يشفه من سقمه فيرجعه إلى عرش الحكم مرة أخرى، وحقاً لا أدري ماذا أقول لك على تلك المساعدة العظيمة، ولكن كل ما أستطيع أن أقوله أن الإله لديه الجزاء العظيم، والجزاء يا ولدي من جنس العمل، فكما نصرت الإله في هذه الأرض فلينصرنك الإله في كل أرض».

«أشكرك كثيراً أيها الحكيم "صهيا"».

قالها ثم نظر إلى "بانديل" الذي احتضنه قائلاً: «سوف تخلف من وراءك قوم قد أحبوك كثيراً سيدي الأمير "آثال"، فحقاً قد أحببناك جميعاً وكنا نتمنى ألا ترحل وتتركنا، لكني أعلم أن الأمر لا يحتمل ذلك».

«أنتم حقاً أناس طيبون أيها الرجل العظيم "بانديل"، ولاسيما أنك منهم وأنت والد الفتى الذي في الحقيقة أدهشني أكثر من أي شيء آخر، لذا فسوف

نتواصل دائماً ولن تنقطع الرسائل بيننا أبداً، لأننا حقاً أصبحنا أسرة واحدة تتضرع إلى الإله من أجل الرحمة الواسعة، تلك التي لا يمتلكها إلا الإله الخالق».

ومن ثم سلم على أخوة "إندو"، وطاف على بعض الناس من أهل "قُرّان" وسلم عليهم جميعاً، كان ساعتها قد طاف "دَبيل" عليهم وسلم عليهم جميعاً، ولكنه خص "حصبان" أكثر من أي أحد آخر ومن ثم صعد إلى جواده، ثم انتهى الأمير "آثال" ببعض الخطوات البطيئة الحزينة إلى "إندو"، ذلك الذي قد خطى إليه هو الآخر نفس تلك الخطوات الحزينة قائلاً: «أنا لا أحب الوداع كثيراً سيدي الأمير "آثال"، لذا فلن أستطيع أن أحتمل فراقك عن تلك القبيلة التي ولدت فيها وكبرت على ظهرها، والتي هي نفسها القبيلة التي رأيتك فيها، ففي الحقيقة لن أستطيع أن أحتمل فراقك ببساطة هكذا».

فوضع الأمير "آثال" يده على منكبيه قائلاً: «ولكن لابد وأن أرحل يا "إندو"، فسوف نلتقي حقاً في وقت ما عندما يأذن الإله بذلك، وأنت تعرف هذا أكثر مني أليس كذلك؟!».

فابتسم "إندو" قائلاً: «إذاً سوف نلتقي مولاي الأمير، سوف نلتقي يوماً ما عندما يأذن لنا الإله بذلك».

ثم احتضن كلاً منهما الآخر بشدة، ولكن تركه الأمير "آثال" وقد نزلت دمعة من عينيه، ومن ثم صعد إلى جواده فأومأ له الجنود جميعاً تعظيماً له ولتواضعه، ثم أومأ لهم هو الآخر بكل تواضع تعلمه من قبيلة "أدماث" وتعلمه أيضاً من قبيلة "قُرّان"، وظل على هذا الحال بعضاً من الوقت قبل أن يأذن حاملوا

الأبواق أن يصدروا نفير الرحيل.

ثم انطلق هو وجنوده راحلين، تاركين تلك القبيلة العظيمة التي أثبتت معهم نفسها، وذلك بشدة تعلقهم بالإله الواحد الذي ينصر من ينصره، وهو على كل شيء قدير، ظل "إندو" يشير لهم بيديه بعضاً من الوقت، حتى أن بعدوا كثيراً عن الأنظار، وراحوا يصغرون في أنظارهم حتى اختفوا جميعاً، من ثم ركب "بانديل" على صهوة جواد له وأخذ من خلفه زوجته، ثم ركب "إندو" هو الآخر جواد وأخذ من خلفه شقيقته، ومن خلفهم كانوا أشقته الذكور وقد امتطوا جيادهم ثم انطلقوا قاصدين الكوخ القديم.

لقد كانت سعادة الجميع أكبر من أي شيء حقاً، لكن هذا كله كان نهاية للسلام على البشر أجمعين، حيث أن ما فعلوه هذا قد فتح عليهم وعلى البشر في كل مكان، أبواب عظيمة من الجحيم الذي لا يطاق، لذا كان يجب عليهم أن يستعدوا لذلك، فيجمعوا البشر ويعدوا العدة من أجل ملاقاة "داهور" في حرب ثانية لن يتحملونها إلا أن يشاء الإله لهم بذلك، حيث أن من قابلوهم ليسوا إلا خمسين ألف جندي من الفصيلة الثالثة، تلك الفصيلة التي لا يقل تعدادها عن ألف ألف جندي، بخلاف كلى الفصيلتان الأولى والثانية، هاتان اللتان تختلف قواهم عن تلك الفصيلة الثالثة، حيث أن الجندي الواحد من الفصيلة الأولى يناهز في قوته خمسة من الفصيلة الثانية، ويناهز أيضاً عشرة من الفصيلة الثالثة، لذا لابد أن يكون هناك ارتباط وثيق بين البشرية التي توحد الإله؛ ذلك كي ينصرهم الإله جميعاً على هؤلاء الأعداء.

فإن كانت هذه نهايـة حـرب مـن الحـروب الـتي بـدأت بـين أكلـة لحـوم البشر، المأمورين بأمر "جومار" و"داهور" ضد البشر، فإنها بداية لسلسة عظيمـة من الحروب بينهم، وإن كان البشر قد انتصروا في تلك الحـرب، فلـن يهـدأ واحـد من الآخرين حتى يفنوا البشرية جميعاً، أو أنهم يتحولون إلى أكلة لحـوم البـشر؛ حتى يعبدون الوثن مثل الباقين، فيعبدون ذلك الشيطان الذي خالف الإلـه فطـرده الإله من رحمته إلى يوم الدين.

كان "إندو" يفكر في تلك الأشياء دفعة واحدة، ذلك لأنه يعلم حقاً أن الأمر جدُّ خطير! وأن الأيام قد استفرغت كل ما عندها من السلام؛ وذلك كي تبـدأ عـصر جديد مليء بالحرب والتخلف والتعصب والفساد.

إلا أن العـيش بعـض الوقـت في سـلام، أفـضل بكـثير أن ينتظـر النـاس الحروب فيفزعوا ويموتوا قبل رؤيتها، هذا كان حال "إندو" الذي خرج بعـد ذلـك من الكوخ الذي ظل مقيماً به أسبوعاً كاملاً أو حتـى أكثـر لا يخـرج منـه، ليعـيش وقتاً طيباً مع صديقه الجميل "سوِيْبا" ذلك السنور الصغير، ومـع بعـض الفتيـان في مثل سنه، وأحيَاناً مع شقيقته "ساجوم" التي كانت تفـضل دائمـاً الجلـوس معـه، وفي تلك الأيام قد تناسى تماماً أنه قد خاض حرباً عظيمة ضد أكلـة لحـوم البـشر، بل تناسى أيضاً أنه قد خرج له من الظلام شبح فضي أثناء الحرب لينقذه من أقـوى أربعة من أكلة لحوم البشر بعدما قتل هو خامسهم، ولم يتذكر إلا السلام الذي من المكن أن يزيل من عليهم غطاءه فجأة، فعـاش يومـه دون حـساب لمستقبله، ذلـك لأنه ترك المستقبل لرب المستقبل، ووضع في حسبانه أن الحياة لا تكون حياة لـو أن

كل إنسان علم فيها مستقبلة، وخاض في العيش الجديد ليستأنف حياته السابقة التي قد عاشها قبل أن يصدر "داهور" صوته العظيم، تلك الحياة الطفولية المستقلة التي يبحث فيها عن العلم والتعلم.

ولكن كان هناك شيء لابد أن يفعله "إندو"، ذلك الشيء الذي كان يفعله والده دائماً، وهو تدوين كل ما حدث له في كتابه، الذي قد أسسه له والده من قبل، ذلك الكتاب الذي سماه يوم مولده "إندو بانديل" وكتب من تحته تاريخ ذلك المولد، والذي هو (شيار الثاني من بوصان في العام "3582")، فقد ركب الجواد وانطلق إلى سفح جبل "طابان"، وعندما وصل إلى سرداب أبيه وجَدَّه من قبله؛ ترك الجواد بعيداً عنه بعض الشيء، وذلك كي لا يشك من يرى الجواد أن هنا شخص في تلك المنطقة التي بها السرداب، كان قد ذهب وحده فلم يأخذ معه "سوِيْبا"، وما أن نزل ورأى الكتاب حتى أسرع تجاهه، ومن ثم أزال التراب الذي قد تكوم عليه تلك المدة التي قضاها دون أن يراه، والتي كانت مليئة بالمتاعب الصاخبة بالحرب وخططها، ومن ثم وقع نظره على يوم ميلاده ليجد المفاجأة، ليجد أن يوم مولده هو نفسه اليوم الذي يعيشه الآن، (شيار الثاني من بوصان في العام "3597")، فابتهج كثيراً لذلك الأمر الجميل، ولتلك الصدفة التي حقاً لم تكن تخطر على باله، حيث أنه قد نسي تماماً يوم ميلاده ولم يخبره أحد من أهله به في تلك الأيام، قد يكون هذا لمفاجأة هم يحضرونها له أو شيء آخر شبيه بذلك.

ومن ثم فتح الكتاب عند آخر صفحة قد كتب فيها كلمات حياته التي عاشها، ليجد أنه قد فاته أشياء كثيرة، ربما تحتاج تلك الأشياء إلى مجلدات

ومجلدات لتدون بكل دقة، ثم إنه شرع في قراءة آخر ما كتب سابقاً، تلك المرة الأخيرة التي قد رأى فيها الكتاب، عندما حدثه والده عن قصة سيفه "الحارس العظيم" الذي امتلكه مؤخراً، حيث قال:

« لقد امتلكت السيف حقاً!

ذلك السيف الذي لم أجد سيفاً مثله!

سيف الحاكم الأول..

الحارس العظيم.

لذا سأخوض الحرب به..

وأتمنى أن ننتصر حقاً!

ولكن إن حدث هذا بالفعل؛

فسوف تعم الحرب البشرية جمعاء!

ولن نستطيع نحن البشر الوقوف أمامها..

لأننا جميعاً لسنا متكاتفين الأيدي.

فإن تكاتفنا وارتبطنا بحبل الإله..

فسوف ننتصر يومئذ عندما تشتعل نيران الحرب.

حيث أنها عندما تنتهي تلك الحرب الصغيرة..

التي أتمنى من الإله أن ننتصر فيها حقاً؛

فسوف تنتهي أيام قد عاشتها البشرية ،

بحلوها ومرها ،

ومن ثم ستبدأ أيام أخرى ،

لن نرى فيها السلام أبداً ،

إلا أن يأذن الإله بذلك ،

ولن يأذن الإله بذلك..

إلا إذا ترابطنا بحبله دون أن نفترق.

حيث أنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

فإن الانتصار القريب هذا..

ما هو إلا نهاية لزمن..

وبداية لزمن آخر قد لا نرى فيه السلام».

وما أن قرأ هذه الكلمات حتى تذكر كل ما حدث له وللجيش في الحرب، بل كل ما حدث بعد الانتصار، وعلم جيداً أنه لا يحق له أن يلهوا ويلعب كما كان يفعل آنذاك، لذا أحضر المحبرة وأمسك بالريشة وغمسها بها، ومشاعره تتدفق بما قد أحزنه كثيراً، ذلك الواقع المرير الذي قد تناساه من قبل، أصبح الآن محفوراً في رأسه كأنه نقش على حجر بسكين عظيم، ومن ثم راح يكتب مرة أخرى قائلاً:

«لقد نصرنا الإله كما تمنيت ذلك من قبل..

وهذا بعد الخطط الكثيرة التي وضعناها للحرب،
تلك الحرب التي أتعبتنا كثيراً،
وقد ظن الناس أن ما بعد الانتصار سلام!
ولكن هيهات هيهات لما يظنون!
حيث أن الأمر كما ظننت أنا من قبل؛
أنه نهاية لأيام بحلوها ومرها..
وبداية لأيام أخرى من الممكن ألا نرى فيها السلام!
ذلك لأن جومار لن يهدأ باله ولن يرتاح؛
إلا بعد أن يشعل النيران في كل مكان.
وأعلم أنني كنت سبباً من تلك الأسباب،
التي من خلالها فتحت أبواب جومار وداهور..
اللذان من خلال هذه الأبواب سيحرقون البشر،
بل كنت أنا أول سبب لذلك.
لذا فأنا أعتذر للبشرية بأثرها،
ولن يكون اعتذاري هذا مجرد كلام على ورق،
بل سوف أجوب الكثير من القبائل البشرية،
والبلاد والمدن، بل البحار والأنهار..
حتى أجمع من الناس قدر الإمكان،
كي نقف ضد من يشركون بالإله الخالق.

وإن مت؛ فسوف أموت في سبيل ما يريده الإله.

حتى يرضى عني فرضاه خير من رضا الناس.

لن أستطيع أن أجلس هنا في قُرّان..

تلك القبيلة التي ولدت بها،

ولكن سوف أصير سوّاح في بلاد الإله،

غريب لا يعرفني أحد.

من أجل نصرة التوحيد،

ومن أجل نصرة الحياة البشرية على ذلك.

من أجل الفوز بالفردوس الذي عند الإله،

ولن يهدأ لي بال أنا الآخر..

حتى يعيش من يوحد الإله في سلام.

حيث أنني قد علمت الآن،

أنني لم أكن إندو بانديل فقط،

ولكن كنت أيضاً فيلسوفاً صغيراً.

تربى على السلام،

لذا سيعيش على السلام،

وذلك كما كان يعيش الفيلسوف المقدس..

فيلسوف السلام.

ولن أرضى بعيشة أخرى خلاف هذه..

فلن أرضى إلا بالتوحيد مهما كان الأمر،

حتى ولو أنني مت؛ فلن أموت إلا على التوحيد..

إن أذن الإله لي بذلك».

بتاريخ /شيار الثاني من شهر بوصان

في العام خمسمائة وسبع وتسعين بعد الألف الثالثة.

ومن ثم أغلق الكتاب وهو في حزن شديد، ولكنه لم يتركه مكانه، بل أخذه معه نحو الكوخ، ثم خرج من السرداب وأرجع كل شيء إلى مكانه كما كان، ومن ثم ذهب إلى جواده فامتطاه وانطلق به إلى الكوخ، كانت الأفكار وقت ذاك تلاحقه في كل شيء يمتلكه، في قلبه وعقله وجوارحه، بل في همساته وسكناته وحركاته، تلك الأفكار الميتة التي لا تبشر بخير على الإطلاق .. لذا قال في نفسه: «يا ليت البشرية كلها لم تعرف شيئاً اسمه الحرب! يا ليتها لم تعرف إلا السلام! ولكن قدّر الإله ما شاء فعل، ولمن وحدّ الإله الفوز بجنتهِ ونعيمه ودار مقامه».

ثم أكمل سيره نحو الكوخ، وما أن وصل إليه حتى كانت المفاجأة السارة، تلك التي أسعدته كثيراً، حيث أن والده قد جمع العائلة كلها هناك، وقد أعدوا من أجله حفل شكر للإله على أنه رزقهم به، ذلك الفتى "إندو بانديل" الذي انتصر للإله فنصره الإله، ذلك "الفيلسوف الصغير" الذي رزقهم الإله نصراً عظيماً على يديه.

خاتمة

لقد انتهوا من حفل الشكر أخيراً، ذلك الحفل الذي كان عبارة عن بعض من الوقت الذي قضوه في التضرع للإله الخالق، ومن ثم انفرد "بانديل" بكتاب ولده، وفتح تلك الصفحة التي كان "إندو" قد كتب فيها آخر ما كتب، وقد علم أنه قد جاء الوقت حقاً حتى يسافر ولده ويتنقل بين القبائل، وذلك من أجل العلم وترسيخ فكرة الترابط بين البشرية، لذا ذهب إليه وأعطاه ورقة قد كتب فيها: «من الآن قد أصبحت رجلاً في عيون الناس، حيث أنك قد ارتديت عمراً يبلغ خمسة عشر عاماً».

أخذها "إندو" منه وكانت تلك الورقة تعطى وقت ذاك لمن يبلغون الخمسة عشر عاماً، لأنهم بهذا السن يكونوا بالفعل قد أصبحوا رجالاً بالغين في أنظار الناس، ثم قال له "بانديل": «أتمنى لك التوفيق يا ولدي، لو كان بيدي لما فرطت فيك أبداً، ولكن الأمر بيد الإله حيث أنه قد كتب عليك الغربة والسفر».

فقال "إندو" في تعجب: «هل قرأت ما في الكتاب؟!».

«نعم يا ولدي، لقد قرأته بالفعل ولا اعتراض على ذلك، أتمنى أن يكتب لك الإله التوفيق في سفرك هذا».

«أتمنى ذلك يا أبي، أتمناه حقاً من أجلكم ومن أجل البشرية جمعاء، أتمنى ذلك من الإله فقط، لذا أريدك أن تدعو لي يا أبي، عسى أن يتقبل الإله منك

فيرزقني الخير في ذلك السفر».

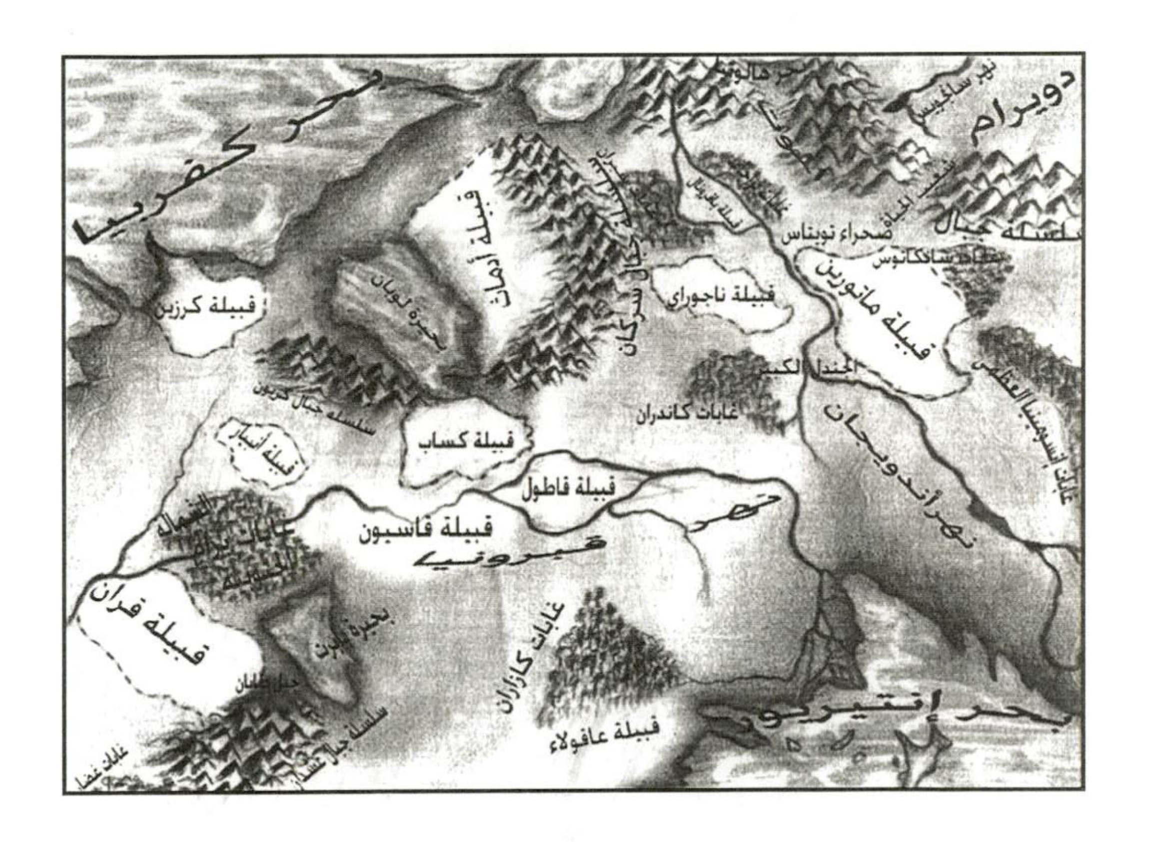
ومن ثم ذهب الجميع إلى نهر "قبرونيا"، ثم إنه سلم على الجميع دون أن يرى البكاء على وجوههم، وكان قد حضر الحكيم "صهيا" وقتذاك، لقد رأى السعادة كلها على وجوه الجميع، حتى أمه "كوندليرا"، وأخته "ساجوم"، لم يبكى أحد أبداً، وقد كان في صحبته "سبراك" وصديقه الصغير "سويْبا"، لذا نظر إلى الحكيم "صهيا" في ابتسامة عظيمة، قد أشرق وجهه على إثرها قائلاً: «هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً».

فابتسم الحكيم "صهيا" قائلاً: «هل علمت إذاً ما هو الشيء شديد البياض؟!».

«لا لم أعرف ذلك!».

«إذاً فلتتحسسه يا ولدي في سفرك، ستجده إن شاء الإله ذلك».

ثم صعد "إندو" القارب ومعه "سبراك" و"سويْبا" وكتاب حياته، الذي كتب له عنواناً جديداً من فوق اسمه الذي كان قد خطه أبوه من قبل، حيث أنه كتب "الفيلسوف الصغير" بخط ظاهر بعض الشيء عما كتبه أبوه، وقد زود الرحلة بالتمر الذي لا يفارقه أبداً، ثم انطلق القارب وظل الجميع يشيرون لبعضهم البعض بأيديهم حتى اختفى القارب عن الأنظار، حين ذلك قال "بانديل": «لقد بدأ العصر حقاً يُظهر ما لديه من أشياء لا يحبها من يحبون الإله العظيم».



بحر كفريا
دويرام
نهر سانجيس
بحر هالوتيا
سلسلة جبال
صحراء نوبتاس
قبيلة ماتورين
قبيلة أدهات
بحيرة لوبان
قبيلة كرزين
قبيلة ناجوراي
الجندل الكبير
غابات كاندران
نهر أندويجان
غابات إنسيمينبا العظمى
سلسلة جبال كربون
قبيلة كساب
قبيلة أنبار
قبيلة فاطول
قبيلة فاسيون
قيروتيا
قبيلة فران
غابات كازاران
قبيلة عافولاء
بحر إقتيرون

.أرض الأساطير.

إندو بانديل

الفيلسوف الصغير

في بيئة مليئة بالتخلف والتعصب والفساد، انتشر الظلم أكثر مما كان عليه في الأيام الخوالي.. تلك الأيام التي مرت على الناس، وهم في خضم الدماء..

لم يكن بها حكام يحكمون .. ولا حكماء يعلمون..

حتى جاءهم (الفيلسوف المقدس) "س.ل.م"، الذي وضع كتابه العظيم "الحكم المقدسة".. فانتشر في عصره السلام، وساد العدل بين جميع الناس..

الآن، وبعد ألف وخمسمائة عام.. أصبحت البيئة أكثر شراسة وفسادا مما كانت عليه!..

ولكن.. ولد بين تلك الشراسة، وذاك الفساد، الباحث عن السلام والعدل والإنصاف..

"إندو بانديل"..

"الفيلسوف الصغير"..

سراج الدين البدوي



ملحمة
1 دويرام